بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين : نظرت في كتاب يوسف القرضاوي الذي سمّاه : **((الإسلام والفن))** تكلم فيه بما شاء من الباطل . وإن عنوان الكتاب لعنوان عقل ودين مؤلّفه . فما للإسلام وما سمّاه هذا : (الفن) ؟ وهل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الفن أوْ ذكره خلفاؤه الراشدون أوْ الأئمة المهديون أم أنه شيء على أهل الإسلام دخيل. وهو من عادات أهل الضلال والتضليل ؟

الأمر ولله الحمد واضح . وما هَوّن على الأمة العظائم إلا هذا وأمثاله وكل مانُسب إلى الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الضلال فالإسلام منه بريء . وكم يُنسب إليه ماليس منه كهذا المسمى بالفن .

والأسماء والمصطلحات الحادثة التي لاتوجد في الكتاب والسنة يُعْرف معناها والمراد منها ثم ترد إلى الله والرسول .

ومُراد القرضاوي بالفن أشياء محرمة بالشرع مثل الغناء والموسيقى والتصوير ونحو ذلك مما يُهَوَّن أمره بمثل هذه الأسماء الحادثة التي لم يُعَلّق الشارع على أسماءها مدحاً ولا ذماً ولاحداً من حدود الله . ومثل ذلك إسم **(الجنس)** وهو حادث أيضاً ولا وجود لهذا الإسم

بهذا المعنى في الكتاب والسنة ولا عُلّق به مدح ولاذم لكن يريدون به الزنا واللواط والفواحش .

عبادة ونسك أوغناء وطرب

إسْتفتح القرضاوي كتابه بإظهار أهل الإيمان والقرآن بصورة مُشوّهة مُنَفِّرة وغرضه ترْويج بضاعته الخاسرة التي لاتروج إلا في سوق الفسّاق والفجار الذين يبغضون أهل الدين وينفرون منهم.

ورحم الله ابن القيم فإنه يقول : ولأرباب المقالات أغراض في تشويه مقالات خصومهم واختيارهم لها أقبح الألفاظ .

قال القرضاوي : فهناك من يتصوّرون المجتمع الإسلامي مجتمع عبادة ونسك . ومجتمع جدّ وعمل . فلا مجال فيه لمن يلهو ويلعب . أويضحك ويمرح . أويُغني ويَطْرب . لايجوز لِشَفَةٍ أن تبتسم . ولا لِسِنٍّ أن تضحك . ولا لِقلب أن يفرح . ولا لِبَهْجَةٍ أن تَرْتسم على وجوه الناس .

وربما ساعدهم على ذلك سلوك بعض المتدينين الذين لاترى أحدهم إلا عابس الوجه مقطب الجبين كاشر الناب وذلك لأنه إنسان يائس أوْ فاشل أومريض بالعقد والإلْتواءات النفسية ولكنه بَرَّرَ ذلك السلوك المعيب باسم الدين . أي أنه فرض طبيعته المنقبضة المتوجّسة على الدين . والدين لاذنب له إلا سوء فهم هؤلاء له وأخذهم ببعض نصوصه دون بعض .

وقد يجوز لهؤلاء أن يُشدّدوا على أنفسهم إذا اقتنعوا بذلك ولكن الخطر هنا أن يُعمموا هذا التشديد على المجتمع كله ويلزموه برأي رأوْه في أمر عَمّت به البلوى ويمسّ حياة الناس كافه. انتهى.[1]

هذه الصورة المشَوَّهة لأهل الدين لايختص هذا المصري برسمها ونقشها بأصابع إبليس فكم وكم من صُوَرٍ شُوّهَتْ لهم لتحكيهم وكأنهم وحوش ضارية وأجلاًف من الذوْق والوَجْد عارية. ورحم الله الإمام أحمد حيث قال : لا نُزيل عن الله صفة من صفاته لشناعة المشنّعين . كذلك المتديّن الصادق الموفق ليس أنه لايُقيم وزناً لهذا الكلام الشيطاني فقط بل يزداد إيماناً وبصيرة بدينه وعلماً ومعرفة بعدوه وكيده ومكره حيث يستعمل هذا وأمثاله مطيّة له لبلوغ مراده فيتكلم على لسانه بزخرف القول الذي هو فتنة لكل مفتون .

إن الذين يتصوّرون المجتمع الإسلامي مجتمع عبادة ونسك ومجتمع جَدّ وعمل مخطئون في هذا التصور عنده . وماكان مجتمع الصحابة والسلف الصالح إلا هكذا لكن هذا لايعجب القرضاوي وإنما يعجبه مجتمع يلهو ويلعب ويضحك ويمرح ويغني ويطرب ويرقص . وإذا لم يكن كذلك فهو عابس الوجه مقطب الجبين كاشر الناب يائس فاشل مريض بالعقد والإلْتواءات النفسية كما وَصَفْ .

---

[1] ص 10،9 .

لقد بُلينا بهذا الزمان السوء بمن يتكلمون عن الإسلام ويفصّلون ويخوضون وهم كالذي قرأ قوله تعالى : (فخر عليهم السقف من تحتهم) فقال الذي سمعه : لا قرآن ولا عقل . لأن هذا القاريء لوْ كان يعقل مايقرأ لعلم أن السقف يخرّ من فوق يعني يسقط فلا القرآن كما قرأ ولا عقله يشعره بالخطأ .

فالحذر من أن يكون هذا وأمثاله قدوة وأسْوة إلا لمن لم يسْتضيء بنور العلم ولم يلجأ إلى ركن وثيق فهذا وجنسه كما قال تعالى : { **ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم** } يعني : لأفهمهم. وكما قال : { **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون** } وقوله تعالى : { **وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم وماخلفهم** } إنه لايغتر بهذا وأمثاله إلا من هذه صفته . أما المؤمن الصادق فيعرف القرضاوي وأضرابه من كلامهم كما قال عمر رضي الله عنه : تكلموا تُعرفوا : وقاله علي رضي الله عنه. إنه لايتكلم بمثل كلام هذا ويخوض مثل خوْضه إلا من معرفتهم بالإسلام معرفة جرائدية إذا عية دَرْسية مع أهواء غالبة ونفوس أمارة.

ولوْلا هذه الشارات والتزكيات الحادثة التي ليست على هَدْي الرسول وصحبة ونهجهم لما صار لهذا وأمثاله مقام في أمور الشرع. إن لهذا أمثال كثير قد مَلئوا الأرض اليوم شُهِدَ لهم وزُكّوا فبرزوا وظهروا ظهور الرؤوس الجهال كما ورد في حديث قبض العلم . وهذا المرض

الفتاك تعانيه الأمة منذ أكثر من نصف قرن من حين حصل التحول عن الطريقة السلفية المثلى في العلم والتعلم. والثمار تأتي من جنس البذر . ولايُجنى من الشوك العنب.

ثم إن القرضاوي بعد أن وصف ذلك الصنف الذي شَوّهه ونَفَّر عنه قابلهم بصنف آخر وهم الذين كما يقول : الذين أطلقوا العنان لشهوات نفوسهم فجعلوا الحياة كلها لهواً ولعباً وأذابوا الحوَاجز بين المشروع والممنوع . بين المفروض والمرفوض . بين الحلال والحرام .

فتراهم يدعون إلى الإنحلال ويروّجون الإباحية ويُشيعون الفواحش ماظهر منها ومابطن باسم الفن .

ثم قال : لهذا كان لابد من نظرة منصفة إلى الموضوع بعيداً عن إفراط هؤلاء وتفريط أولئك في ضوء النصوص الصحيحة الثبوت. الصريحة الدلالة . إنتهى .

قد يظن الجاهل أن هذا هو المنقذ المنْتَظَر الذي يُخرج الأمة من الظلمات إلى النور ويدلها على الصراط المستقيم والمنهج القويم.

أما من له بعض الحظ من الإيمان والعلم القرآني النبوي فيعرف أن القرضاوي في صف الصنف الآخر الذين وصفهم بالتفريط وأنهم أطلقوا العِنان لشهوات أنفسهم إلى آخر كلامه .

وأن الصنف الأول قد اختار له القرضاوي أقبح الصفات لِيُشَوِّهه ويُنَفِّر عنه . وهي صورة خياليه رسمها في خياله بُغْض السلوك على الصراط المستقيم .

والحقيقة أن الإسلام الحق بريء من تشنيع المشنّعين كما أنه بريء من إفراط المفرّطين وتفريط المفْرِطين .

لكن وَصْف الإسلام الحق وَوَصْف السالكين على طريقة حقيقة لايؤخذ من هذا وأمثاله . فهؤلاء ما أحْوَجهم إلى من يُقيمهم عليه ويُنْزِلهم منازلهم اللائقة بهم .

وإنما أريد هنا أن أُبيّن أن القرضاوي مؤيّد للصنف الإنحلالي الإباحي ولكن بطرق طَرّقَها له اتباع الهوى . القائد إلى الرّدى .

ماهــو الفـن ؟

وليعلم القاريء حقيقة ما أقول فلينظر ماقاله بعد ذلك التمهيد والتّوطين . قال : وإذا كانت الرياضة تُغذي الجسم . والعبادة تغذي الروح . والعلم يغذي العقل .

فإن الفنّ يُغذي الوُجدان . ونريد بالفن النوع الراقي الذي يسمو بالإنسان لا الذي يهبط به . [1]

يُقال له : المسلم قبل كل شيء لايقبل هذه الأسماء والمصطلحات حتى ينظر هل وردت في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم أم لا . وما ورد منها هل أراد الله ورسوله به مايُريده كثير من أهل الوقت ؟ لابد من النظر في هذا أولاً .

إنا لانجد إسم (الفن) في كلام الله وكلام رسوله . أما مقصود أهل الوقت به فهو الغناء والموسيقى والتصوير كما يذكر القرضاوي وهذه محرمات في الشرع . وقد أباحها في كتابه . والأدلة الشرعية في كل هذا معلومة يعرفها هذا وأمثاله فلم يبق إلا التأويلات الباطله . وقدْ فُنِّدَتْ هذه التأويلات ولله الحمد بإظهار معاني النصوص على وجهها وسبق أن كتبت في ذلك في (إعانة المتعالى لرد كيْد الغزالي) حيث اعتمد في تهوين شأن الغناء وجوازه على ابن حزم مثل القرضاوي فإنه يصول بابن

---

[1] ص 11 ، 12 .

حزم ويجول . والرد على ابن حزم في ذلك معلوم في كتب السلف وكذلك بعض المتأخرين .

وقد قال تعالى : { **لاحجة بيننا وبينكم** } أي لاجدال ولاخصومة حيث ظهر الحق وبان فلم يبق إلا الجدل العقيم . وهذا بالنسبة لأدلة تحريم الغناء والموسيقى والتصوير فليست ولله الحمد خفيه كتب فيها الناس كثيراً .

الرياضيـات

وقوله عن الرياضة أنها تغذي الجسم فإذا كان المقصود مثل ماجرى من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة مثل سباق الخيل والإبل على الصفة والكيفية التي كانوا يفعلونها . كذلك لأجل الغاية التي يسْمون إليها وهي التدريب والتمرين لأجل الجهاد في سبيل الله فمن الذي يمنع ذلك ؟

لكن القرضاوي وأمثاله يُكَسّرون الأبواب ويهدمون البيوت ويخربونها ليست طرقهم قويمة ولا أعمالهم مستقيمة .

وليس بين أيديهم مما يتعلقون به من الشريعة التي طبّقها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم إلا القياسات الفاسدة المفسدة الضالة المضلّة يُهَوّنون بذلك محارم الله ويُضللون عباد الله. إنه لابد أن يكون القياس صحيحاً يُطابق الفرع فيه الأصل . وأين لهؤلاء الذي يتبعون أهوائهم أن يجدوا مايُعْتمد عليه وتقوم به حجتهم على أهوائهم في الشريعة الحقّة بلا تأويلات باطلة؟

واسم (**الرياضة**) كغيره من الأسماء المجملة التي يريد بها أهل الوقت معاني فاسده ومطالب ساقطة فلا يصلح إطلاق هذا الإسم بل لابد من التفصيل فيقال : سباق

الخيل والإبل ونحو ذلك الذي جرى في عهد الرسول والصحابة مَن الذي منع منه لتكون كلمة الله هي العليا . كذلك فليس هذا دَيْدنهم وأكبر همهم كما يصنع أهل الوقت فيما يسمونه الرياضة كما لايخفى . فالذي يجري في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة مع أنه يُسْتعان به على الجهاد في سبيل الله فهو نادر وقليل .

ليس كما يتصوّر الجهلة الذين يجعلون من الحبّة قبّه كما يقال ومن ثقب الإبرة يُمَرِّرُن الجمال .

كذلك لانقول : الصلاة رياضة هكذا بل نقول : عبادة لكن ظهور فوائدها لِقُوَى المسلم ظاهرة محسوسة ملموسة . وإذا كان هذا تأثيرها في البدن الظاهر فإن أثرها على الروح هو المقصود بالقصد الأول . وهو الأثر الأعظم . وهذا كله مما يبين حسن هذا الدين وكماله وَوَفائه بما يُصلح الإنسان في دينه ودنياه . وروحه وجسمه .

وإنما المراد هنا قوله عن الرياضة أنها تغذي الجسم فيقال : تغذية الجسم إذا كانت على حساب إهمال الروح وعدم الإهتمام بتغذيتها فهذا التحاق بعالم الحيوان كما هو حاصل في هذا الزمان من فتنة مايسمى : **(الرياضة)** والإنسان بروحه لابجسمه . ومانفعت البغال أجسامها .

أما قوله عن العبادة أنها تغذي الروح بعد أن قال عن الرياضة أنها تغذي الجسم فهذا تقسيم جاهل إذ أن معناه قَصْر تغذية العبادة على الروح فقط . إذاً لابد من غذاء آخر للجسم .

وهو ماسمّاه (**الرياضة**) وكأن رب العالمين قد أحْوَج عباده إلى شيء غير عبادته من اللهو واللعب تتغذى بذلك أجسامهم . إن من يعرف حال السلف وماكانوا عليه من النشاط والقوة والعبادة وماعليه أهل هذه الرياضات يجد الفرق الجليّ الواضح بينهما في القوة والنشاط . وليس الكلام والمقارنة في بركة أوقات أولئك واستعمالهم قُواهم لما خلقت له وماهم عليه من راحة البال والأحوال الطيبة فهم ولله الحمد في ميزان المؤمن أجل من أن يُقارنوا بأهل هذه الرياضات لكن المراد قوة أجسامهم ونشاطهم خلافاً لأهل الوقت .

وأما قوله عن العلم أنه يُغذي العقل فهو من جنس إطلاق أهل الوقت إسم العلم بلا تقييد وهو ضلال حيث يُدخلون فيه ماليس منه بل ومايُضادّه . أما في كلام الله وكلام رسوله فإسم العلم المراد به علم الوحي وهو الممدوح وهو غذاء الأرواح ونعيمها وقرّة العيون وهو الذي أنزله رب العالمين لعباده ليكتفوا به ويسعدوا به . وما كان للصحابة رضي الله عنهم غير هذا العلم . وقد بلغوا مابلغوا . وهو علم نبيهم كذلك السلف من الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة أهل السنة وعلمائهم . بخلاف الخلوف .

وقد بيّنت هذا الموضوع بكتاب (العلم الذي يستحق أن يسمى علماً) والحمد لله . وكذلك كتاب (علماء السلف وأهل الوقت).

تغذية الوُجدان

وأما قول القرضاوي : فإن الفن يُغذي الوجدان ....
فالحقيقة أنه غذاء النفس الأمارة هُوَ قُوتها وهو قُوّتها . أما النفس المطمئنة فغذاؤها الوحي وهو العلم النافع المثمر للعمل الصالح .

ولم يكن أحد من سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان يُحركون المحبة والوجد إلا بما شرع الله أن تحرك به من أنواع العبادات الشرعية كالعرفان الإيماني والسماع القرآني .

أما منحرفة الصوفية فصار منهم من يطلب تحريك المحبة بأنواع من السماع كالتغبير الذي قال عنه الشافعي رحمه الله : خلّفت ببغداد شيئاً أحْدثه الزنادقه يسمونه (التغبير) يصدون به الناس عن القرآن . ويحركونها بسماع المكاء والتصدية فيسمعون من الأقوال والأشعار مافيه تحريك جنس الحب الذي يُحرك من كل قلب مافيه من الحب بحيث يصلح لمحب الأوثان والصلبان والإخوان والأوطان والمردان والنسوان كما يصلح لمحب الرحمن **نقلت** هذا الكلام في الصوفية من كلام ابن تيمية في السلوك ببعض التصرف ..

إذا عُلِمَ هذا تبين الوجدان الإيماني والوجدان الشيطاني وأن مايدعو إليه هذا وأمثاله هو حظ النفس الأمارة بالسوء

. والحب والشوق والوجدان بحسب متعلقها والوسيلة المحركة لها فإن كان متعلق المحبة الحي الذي لايموت ووسيلتها السماع القرآني الإيماني كما كان الصحابة رضي الله عنهم فهذا سبيل المؤمنين. وأما إذا كان المتعلَّق غير الله والوسيلة تحريك المحبة بالسماع الشيطاني فكما ذكر الشيخ حيث يكون التحريك صالح لمحب الأوثان والنسوان والمردان وغير ذلك من مُتَعلَّقات القلب التي لم يُخلق للتعلق بها .

وهذا الصنف من جنس أهل النار الذين يقولون وهم يعذبون فيها ويَعْنون من شرّكوه بمحبة إلههم الحق : { **تالله إن كنا لفي ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين** } وهم إنما سَوّوْهم بالمحبة. وتأمل ماذكره ابن تيمية رحمه الله عن السماع الشيطاني الذي يسميه هذا (الفن) : ذكر أنهم يخرجون به إلى أنواع من الفسوق بل خرج فيه طوائف إلى الكفر الصريح بحيث يَتَوَاجدون على أنواع من الأشعار التي فيها الكفر والإلحاد مما هو من أعظم أنواع الفساد . [1]

وإذا كان هذا حاصل في الماضي فالحاصل في هذا الزمان أسْوَء وأسْوَء . مع أن القرضاوي خلط في كتابه هذا نوعي الغناء: الذي يتخذ قربة وهو بدعة والذي يتخذ للهو وهو حرام . وإن كان أكثر كلامه على الأخير ولأنه هو الغالب على أهل الوقت وهو البحر الذي تتلاطم

---

[1] مجموعة الفتاوى 76/10 .

أمواجه والحَرور الذي يحرق وهّاجه . هان أمره على كثير من الناس . وكثرة المساس تقلل الإحساس . وزاد الطين بلّه تصدّر هذا وأمثاله مما استحكم من أجله الإلتباس . يقيسون الأمور بآرائهم . وبلا خوف ولاحياء يهيمون مع أهوائهم . حتى صاروا قدوة لكل مخذول يجري على منوالهم .

هل يسمو الإنسان بالغناء ؟

أما قوله : ونريد بالفن النوع الراقي الذي يسمو بالإنسان لا الذي يهبط به .

فيقال : ليس في الفن مايسمو بالإنسان بل هو طريق الهبوط والسفول والسّفه . قال تعالى : **{ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه }** وملّة إبراهيم ليس فيها فن القرضاوي بل فيها التحذير عنه . والسمو ليس إلا في نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهم وأتباعهم على الحقيقة أهل سمو الأرواح حيث تطلب أرواحهم المحبوب الحق فتصعد وتجول تحت العرش وماكان سماعهم إلا لكلام معبودهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ولم يجتمع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على استماع غناء قط لابكف ولابدف ولاتوَاجَد ولاسقطت بردته بل كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم بحديثه .

وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ والباقون يستمعون . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري : ذَكِّرْنا ربنا . فيقرأ وهم يستمعون .[1]

[1] مجموعة الفتاوى 296/11 .

هذا سماع أولياء الله وهو قرّة عيونهم ونعيم قلوبهم وليسوا كمن ليس له نصيب من الصّيّب إلا الرعْد والبرق .

ولذلك يقول شيخ الإسلام فيمن اعتاد السماع : ولهذا يوجد من اعتاده واغتذى به لايحنّ إلى القرآن ولايفرح به ولايجد في سماع الآيات كما يجد في سماع الأبيات . بل إذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية وإذا سمعوا سماع المُكاء والتصدية خشعت الأصوات وسكنت الحركات . وأصغتْ القلوب وتعاطت المشروب هذا سمو الغناء . [2]

---

[2] مجموعة الفتاوى 568/11 .

الوَلَـع بالجمـال

ثم قال : القرآن ينبه على عنصري المنفعة والجمال في الكون وإذا كانت روح الفن هي الإحساس بالجمال وتذوّقه فهذا ماعني القرآن بالتنبيه عليه وتأكيده في أكثر من موضع . فهو يلفت النظر بقوة إلى عنصر الحسن أوالجمال الذي أوْدعه الله في كل ماخلق إلى جوار عنصر النفع أو الفائدة فيها . كما أنه شرع للإنسان الإستمتاع بالجمال أوالزينة مع المنفعة أيضاً . ثم ذكر آيات من القرآن فيها ذكر بعض المخلوقات ومنافعها .[1]

هذا الذي ذكره لايشبه كلام السلف لأنه ترويج بضاعته الزائفة التي سماها (**الفن**) والقرآن أنزله الله سبحانه ليؤمن به العباد فيوحدوا ربهم ويخلصوا له متبعين بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم.

وفيه الأمر بالنظر في مخلوقات الله في الكون من السموات والأرض والسحاب المسخر والشمس والقمر والأنعام والجبال وماخلق الله في السموات والأرض لكن لِغرض سام شريف وهو زيادة الإيمان بالخالق سبحانه وشكره ومحبته .

أما كلام هذا وأمثاله فحقيقته صرف للقلوب عن المراد بقراءة القرآن وتدبره والتفكر في آيات الكون المشهودة لأجل زيادة الإيمان بتمييعه للدين واستعماله في الكلام

---

[1] ص 12 .

على آيات الله مالم يُعهد في كلام السلف من الفن وروح الفن وكأن القرآن يُجاري أفكار هؤلاء الضالة : ولقد شاهدنا من الخوض في القرآن في هذا الزمان مالم يُعهد له نظير فكل يُصَرّفه على مايهوى ويريد . ولو علم هؤلاء شأن القرآن ومن تكلم به علماً ينفعهم لما خاضوا هذا الخوض .

ولقد قال الصدّيق رضي الله عنه : أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا قلت في كلام الله مالا أعلم .

ثم قال القرضاوي : (إن الله جميل يحب الجمال) وهذا ما علّمه النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه . وقد تَوَهم بعضهم أن الوَلَع بالجمال ينافي الإيمان أويُدخل صاحبه في دائرة الكِبر المقيت عند الله وعند الناس .[1]

الجواب : هل علّم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن الله جميل يحب الجمال ليتولّعوا بالجمال كما يفهم هذا وأمثاله .

أم علّمهم ذلك ليعرفوا صفات ربهم فتتعلّق قلوبهم بمحبته سبحانه .

لقد توَلّع من تولّع بالجمال المخلوق فانقطع عن محبوبه الحق خالق الجمال . وقد أمر الله المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار خوف الفتنة والوقوع بما يصرف القلوب عن محبة إلهها الحق والتعلّق به . لأن العبد إذا تعلّق قلبه بصورة عكف عليها وحجبته عن ربه .

---

[1] ص 18 .

فقول هذا : وقد توهّم بعضهم أن الوَلَع بالجمال ينافي الإيمان. يُقال له : لقد تولّع من تولّع بالجمال فهلك بعبادة الجمال كما هو معروف مشهور من أشعارهم وحكاياتهم . ولقد فسدت عقول كثير من عشاق الجمال لانحراف فِطَرهم وقلوبهم وانصرافها عما خُلقت له . حيث أن قلوبهم تعلّقت بغير مُتَعَلَّقها الحق الذي خلقت لأجله لأن العبادة غاية الحب مع غاية الذل . ولأن مايتصف به الرب من صفة الجمال والكمال ومايوجب صرف المحبة كلها له بلا تشريك معه وتلّعق القلوب به سبحانه دون ماسواه أمر أعظم من أن يُحاط به بل هذا هو المقصود الأعظم لِعبوديته ولذلك فإن أحبّ شيء يعطيه أهل الجنة النظر إليه فهو أحب إليهم من نعيم الجنة المخلوق من الحور وغيرها .

وليس معنى هذا أن المؤمن جلف جاف لايعرف الجمال المخلوق أوْ لايميل إليه . ليس الأمر كذلك ولكنه يعلم أنه ممتحن في هذه الدار الفانية الزائلة بما فيها من الصور الجميلة سواء من بني آدم أوزهرة الحياة الدنيا فيتجافى عن ذلك اختياراً خوف الفتنة والإنقطاع عن الذي تشرق الأرض كلها بنوره سبحانه إذا جاء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده . والذي لو كشف الحجب التي بينه وبين خلقه لاحْترق كل ما أدركه بصره .

وهذا النور المحْرِق ليس كتأثير النار بالقابل للإحتراق وإنما نور الجلال والجمال والكمال والعظمة . وصفة (

الجميل) صريحة في هذا المعنى الجليل . لكن الرب سبحانه ليس كمثله شيء .. ومن عرف هذا عرف سِرّ العبودية ومعنى قوله تعالى : **{وأشرقت الأرض بنور ربها}** .

والقرضاوي بدأ كتابه في الكلام على الجمال ليدخل بذلك على جمال الأصوات بالغناء وغير ذلك مما في كتابه كالتوطئة والتهيئة . والمتابع للشرع لايغرّه هذا وأمثاله قال ابن القيم رحمه الله: فإذا كان للعبد صوت حسن ولوْ من أحسن الأصوات وبذا بصوته واستعمله في الغناء أبغض الله صوته كما يُبغض الصورة المستعملة في الفواحش ولو كانت من أجمل الصور وأحسنها.[1]

ثم قال القرضاوي تحت عنوان (**القرآن معجزة جمالية**) : فقد أعجز العرب بجمال بيانه وروْعة نظمه وأسلوبه وتفرد لحنه وموسيقاه حتى سماه بعضهم سحراً ..

سبق ورددت هذا الكلام الساقط على قطب حيث ذكر في مواضع من ظلاله الموسيقى يفسّر بها كلام الله . وماسبق هؤلاء أحد لمثل هذا من السلف فإنا لانجدهم يذكرون الألحان والموسيقى في كلامهم عن القرآن .

وإنما تفرّد بهذا الخلوف الزيوف . وكلام الله يُنزه عن مثل هذا. ولو قيل : مُوسيقاه : حسن نظمه فهو كلام ساقط لم يقله السلف .

---

[1] الكلام على مسألة السماع ص 374 .

ثم قال تحت عنوان (**التعبير عن الجمال**) [1] .

وإذا كان الإسلام قدْ دعا إلى الإحساس بالجمال وتذوّقه وحبه فإنه قد شرع التعبير عن هذا الإحساس والتذوق والحب بما هو جميل أيضاً .

هكذا يعبّر هذا المفتون عن الإسلام وأنه دعا إلى الإحساس بالجمال وتذوّقه وحبه وشرع التعبير عن هذا لإحساس والتذوق والحب بما هو جميل أيضاً . وكأنه يدعو الناس إلى الإفتتان بالعشق والحب وتذوّق الحب والتعلق بالصور الجميلة . وكيف يقول : قد شرع التعبير عن هذا الإحساس والتذوّق والحب بما هو جميل ؟ وهل شرع الله ورسوله الحب والتذوق وهل يعرف هذا مايخرج من رأسه ؟

إنه مازال في بداية كتابه يتكلم عن الذي سماه الفن ويتكلم عن الجمال والحب وعن الموسيقى زاعماً أن هذا كله قد أتى به القرآن ومراده من هذا التقديم ماسوف يظهر فيما بعد من كلامه وتهوينه شأن الغناء والموسيقى .

---

[1] ص 20 .

أئمة القرضـاوي
في الصور الجميلة والغناء

وإمام القرضاوي في الولَع بالجمال وغناء الموسيقى ابن سينا الذي يقول فيه ابن القيم : إمام الملحدين كذلك من أئمته فيه ابن الراوندي والفارابي .

قال ابن تيمية : في قول الشافعي في السماع أنه أحدثته الزنادقة. قال الشيخ : وماذكره الشافعي رضي الله عنه من أنه من إحداث الزنادقة كلام إمام خبير بأصول الإسلام . فإن هذا اسماع لم يُرَغِّب فيه ويدعو إليه في الأصل إلا من هو متهم بالزندقة كابن الراوندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم .

وقال شيخ الإسلام أيضاً : والفارابي كان بارعاً في الغناء الذي يسمونه الموسيقى وقال قدّس الله روحه : وابن سينا ذكر في إشاراته في (مقامات العارفين) في الترغيب فيه وفي عشق الصور مايناسب طريقة أسلافه الفلاسفة والصابئين المشركين الذين كانوا يعبدون الكواكب والأصنام كأرسطو وشيعته من اليونان .[1]

هؤلاء على الحقيقة هم أئمة القرضاوي في هذا الضلال المبين مع ابن حزم أيضاً وبَرّأ الله الصحابة وأئمة المسلمين مما افترى عليهم كما سيأتي من بهتانه .

---

[1] الفتاوى 570/11 .

الصوت الحسن

ولذلك يقول عن القرآن الذي يذاع في الإذاعات : فالقرآن دين وعلم وأدب وفن معاً فهو يغذي الروح ويقنع العقل ويوقظ الضمير ويمتع العاطفة ويصقل اللسان .[1]

ثم ذكر قوله تعالى : { **ورتل القرآن ترتيلاً** }[2] وقوله صلى الله عليه وسلم : (زينوا القرآن بأصواتكم)[3] .

وقوله : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)[4] وقول أبي موسى رضي الله عنه : (لو علمت ذلك لحبرته لك تحبيراً) وقوله صلى الله عليه وسلم : (ما أذِن الله لشيء ما أذِن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به)[5] .

وذكر مايذاع من القرآن في الإذاعات وقول بعض أهلها : إن سماع القرآن ليس ديناً فقط إنه استمتاع أيضاً بالفن والجمال المودع في القرآن والمؤدى بأحسن الأصوات .

الجواب : القرضاوي في مجال وميدان الدفاع عن قرآن الشيطان وهو لايجتمع مع قرآن الرحمن فلماذا يُورده هنا وإذا كان مراده الصوت الحسن فما أوْرده حجة

(1) ص : 20 .
(2) سورة المزمل الآية : 4
(3) رواه مسلم .
(4) البخاري وغيره .
(5) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

عليه ولايدل على مراده ومقصده لامن قريب ولا من بعيد .

قال ابن القيم رحمه الله : هذه الأدلة إنما تدل على فضل الصوت الحسن بكتاب الله لا على فضل الصوت الحسن بالغناء الذي هو مزمور الشيطان . ومن قاس هذا بهذا وشبّه أحدهما بالآخر فقد شبّه الباطل بالحق . وقاس قرآن الشيطان على كتاب الرحمن . وهل هذا إلا نظير من يقول : إذا أمر الله بالقتال في سبيله بالسيف والرمح والنّشاب دَلّ ذلك على فضيلة الطعن والضرب والرمي في غير سبيل الله بل على استحبابه . وذكر كلاماً ثم قال : إذا ثبت هذا فتحسين الصوت ندب إليه وحمد الصوت الحسن لما تضمنه من الإعانة على مايحبه الله من سماع القرآن ويحصل به من تنفيذ معانيه إلى القلوب مايزيدها إيماناً ويقربها إلى ربها ويُدنيها من محابه . فالصوت الحسن بالقرآن مُنفذ لحقائق الإيمان مُعين على إيصالها إلى القلوب فكيف يُجعل نظير الصوت الحسن بالغناء الذي يُنبت النفاق في القلب . وأخفّ أنواعه وأقلها شراً ماو ضعته الزنادقة يصدون به الناس عن القرآن .

فالصوت الحسن من هذا ينفذ حقائق النفاق والفجور والفسوق إلى القلب ولهذا يظهر في الأفعال وعلى اللسان .

فالسماع الشيطاني الذي يتقرب به أهله إلى الله ينفذ الصوت الحسن فيه حقائق النفاق إلى القلب . والسماع الآخر الذي يَعدّه أهله لهواً ولعباً ينفذ مايكرهه الله من

شهوات الفسوق إلى القلب فالإعتبار بحقائق المسموع والصوت الحسن آلة ومنفذ .[1]

أنظر كيف أن السماع الشيطاني بنوْعيه ينفذ إلى القلوب حقائق النفاق والفجور والفسوق . أما القرآن فيُصان عن أقل مما وقع فيه أهل الزمان ولا يُشرب أطيب الأشربه بآنية الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير . إن سماع القرآن بهذه الآلات الحادثة إهانة له .

والقرآن يُصان وينزه عن هذه المواضع التي لاتليق ولكن ما الحيلة أشربتْ القلوب الفتن .

---

[1] الكلام على مسألة السماع ص 315 .

شبهات القرضاوي

ثم قال روي عن ابن جريح أنه كان يُرَخّص في السماع فقيل له: أيؤتى به يوم القيامة في جملة حسناتك أوسيئاتك ؟ فقال : لافي الحسنات ولافي السيئات لأنه شبيه باللغو قال تعالى : **{لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم}** [(1)].

الجواب : قال ابن رجب : وقال ابن جريح : سألنا عطاء عن الغناء بالشعر فقال : لا أرى به بأساً مالم يكن فحشاً . ثم قال ابن رجب بعد ذلك : وهذا يُشير إلى ماذكرناه . والذي ذكره أنهم يترخصّون في غناء النصْب وهو كما قال البيهقي ضرْب من أغاني العرب وهو يشبه الحداء .[(2)]

فليس للقرضاوي حجة صحيحة على مراده .

قال شيخ الإسلام : ليس ابن جريح وأهل مكة ممن يُعرف عنهم الغناء . بل المشهور عنهم أنهم كانو يُعَيّرون من يفعل ذلك من أهل المدينة وإنما المعروف عنهم المتعة والصرف ثم هذا الأثر وأمثاله حجة على من احتج به فإنه لم يجعل منه شيئاً من الحسنات ولم يُنقل عن السلف أنه عَدَّ شيئاً من أنواعه حسنة . فقوله على ذلك لايخالف الإجماع [(1)] .

---

(1) ص : 32 .
(2) نزهة الأسماع ص 65 ، 66 .
(1) الإستقامة 275/1 .

ثم قال القرضاوي : على أننا نقول : ليس كل غناء لغواً . إنه يأخذ حكمه وِفْقَ نية صاحبه . فالنيّة الصالحة تحيل اللهو قربة والمزح طاعة. والنية الخبيثة تحبط العمل الذي ظاهره العبادة وباطنه الرياء . **{إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم}** [2] .

تأمل هذا التفصيل الشيطاني في الباطل فالنيّة الصالحة تحيل اللهو قربة . قال تعالى : **{ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله }** وقال صلى الله عليه وسلم : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) وهذا سماع منحرفة الصوفية وهو أعظم من سماع اللهو .

وقد قال فيه الشافعي : خلّفت ببغداد شيئاً أَحْدَثَتْهُ الزنادقة يُسمّونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن .

قال ابن القيم : فإذا كان هذا قوله في التغبير وتعليله : أنه يصدّ عن القرآن وهو شعر يُزهّد في الدنيا يُغني به مغنٍّ فيضرب بعض الحاضرين بقضيب على نِطع أومخدّه على توقيع غنائه فليت شعري مايقول في سماع التغبير عنده كتَفْلة في بحر قد اشْتمل على كل مفسدة إلى آخره .

---

[2] ص : 33 .

الــرقـص

ثم قال القرضاوي : قال الإمام الغزالي : إذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولاتصميم والمخالفة فيه مع أنه لافائدة فيه لايؤاخذ به فكيف يؤاخذ بالشعر والرّقص؟[1].

الجواب : إنه لايمكن أن تقوم حجة صحيحة على باطل ولكن مازال القرضاوي يُزيّف ليروِّج بضاعة الشيطان .

وكلام الغزالي ظاهر البطلان فالله عز وجل رفع المؤاخذه والحرج في لغو اليمين وحَرّم الغناء وليس في الآية مُتعلّق ولا منزع حتى يُستدل بها على إباحة الغناء فالآية حكمها في قضية خاصة فاللغو هنا مقيّد باليمين .

ثم انظر إلى القرضاوي المفتون فهو أيضاً يدعو إلى الرقص مع الغناء . فلا يرى بأساً بهذا السّفه والخفة والطيْش . قال تعالى : **{ولايستخفنك الذين لايوقنون }** .

وحاشا أولياء الله من الغناء والرقص والطيش والسّفه . ورحم الله من قال :

ماصَفّق القوم ولاهموا رقصوا ... ومالهم في الغنا والرقص من أرَبِ
وإنما لقوم في خوف وفي وَجَلٍ ... مابين باكٍ وأوّاهٍ ومُنْتَحِبِ
وفي الدياجي سجود لا هجوع لهم ... سَالَتْ دموعهموا خوفاً من الغضب
فهذه شيمة القوم الذين مَضَوْا ... والرقص من شِيَم الأفراد
إن يُنْقَرَ الطار أضحوا يرقصون

[1] ص : 33 .

له والدَّبَب
شِبْه البغال على الأقدام والرّكب

قال ابن القيم عن حركة الرقص أن سببها اسْتخفاف الشيطان لأحدهم وركوبه على كتفه ودقّه برجليه في صدره . وكلما دقّه برجليه ورقص على صدره رقص هو كرقص الشيطان عليه . وقد شاهد ذلك بعض أهل البصائر عياناً .[1]

ثم ذكر القرضاوي استماع النبي إلى الشعر وتأثره بزعمه به وقال : ومنه قصيدة كعب بن زهير الشهيرة (بانَتْ سُعاد) وفيها من الغزل ماهو معروف .

الجواب : القرضاوي كأنه يُرَوّج بضائع الغزل والحب والتعلق بغير الله وإنما يأتي بذلك من طريق الدين بزعمه لجهله به ولِغِوَايته . وكعب بن زهير إنما أنشد قصيدته التي مطلعها : (بانَتْ سعاد) تائباً من شركه وهجائه للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت عادة العرب يسْتفتحون أشعارهم بذكر المحبوبة أوالناقة فهو مانظم قصيدته للغزل كيف وهو في مجيئه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في غاية الرعب والذعر لأنه قد هجا النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة منها يخاطب أخاه بجير .

سقاكَ بها المأمون كأساً رَويَّةً فأنْهلكَ المأمون منها وعلّكا

---

[1] الكلام على مسألة السماع : 333 .

يُوَضّح القصة ماقاله ابن القيم رحمه الله [1] عن كعب أنه ضاقت به الأرض وأشْفق على نفسه وأَرْجف به من كان حاضره من عدوه فقال هو مقتول .

فلما لم يجد من شيء بُداً قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وإرْجاف الوُشاة به من عدوه.

ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة كما ذُكر لي فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح . فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هذا رسول الله فقم إليه واسْتأمنه . فَذُكر لي أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس إليه فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايعرفه فقال : يارسول الله إن كعب ابن زهير قد جاء ليسْتأمنك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إنْ أنا جئتك به؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . قال أنا يارسول الله كعب بن زهير . قال ابن إسحق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتاده أنه وثب عليه رجل من الأنصار فقال : يارسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعه عنك فقد جاء تائباً نازعاً .

---

[1] زاد المعاد 206/2 نقلاً عن ابن إسحاق .

قال : فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لِما صنع به صاحبهم وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير فقال قصيدته اللامية التي يصف فيها محبوته وناقته التي أولها .

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يُفْدَ مكبول

وذكرها . فهذه مناسبة القصيدة موقف ذعر ورعب وخوف من القتل فأين هذا والغزل . لكن هذا جرى مجرى أشعار الجاهلية يسْتفتحون قصائدهم بمثل هذا . وهذا واضح في المعلقات وغيرها. وقد أبْدل الله به المسلمين بذكره سبحانه في فواتح أمورهم فله الحمد والمنة .

كذلك فإن كعباً حديث عهد بالإسلام .

المســــرح

وقال القرضاوي : وفي عصرنا يمكننا أن نسْتحدث من القوالب ماشئنا وأن نقتبس من غيرنا ماينفعنا كالمسرحية والرواية والقصة القصيرة .[1]

الجواب : سيأتي في (البديل) إن شاء الله الكلام عن اتباع هذا وأمثاله سنن أهل الكتاب المذمومة المحذّر عنها من المسارح والمسرحيات وماشابه ذلك . وهنا يقول : ينفعنا . وهو نفع شيطاني غذاء النفس الأمارة واتباع الهوى . ومانفع آخر الأمة إلا بسلوك طريق أولها . وهل أولها على مايقوله هذا وأمثاله ويدعون إليه ؟

وأذكر هنا كلام ابن تيمية في كل ماظهر بعد الصحابة ولم يكن فيهم مما يزعم أهل الوقت أن فيه منفعة لأنه قاعدة عظيمة يُنتفع بها في مثل هذه الأمور . وبه يُكبح جماح هذا وأمثاله .

قال رحمه الله : لكن المقصود أن يُعرف أن الصحابة خير القرون وأفضل الخلق بعد الأنبياء .

فما ظهر فيمن بعدهم مما يُظَنّ أنها فضيلة للمتأخرين ولم تكن فيهم فإنها من الشيطان وهي نقيصة لافضيلة سواء كانت من جنس العلوم أومن جنس العبادات أو من

[1] ص : 23 .

جنس الخوارق والآيات أومن جنس السياسة والمُلْك . بل خير الناس بعدهم أتْبَعهم لهم.[1]

فهذا الذي يسميه مسرحية ورواية وقصة لم يكن في عهد الصحابة فهو من الشيطان ونقيصة لا فضيلة .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : (وإياكم ومحدثات الأمور) .

ثم ذكر القرضاوي أنه وُجِّهتْ له في أكثر من مكان أسئلة حول شرعية بعض القَوَالب الإسلامية الأدبية كالمسرحية والقصة حيث يخترع القصاص أو المؤلف المسرحي شخصيات ويُنطقها بأقوال وأمور لم تحدث في الواقع فهل يدخل هذا في دائرة الكذب المحرّم شرعاً؟

وكان جوابي : أن هذا لايدخل في الكذب المحظور . ثم استدل بما ذكر الله من قصة النملة والهدهد . يقول : فمن المؤكد أنهما لم يتحدثا بهذا الكلام العربي المبين .

إنما ترجم القرآن عما يمكن أن يكون قولهما في هذا الوقت وذلك الموقف .

الجواب : فأولاً كوْن القرضاوي ينسب إلى الإسلام المسارح والمسرحيات هذا افتراء منه فليس للإسلام مسارح ولامسرحيات وإنما هذه مواريث الرومان وغيرهم ممن نهينا عن التشبه بهم .

ولقد وَرِث هؤلاء مَنْ ورثهم فعملوا المسارح والمسرحيات فزادتهم عن الله بعداً .

---

[1] مجموعة الفتاوى 390/27 .

أما فتواه هذه فجهله فيها ظاهر . وقد لايكون كل هذا عن غلبة الجهل وإنما غلبة الهوى . فكوْن التمثيل لايدخل في الكذب هذا عجيب كما أن الإستدلال بما ذكر الله عن النملة والهدهد أعجب . فإذا كان الذي ورد في القرآن ترجمة لما قالته النملة وقاله الهدهد فهل يشبه هذا التمثيل بالمسارح من قريب أوبعيد ؟

وحقيقة الأمر أن هذا التمثيل الحادث مع أنه كذب فهو سخف وسَفَه . وأعظمه حرمة ماكان من تمثيل الأنبياء والملائكة والصحابة وعلماء الدين .

إنه لَوْ مَثّل هؤلاء أصلح الناس لكان كلابس ثوبي زور كيف والذين يمثلونهم لايلتبس أمرهم ويخفى إلا على أعظم الخلق غباء.

ثم قال القرضاوي : وقد شاركتُ شخصياً في التأليف المسرحي بعملين أحدهما :

مسرحية شعرية عن يوسف الصدّيق عليه السلام . وذلك في مطلع حياتي الأدبية .

والثاني : مسرحية تاريخية عن سعيد بن جبير والحجاج بن يوسف سَمّيتها : عالِم وطاغية . وقد مُثّلتْ في أكثر من بلد ولاقَتْ قبولا حسناً بخلاف الأولى لأنها تتعلّق بقصة نبي مرسل . والإتفاق بين علماء العصر مُنعقد على أن الأنبياء لايُمثّلون .

الجواب : يقول بتبجّح : شاركتُ شخصياً وكأنها فضيلة خُصَّ بها . وسأذكر فتوى شيخ الإسلام في شأن

الشيخ الذي يُتَوّب العصاة بطريق مبتدع . لأن القرضاوي وأمثاله يزعمون أن تمثيل الشخصيات الدينيه من الدعوة وأنه بسبب ذلك يهتدي الناس . وقدْ بَيّن الشيخ أن الخلق اهتدت على أيدي الأنبياء عليهم السلام بالطرق الشرعية .

والدعوة وغيرها لابد فيها من الإتباع وإلا فالضلال حاصل قطعاً لكن يغترّمن يغتر ببعض المصالح القليلة الهزيلة والتي تتلاشى وتضمحل بجانب المفاسد العظيمة . وهذا واقع كثيراً في وقتنا في التمثيل وغيره مما أُحدث في وسائل الدعوة وغيرها .

إن من يُمثّل يوسف أوغيره من الأنبياء قدْ جَرّأه الشيطان على أمر عظيم . ولو كان يعرف قدر الأنبياء لما حَدّثته نفسه بذلك . إنها والله مهازل تفجّرتْ بحارها في هذا الزمان .

أما قوله عن مسرحيته الثانية أنها لاقتْ قبولاً حسناً فممن لاقت هذا القبول الحسن عندك ؟

لاشك أن المفلس الخاسر هو من يعتدّ بقبول من يحضرون هذه المواضع ويرضوْنها . { **ولا تعجبك كثرة الخبيث** } .

ومعلوم أننا في زمان التصويت وكثرة الأصوات والشهادات والدرجات والإستحسانات وذلك على هَدْي مُسْتَورد من أهل الغضب والضلالات . فلا عجب .

إن من يُعْتَدّ باسْتحسانهم وقبولهم لو كان لهم وجود فإنهم لايشهدون هذه المواطن ولايقربونها . وقد أثنى الله

على أوليائه بأنهم (لايشهدون الزور) وسمي زوراً لا زْوراه عن الحق . فهذا شامل لكل ما أُحْدث بعد القرون المفضّلة مما ليس هو على نهجهم. وتقدم كلام شيخ الإسلام على ما أُحدث بعد الصحابة مما يُعَدّ عند المتأخرين فضيلة وأنه من الشيطان ونقيصة . إن تمثيل الأنبياء عليهم السلام جريمة عظيمة ولاشك أنه داخل في قوله تعالى: { **قل إبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون** } .

وإنما يزول العجب لهذه الجرأة بمعرفة معنى قوله تعالى : {**إتخذوا دينهم هزواً ولعبا**} ومعرفة معنى قوله صلى الله عليه وسلم : (لتتبعن سنن من كان قبلكم) الحديث .

مَنْ هذا اللئيم السخيف الفاجر الفاسق الذي يتقمّص شخصية الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم لوْلا الضلال وحب الشهرة . ومعلوم أن المبطل ترضيه الكلمة التي فيها مدحه ولوْ كانت باطلاً. نعوذ بالله من الزيغ .

اسم جديد للغناء والموسيقى

ثم قال تحت عنوان : (فن الجمال المسموع . الغناء والموسيقى) . لقد تبين لنا فيما ذكرناه من خلال النصوص عناية الإسلام بالجمال وحرصه على تربية تلك الحاسة التي تجعل الإنسان يشعر بالجمال ويتذوّقه في مجالاته المتنوّعة .

ومن الجمال مايتجلى لحاسة السمع ومنه مايتجلى لحاسة البصر ومنه ما يتجلى لحواس أخرى . ونريد هنا أن نتحدث عن الجمال المسموع وبعبارة أخرى عن الغناء سواء أكان بآلة موسيقية أم بغير آله ويلزمنا أن نجيب عن هذا السؤال الكبير : ماحكم الإسلام في الغناء والموسيقى ؟

القرضاوي يخرج علينا بإسم جديد للغناء المحرم والموسيقى المحرمة وهو : (فن الجمال المسموع) وهذه التسمية وحي شيطاني لأن الغناء في كلام السلف رقية الزنا ومزامير الشيطان وهو في القرآن لهو الحديث كما ذكر ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما على قوله تعالى : { **ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ويتخذها هزواً** } وهذا من جنس تسمية الخمر بغير اسمها .

والمراد أن القرضاوي نصب نفسه للحكم في أمر منتهىً منه. فقد تكلم به العلماء قبل وجوده وهو مفتون

تتجارى الفتنة في عروقة ولذلك كسّر الأبواب وهدم الحصون في أمر لايتعرّض لتهوينه إلا مفتون . لقد عارض الصحابة والأئمة وعلماء الأمة وهو بالنسبة لهم ولا قلامة ظفر . ولا يُحْسَد على تصدّره لفتواه بإباحة قرآن الشيطان ومزماره فإن الله تعالى يقول : { **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم**} .

لقد اعتمد كغيره من المفتونين بمزامير الشيطان وقرآنه على ابن حزم .. وردود العلماء على ابن حزم في ذلك كثيرة مشهورة حتى من المتأخرين فليس عند القرضاوي إلا شبهات فاسدة وتأويلات خبيثة يُهَوّن بها المحرمات .

فمسئلة الغناء والشبهات الواردة على أدلة تحريمه من جنس الشبهات الواردة على أدلة الحجاب والتصوير . وقد كُتب في هذا كتابات كثيرة شهيرة (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) ووالله لوْ استقام للقرضاوي احتجاجه بابن حزم وغيره وأنىّ له ذلك لما كان مراد ابن حزم ولاغيره ممن تساهلوا بأمر الغناء غناء اليوم ولا مايقاربه حيث غناء اليوم بلغ الغاية من الفتنة.

قال القرضاوي عن السؤال عن حكم الإسلام في الغناء والموسيقى : سؤال اختلف جمهور المسلمين اليوم في الإجابة عليه.[1]

---

[1] ص : 27 .

والجواب : أنه لاعِبْرة بمن خالف أمراً ثبت تحريمه في الشرع. ولوْ أعْتُدّ بمثل هذه المخالفات وأُقيم وزن للمخالفين لانتهكت محارم الله وفسد الدين فإنه مايزال المفتونون يُلْقون بالشبه الواهية يزينونها بزخارف أقوالهم على الحق الواضح البيّن ومايهلكون إلا أنفسهم . كما قال تعالى : **{ ومايخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون}** كمثل هذا المفتون الذي يَغُرّ الجهلة أتباع كل ناعق بزخرف قوله:

ثم قال : فمنهم من يفتح أذنيه لكل نوع من أنواع الغناء ولكل لوْن من ألوان الموسيقى مُدّعيا أن ذلك حلال طيب من طيبات الحياة التي أباح الله لعباده .

هذا الكلام يغرّ به القرضاوي الناس وكأنه على صراط مستقيم وكأنه مُشفق على الخلق أن يقعوا في المحرمات وإنما سوف يتبين من كلامه مايكشف انحرافه وضلاله .

وتأمل هنا قوله : كل نوع من أنواع الغناء وكل لون من ألوان الموسيقى . ومعلوم أنه يتكلم عن غناء الوقت وموسيقاه . فهذا التقسيم يُفهم منه أن من انتقى من أغاني الإذاعات والمسرحيات والسينمات وموسيقاها الحلال فلا عليه وإنما المذموم من يفتح أذنيه لكل نوع . فتأمل الدسائس .

والمسلم منهي عن مقاربة الفتنة لأنه بمقاربتها يعرّض نفسه للوقوع فيها كالراعي يرعى حول الحمى .

ثم قال : ومنهم من يُغلق الراديو أو يغلق أذنيه عند سماع أيّة أغنية قائلاً : إن الغناء مزمار الشيطان ولهو الحديث ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة . وخاصة إذا كان المغني امرأة . فالمرأة عندهم صوتها عورة بغير الغناء فكيف بالغناء ؟ ويستدلون لذلك بآيات وأحاديث وأقوال .[1]

أنظر مصداق قوله تعالى : { ولتعرفنهم في لحن القول } وكيف يُشَوِّه من لايستمع الغناء . أما الراديو فمن استعمله فقد ألْقى نفسه في الفتنة لم يُعَرّضها لها تعريضاً .

وانظر افترائه الكذب على من لايُوافقه في ضلاله وباطله وتشْنيعه عليهم بقوله : فالمرأة عندهم صوتها عورة بغير الغناء فكيف بالغناء . وقد كذب فما علمنا أحداً يقول : إن صوت المرأة عورة . ولكنه التشنيع والتشويه . وإنما المنهي عنه خضوعها بالقول كما نهى الله أمهات المؤمنين وهذا نهي لجميع المؤمنات عن نوع معيّن من الصوت وهو مافيه خضوع وليونة ورقة من أجلها يطمع مريض القلب فيما لايحل له.

ثم يقول : ومن هؤلاء من يرفض أي نوع من أنواع الموسيقى حتى المصاحبة لمقدمات نشرات الأخبار .

مازال في السخرية والإستهزاء وأن الذين لايوافقونه على هواه من غلوّهم وشدتهم أنهم حتى موسيقى الأخبار يرفضونها . يعني بلغ بهم التشديد والغلو إلى هذا الحد .

---

[1] ص : 27 .

مثل قوله : صوت المرأة عندهم عورة .
فهو منطلق مع الراديو وأنواع موسيقاه ومن يخالفه يشنع عليه إذاً إذا جاءت الموسيقى بالراديو وفي التقديم لنشرات الأخبار فلا بأس بها . وسيتبين من كلامه ماهو أقبح من هذا .
ثم قال : ووقف فريق ثالث متردداً بين الفريقين ينحاز إلى هؤلاء تارة وإلى أولئك طوْراً ينتظر القول الفصل والجواب الشافي من علماء الإسلام في هذا الموضوع الخطير الذي يتعلق بعواطف الناس وحياتهم اليومية وخصوصاً بعد أن دخلت الإذاعة المسموعة والمرئية على الناس بيوتهم بجدّها وهزلها وجذبت إليها أسماعهم بأغانيها وموسيقاها طوعاً وكرهاً . [1]
يُخيّل للقرضاوي أن الناس ينتظرون منه القول الفصل والجواب الشافي لهذه المسألة الخطيرة وكأنه المنقذ للأمة . والأمة عالة عليه في قضاياها الخطيرة .
أما عَلِم أنه لايغتر به وبأمثاله إلا مفتون . ولايُعوّل عليه في أحكام الشرع المطهرّ إلا مغبون . أما علم معنى قوله تعالى : **{وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون }** أما عَلِمَ أنه وُجد في زمان يليق به .
كما ورد في الحديث من قبض العلماء . ولوْلا ذلك كله ماتعرض لهذه الأمور الخطيرة المنتهى منها قبل وجوده .

---
[1] ص : 27 .

أما زعمه تعلق الغناء والموسيقى بعواطف الناس وحياتهم اليومية فهذا من الدّغدغة لتلك العواطف المنحرفة . وليس كل الناس ولله الحمد دخلت عليهم هذه الدواهي التي ذكر . ومن دخلت عليه فليس الكلام معه من أجل الموسيقى والغناء فقط وإنما الكلام معه على إدخالها ومن عَرّض نفسه للفتن فلا يلومن إلا نفسه .

ثم ذكر أن علماء الإسلام اتفقوا على تحريم كل غناء يشتمل على فحش أوفسق أوتحريض على معصية إذ الغناء ليس إلا كلاماً فحسنه حسن وقبيحه قبيح . وكل قول يشتمل على حرام فهو حرام فما بالك إذا اجتمع له الوزن والنغم والتأثير ؟ .[1]

نعم هذا هو الصواب وهو حجة عليه وهو لم يأت به لِيُقَرّه ويسلك فيه سبيل علماء الإسلام وإنما جاء به كالمدخل لمراده وغرضه . **ولذلك قال :**

واتفقوا على إباحة ماخلا من ذلك من الغناء الفطري الخالي من الآلات والإثارة وذلك في مواطن السرور المشروعة كالعرس وقدوم الغائب وأيام الأعياد ونحوها بشرط ألا يكون المغني امرأة في حضرة أجانب منها وقد وردت في ذلك نصوص صريحة سنذكرها فيما بعد .

قوله : الغناء الفطري . كأن الناس قد فطروا على الغناء وإنما فُطروا على التوحيد . والميل إلى الغناء

---

[1] ص : 28 .

انحراف عن الفطرة المستقيمة وهو من اجْتيال الشياطين لبني آدم .

ثم قال : واختلفوا فيما عدا ذلك اختلافاً بيّناً . فمنهم من أجاز كل غناء بآله وبغير آله بل اعتبره مستحباً . ومنهم من منعه بآله وأجازه بغير آله ومنهم من منعه منعاً باتاً بآله وبغير آله وعدّه حراماً بل ربما ارتقى به إلى درجة الكبيرة .

(هذا هو الذي يريد القرضاوي) ليس الكلام الأول الذي ذكر فيه اتفاق علماء الإسلام على تحريم كل غناء إلى آخره .

وإنما أراد (واختلفوا) ليبني على ذلك بناءه المنهار لعلمه أن ليس له طريق لتهوين أمر قرآن الشيطان إلا تتبع زلات العلماء والإعْتداد بخلاف من لايُعْتدّ بخلافه . ومعلوم أن من تتبع زلات العلماء تزندق .

هذا مع أن العلماء الذين زلّوا بحكم الغناء لايقصدون مايطلق عليه اسم الغناء اليوم ولا مايُقاربه لكن هو يعمل كما يقولون من الحبّة قبّة .

والغناء لايُفهم منه اليوم إلا أعظم مما قال ابن القيم رحمه الله عن غناء أهل زمانه : لو كانت المرأة تحبل من الغناء لحبَلتْ من هذا الغناء .

ثم قال القرضاوي : ولأهمية الموضوع نرى لزاماً علينا أن نفصل فيه بعض التفصيل . ونلقي عليه أضواء كاشفة لجوانبه المختلفة حتى يتبين للمسلم الحلال فيه من

الحرام متبعاً الدليل الناصع لامقلداً قول قائل . وبذلك يكون على بينة من أمره وبصيرة من دينه .

كلام القرضاوي يُوهم أن أمر الغناء ملتبس على الأمة وليسوا على بيّنة فيه ولابصيرة وإنما جاء لينقذ الأمة بالدليل الناصع فيلقي على الغناء والموسيقى أضواء كاشفة تبين الحلال فيه من الحرام.

أقول : خابت الأمة وخسرت إن أصبحت عيالاً عليك وعلى أمثالك في أمور دينها وإنما هو الغرور والإعجاب بالنفس . والمسلم الموفق يعلم أنه مايهوّن أمر الغناء والموسيقى إلا مفتون. وإنما يُقيّض هذا وأمثاله لمن ينطبق عليهم معنى قوله تعالى : **{وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم وماخلفهم}** أي حَسّنوا لهم أعمالهم الباطلة فلا يرون أنفسهم إلا محسنين .

ثم ذكر آيات وأحاديث تحت عنوان : (الأصل في الأشياء الإباحة) [1] ثم قال : وإذا كانت هذه هي القاعدة فما هي النصوص والأدلة التي استند إليها القائلون بتحريم الغناء وماموقف المجيزين منها ؟ ثم قال بعد ذلك : (أدلة المحرّمين للغناء ومناقشتها) ثم بدا ينقض ما تكلم به أهل السنة من أدلة تحريم قرآن الشيطان قائماً بالنيابة عنه .

---

[1] ص : 29 .

لهو الحديث

قال القرضاوي : إستدل المحرّمون بما رُوي عن ابن مسعود وابن عباس وبعض التابعين أنهم حرموا الغناء محتجين بقول الله تعالى : **{ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين }**[1] .

وفسّروا لهو الحديث بالغناء ..

الجواب : أول وأعظم ما اعْتمد عليه القرضاوي : بإبطال أدلة تحريم قرآن الشيطان ابن حزم . وقرون الأوعال في هذا الزمان قدْ يُظن أنها تهدّ الجبال . إذا اسْتحكم الهوى وطغى الخيال . والعجيب أن كل من فيه ميل لمزامير الشيطان لايجد من يُعَوِّل عليه في اتباع هواه إلا ابن حزم مع العلم أنه بماذهب إليه مخالف للعلماء . وقد بيّنت بعض ذلك في (إعانة المتعالي لرد كيد الغزالي) ومعلوم أنه من تتبع زلاّت العلماء تزندق.

ولذلك أول مابدأ به لنقض أدلة تحريم الغناء بزعمه ابن حزم.

قال : قال ابن حزم : ولاحجة في هذا لوجوه :

أحدها : أنه لاحجة لأحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم.[1]

---

(1) سورة لقمان . الآية : 6 .

(1) ص : 31 .

الجواب : أن تفسير الآية بالغناء قد صَحّ عن ابن عباس وابن مسعود . وصَحّ أيضاً عن ابن عمر . ذكر ذلك ابن القيم وذكر أن تفسير الصحابة أوْلى بالقبول من تفسير مَنْ بعدهم فهم أعلم الأمة بمراد الله عز وجل من كتابه . فعليهم نزل وهم أول من خوطب به من الأمة .

وقد شاهدوا تفسيره من الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم علماً وعملاً . وهم العرب الفصحاء على الحقيقة فلا يُعدل عن تفسيرهم ماوُجِدَ إليه سبيل .[2]

وذكر ابن رجب تفسير لهو الحديث بالغناء قد جاء عن غير واحد من أكابر التابعين ومن بعدهم منهم مجاهد وعكرمة والحسن وسعيد بن جبير ومكحول وقتادة وإبراهيم النخعي.[3]

كذلك ذكر ابن رجب ق0ول ابن مسعود على الآية : هو والله الغناء . وقول ابن عباس : هو الغناء وأشباهه .

وجاء ذلك عن حبيب بن أبي ثابت وعمرو بن شعيب وعلي بن بذيمة فهل يكون ابن حزم حجة وهؤلاء كلهم غير حجة ؟ أم أن الهوى الغالب يصنع بصاحبه العجائب .

والثاني : أنه قد خالف غيرهم من الصحابة والتابعين . ليس الأمر كذلك فقول ابن حزم أنه قدْ خالف غيرهم من الصحابة والتابعين غير صحيح .

ويأتي إن شاء الله مايبين ذلك في موضعه .

---

[2] إغاثة اللهفان : 240 .

[3] نزهة الأسماع ص : 27 .

والثالث : أن نص الآية يبطل احتجاجهم بها لأن فيها : **{ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً}** وهذه صفةٌ مَنْ فعلها كان كافراً بلا خلاف إذا اتخذ سبيل الله هزواً . قال ولوْ أن امرءاً اشترى مصحفاً ليُضل به عن سبيل الله ويتخذه هزواً لكان كافراً . فهذا هو الذي ذَمّ الله تعالى . وماذَمّ قط عز وجل من اشترى لهو الحديث ليتلهى به ويُرَوّح عن نفسه لا ليضل عن سبيل الله تعالى فبطل تعلّقهم بقول هؤلاء . وكذلك من اشتغل عامداً عن الصلاة بقراءة القرآن أوبقراءة السنن أوبحديث يتحدث به أوبغناء أوبغير ذلك فهو فاسق عاصٍ لله تعالى ومن لم يُضيع شيئاً من الفرائض اشتغالاً بما ذكرنا فهو محسن.[1]

لقد أتْعب القرضاوي نفسه في نقل كلام ابن حزم هذا بلا طائل فالآية يُسْتدل بها على الشرك والغناء كما استدل بها الصحابة على تحريم الغناء وهي حجة في ذلك .

قال ابن جرير في تفسيره : الصواب من القول في ذلك أن يقال: عَنى به كل ماكان من الحديث مُلْهياً عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أورسوله لأن الله تعالى عَمّ بقوله : (لهوالحديث) ولم يُخصص بعضاً دون بعض فذلك على عمومه حتى يأتي مايدل على خصوصه . والغناء والشرك من ذلك .

---

[1] ص : 31 .

وقوله : { **ليضل عن سبيل الله** } يقول : ليصدّ ذلك الذي يشتري من لهو الحديث عن دين الله وطاعته ومايُقرب إليه من قراءة قرآن وذكر الله . ثم رَوى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : سبيل الله قراءة القرآن وذكر الله قال : وهو رجل من قريش اشترى جارية مُغنية . إنتهى .

إذا عُلم ذلك فأهل الغناء لهم نصيب من الذم في الآية كذلك من يستمع إليهم لاسيما وكثير من أغاني الوقت فيها الكفر من التصريح بعبادة المحبوب والإستهزاء بالدين وغير ذلك .

وكيف يقول ابن حزم الذي قلّده القرضاوي : ماذم الله قط من يشتري لهو الحديث ليتلهى به ويُرَوّح نفسه .

فما الذي يخرج عن الذم في هذه الآية من يشتري لهو الحديث لذلك ؟ وهل هذا إلا مغالطة بل ومكابرة ؟ وتقدم كلام ابن جرير في ذلك .

وهل الإنسان إذا اشترى لهو الحديث الذي هو الغناء كما فسره بذلك الصحابة وغيرهم ليتلهى ويروّح عن نفسه يكون هذا حجة ودليلاً شرعياً على الإباحة ؟ قد يقول شارب الخمر مثل هذا فما الجواب ؟

اللغـو

ثم قال القرضاوي في نقضه بزعمه أدلة تحريم الغناء قال : واستدلوا بقوله تعالى في مدح المؤمنين :
{ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه } [1] والغناء من اللغو فوجب الإعراض عنه . قال : ويُجاب بأن الظاهر من الآية سَفَه القول من السب والشتم ونحو ذلك . وبقية الآية تنطق بذلك . قال تعالى : **{ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لانبتغي الجاهلين }**[2] فهي شبيهة بقوله تعالى في وصف عباد الرحمن : **{ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}**[3] .

الآية تدل على الغناء لأنه لغو باطل مُفسد للقلوب والعقول موجب للإعراض عن الحق لأن القلب إذا أصْغى إلى شيء أعرض عن غيره وهو إناء واحد فإذا امتلأ من قرآن الشيطان لم يكن طيباً نظيفاً لاستقبال قرآن الرحمن كما قال ابن القيم :

حب الكتاب وحب ألحان الغناء   في قلبي عبد ليس يجتمعان

وقال ابن القيم : وهذه الآية وإن كان سبب نزولها خاصاً فمعناها عام متناول كل من سمع لغواً فأعرض عنه . إلى آخره ويأتي إن شاء الله في آخر الكتاب . فالغناء

---

(1) سورة القصص . الآية : 55 .
(2) سوةر القصص . الآية : 55 .
(3) سورة الفرقان . الآية : 63 .

أولى مادخل باللغو من غيره لأنه من أعظم الفتن المزيغة للقلوب المسْكرة للأرواح .

ثم قال القرضاوي : ولوْ سلّمنا أن اللغو في الآية يشمل الغناء لوجدنا الآية تستحب الإعراض عن سماعه وتمدحه وليس فيها مايوجب ذلك .[1]

الجواب : أن أدلة تحريم الغناء ثابته وهو أوْلى مادخل في اللغو ثم الإعراض أنواع . إعْراض مستحب وإعراض واجب . والإعراض هنا عام لأنه من صفات المؤمنين فكيف لايدخل فيه الإعراض الواجب عن الغناء المحرم .

ثم قال : وكلمة اللغو ككلمة الباطل تعني مالا فائدة فيه . وسماع مالا فائدة فيه ليس محرماً مالم يضيّع حقاً أو يُشغل عن واجب .

الجواب : القرضاوي يبذل جهداً جهيداً لنقض أدلة تحريم مزامير الشيطان ولايقدر على شيء فلم يبق لديه إلا المكابرات والجدل العقيم . ولذلك يحاول الحدّ من معنى اللغو حتى لاتقترب من حماه . وإذا كانت كلمة اللغو ككلمة الباطل أوَليست كلمة الباطل تشمل كل ماخالف الحق الشرك فما دونه ؟ فما الذي يخرج قرآن الشيطان ؟ وكيف حصر القرضاوي معنى كلمة الباطل بما لافائدة فيه فقط لوْلا مغالطاته واتباعه لهواه .

---

[1] ص : 32 .

وسيأتي إن شاء الله في الملحق كلام ابن القيم عن الباطل في أسماء مزامير الشيطان واللغو وغيره محرّم . فالله بين دينه وبين كل متعلم مفتون وعابد جاهل .[1]

وإذا كان هذا كلام ابن القيم في غناء أهل زمانه فكيف مانحن فيه من ارتفاع السيل فوق الزّبى وسوف يأتي في الآخر إن شاء الله هذا الكلام وزيادة بيان عن الغناء وآثاره من كلامه رحمه الله.

---

[1] إغاثة اللهفان 229/1 .

إبن حــزم

ثم قال القرضاوي : وننقل هنا كلمة جيدة قالها ابن حزم في (المحلى) رَداً على الذين يمنعون الغناء قال : إحتجوا فقالوا : من الحق الغناء أم من غير الحق ؟ ولا سبيل إلى قسم ثالث وقد قال تعالى : { **فماذا بعد الحق إلا الضلال** } فجوابنا وبالله التوفيق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء مانوى) فمن نوى باستماع الغناء عَوْناً على معصية الله فهو فاسق . وكذلك كل شيء غير الغناء . ومن نوى به ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل ويُنشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع محسن . وفعله هذا من الحق . ومن لم يَنْوِ طاعة ولامعصية فهو لغو معفو عنه كخروج الإنسان إلى بستانه وقعوده على باب داره متفرجاً . وصبْغه ثوبه لا زَوَرْديّاً أوأخضر أوغير ذلك ومَدّ ساقه وقبْضها وسائر أفعاله .[1]

أما قول القرضاوي : وننقل هنا كلمة جيدة قالها ابن حزم في (المحلى) فإنما صارت جيدة لموافقتها لهواه .

وابن حزم تكلم فيه العلماء وبيّنوا ماضلّ فيه وزلّ وسأنقل طرفاً من ذلك مما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية .

---

(1) ص : 34 .

قال : كان ابن حزم كثير الوقيعة في العلماء بلسانه وقلمه فأوْرثه ذلك حِقداً في قلوب أهل زمانه . ومازالوا به حتى بَغّضَوه إلى ملوكهم فطردوه عن بلاده . كل العجب منه أنه كان ظاهرياً حائراً في الفروع لايقول بشيء من القياس لا الجلي ولاغيره . وهذا الذي وَضَعَهُ عند العلماء وأدْخل عليه خطأ كبيراً في نظره وتصرّفه . وكان مع هذا من أشد الناس تأويلاً في باب الأصول وآيات الصفات وأحاديث الصفات لأنه كان أولاً قدْ تضلّع من علم المنطق ففسد بذلك حاله في باب الصفات .

وقال ابن كثير أيضاً : ورأيتُ في ليلة الإثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ثلاث وستين وسبعمائة الشيخ محي الدين النووي رحمه الله فقلت له : ياسيدي الشيخ لِمَ لا أدْخلتَ في شرحك المهذب شيئاً من مصنفات ابن حزم ؟ فقال ما معناه : أنه لايحبه . فقلت له : أنت معذور فيه فإنه جمع بين طرفيْ النقيضين في أصوله وفروعه أما هو في الفروع فظاهريّ جامد يابس وفي الأصول قول مائع قرمطة القرامطه وهَرَس الهرائسة . ورفعت بها صوتي حتى سمعت وأنا نائم ثم أشَرْتُ له إلى أرض خضراء تشبه النخيل بل هي أرْدأ شكلاً منه لايُنتفع بها في اسْتغلال ولارعي فقلت له : هذه أرض ابن حزم التي زرعها . قال : أنظر هل ترى فيها شجراً مثمراً أوشيئاً يُنتفع به ؟ فقلت : إنما تصلح للجلوس عليها في ضوء القمر.

فهذا حاصل ما رأيته . ووقع في خلدي أن ابن حزم كان حاضرنا عندما أشرْت للشيخ محيي الدين إلى الأرض المنسوبة لابن حزم وهو ساكت لا يتكلم ..

هذا بعض ماقيل في ابن حزم . أما ردّ العلماء قوله في إباحة الغناء فمشهور ويأتي بعضه في موضعه إن شاء الله .

وأما الغزالي فتكلم العلماء فيه أيضاً ولاسيما كتابه (الإحياء) الذي ينقل منه القرضاوي ومادخل فيه من ضلالات الفلاسفة ومايحويه هذا الكتاب من الأحاديث الموضوعة وغير ذلك من الباطل المخالط للحق .

والمراد أن ماذكره ابن حزم من قول المانعين للغناء أنه إما حقاً وإما باطلاً فكلام سليم مستقيم مايزال يعتقده أهل الفرقان الديني ويعملون بموجبه بخلاف الفجرة الذي يتبعون أهوائهم بغير هدى من الله . وما أحسن استدلالهم بكلام ربهم { **فماذا بعد الحق إلا الضلال** } لكن القرضاوي معجب بعماية ابن حزم في شأن الغناء ونحن نعذره لما ينطبق عليه من المثل القائل : (إذا أعطيت أخاك تمرة فلم يقبلها فأعْطه جمرة) .

فلمّا لم يرفع القرضاوي رأساً بكلام الله في لهو الحديث وكلام رسوله في تحريم المعازف وتفسير الصحابة رضي الله عنهم للهو الحديث بالغناء .

وكذلك العلماء الأجلاء بعدهم لجأ إلى زلات العلماء من ابن حزم والغزالي لإفلاسه ولِغَلبة هواه .

وقد ورد التحذير من زلات العلماء فقد وردت أحاديث في ذلك ولعظم هذا الأمر قال عمر رضي الله عنه لزياد بن حدير : هل تعرف مايهدم الإسلام ؟ قال : قلت : لا قال : (يهدمه زلّة العالِم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين) .

ويقال : إذا زل العالم زَلّ بزلته عالَم . ويقال من تتبع زلات العلماء تزندق .. وقال الإمام أحمد : وقال سليمان التيمي : لَوْ أخذتَ برخصة كل عالم أوْزلّة كل عالِم اجتمع فيك الشر كله .

أما قول ابن حزم : فمن نوى باستماع الغناء عوْناً على معصية الله فهو فاسق . فالغناء أعظم مُعين على المعاصي وهو في نفسه معصية لأنه يسكر الأرواح أعظم من سكر الخمر .

قال شيخ الإسلام : يؤثّر في النفوس أعظم من تأثير الخمر . ولهذا إذا قَوِيَتْ سكرة أهله نزلت عليهم الشياطين وتكلمت على ألْسنة بعضهم وحملْت بعضهم في الهواء . وقد تحصل عداوة بينهم كما تحصل بين شُرّاب الخمر . إلى آخره . (1)

ومما يبين أنه في نفسه معصية قول بعض العارفين : السماع يُورَث النفاق في قوم . والعناد في قوم . والكذب في قوم . والفجور في قوم . والرّعونة في قوم .

(1) الفتاوى 298/11 .

إذا فُهِمَ هذا تبيّن أن الغناء نفسه معصية وأنه حرام بذاته .

ثم يقول ابن حزم : ومن نوى به تَرْويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل ويُنشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع محسن وفعله هذا من الحق .

الجواب : أن هذا الكلام فيه من الضلال مايعلمه الله حيث يظن الجاهل أن الغناء يُرَوّح عن النفس وهو على الحقيقة بضد ذلك تماماً لكن الذي يجده المفتون فيه هو مثل مايجده صاحب السكر من النّشوة فقلبه يلهو بهذا الطرب عن همومه وغمومه فإذا انقطع عاد إليه الهم والغم أشد من قبل .

ولذلك ذكر شيخ الإسلام أنه لايخلو من بَعُدَ قلبه عن ربه من شراب مسكر أورؤية ملهي أوسماع مطرب . إنتهى .

فهو يتخيلها أدوية لضيق صدره وتكدّر باله وسوء حاله وإنما يستجير من الرمضاء بالنار . حيث هذه الثلاث تزيد مرضه .

ولاشفاء للقلب على الحقيقة إلا بمعرفة ومحبة من فُطَر على محبته والتعلّق به وحده لكن نحن لجهلنا وغَلبَة أهوائنا نَفِرّ مما يُسْعدنا إلى مايُشقينا . ثم أن هذه الثلاث ماوُجدت في زمان مثل زماننا من عهد آدم عليه السلام لاكمية ولا كيفية .

وهو إيذان بقرب الأمر قال تعالى : { **لاهية قلوبهم** } إن القلب لاسرور له ولا نعيم لافي الدنيا ولافي الآخرة إلا بإفراد محبوبه الحق وهذا لايحصل إلا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى : { **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**} الآية . والذي يحصل له هذا هو الذي يُحسّ ويُشعر بسرور قلبه وانشراح صدره وتكون الثلاث المتقدمة الذكر أبغض شيء إليه وهي غذاء وعيش النفس الأمارة المحجوبة عن ربها .

والمراد أن كلام ابن حزم هذا الذي فَرِحَ به القرضاوي كلام ساقط بل وضلالة . ومن العجائب إدْخال النيّة في المحرم شرعاً . هل هذه النية تحيله إلى الحلال ؟ إن النية لاتزيل حكم تحريم المحرم ولوْ قُصِدَ بها الإستعانة على الحلال . فتأمل .

والعجب أن جعل ابن حزم هذا الذي ذكر : مطيع محسن من أين أتى بهذا ؟ وقد قال تعالى : { **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله** } وقال صلى الله عليه وسلم : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) .

والمطيع المحسن هو من وصف الإله سبحانه بقوله تعالى : {**بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن** } فإسلام الوجه الإخلاص للمعبود الحق سبحانه والإحسان متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم. وهل كان يروّح صلى الله عليه وسلم عن نفسه بقرآن الشيطان ومزاميره ؟.

إن هذا عيش النفس الأمارة وحظها أما النفس المطمئنة فلها شأن آخر غير هذا السّفه والطيْش والنّزق والخفّه قال تعالى : {**ولا يستخفنك الذين لايوقنون** } وقال تعالى : { **فاستخف قومه فأطاعوه** } وإن هذه الصفات لمنطبقة على أهل الغناء والرقص . وقوله تعالى : { **ذلك بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون** } إنه فرح ومرح مذموم لأنه بغير الحق بل بالباطل.

أما قول ابن حزم : وفعله هذا من الحق . هو من الحق لَوْ كان مشروعاً أومعيناً على فعل المشروع . وهو ضد ذلك فهو مشروع تحريمه ولايمكن أن يكون المنهي عنه المحرم يُحَصِّل للعبد مصلحة لا خالصة ولا راجحة ولا معيناً له على الحق لأن الشر لا يأتي بالخير بل هو شر وأعظم داع من دواعي الشر.

أما سماع أولياء الله أرباب النفوس المطمئنة فهو كما قال ابن تيمية رحمه الله قال : وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ والباقون يستمعون .

وقال : ومثل هذا السماع هو سماع النبيين وأتباعهم كما ذكره الله في القرآن فقال : { **أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين ومن ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا** } وقال في

أهل المعرفة : **{ وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق }** ومدح سبحانه أهل هذا السماع بما يحصل لهم من زيادة الإيمان واقْشعرار الجلد ودمع العين فقال تعالى : **{ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله }** وقال تعالى : **{ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم }** [1] .

ومما يبين ضلال ابن حزم والقرضاوي في وصف الغناء أنه يُرَوّح النفس لتتقوّى بذلك على طاعة الله وأنه من الحق وأن فاعل ذلك مطيع محسن ماقاله ابن تيمية قال : وأما السّماع المحدَث سماع الكف والدف والقصب فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأكابر من أئمة الدين يجعلون هذا طريقاً إلى الله تبارك وتعالى ولايعدّونه من القُرب والطاعات بل يعدّونه من البدع المذمومة حتى قال الشافعي : خَلّفت ببغداد شيئاً أحْدثته الزنادقة يسمونه (التغبير) يصدون به الناس عن القرآن . (1)

---

[1] الفتاوى 297/11 .
[1] الفتاوى 298/11 .

أما قول ابن حزم : ومن لم يَنْوِ طاعة ولا معصية فهو لَغو معفوّ عنه كخروج الإنسان إلى بستانه وقعوده على باب داره متفرجاً وصبغ ثوبه ومدّ ساقه وقبضها .

أقول : تبين مما تقدم ويأتي أن الغناء في نفسه حرام بدون هذا التفصيل الشيطاني . فهذه مساواة بين مختلفين .

والقرضاوي يُرَوّج بضائع زائفة تالفة باعتماده على ابن حزم واستدلاله بكلامه في إباحة الغناء ..

قال ابن حجر الهيثمي : ابن حزم حمله تعصّبه لمذهبه الفاسد الباطل في إباحة الأوتار وغيرها إلى أن حكم على هذا الحديث يعني حديث البخاري . (ليكونن من أمتي قوم يستحلون الخز والحرير والخمر والمعازف) . ويأتي إيراده إن شاء الله وإنما أردت هنا ذكر بعض ماقيل في ابن حزم الذي اعتمد عليه القرضاوي قال: إلى أن حكم على هذا الحديث وكل ماورد في الملاهي بالوضع . وقدْ كذب في ذلك وافترى على الله وعلى نبيه وشريعته . كيف وقدْ صَرّح الأئمة الحفاظ بتصحيح كثير من الأحاديث الواردة في ذلك. ولقد قال بعض الأئمة الحفاظ أن ابن حزم إنما صَرَّح بذلك تقريراً لمذهبه الفاسد في إباحة الملاهي . وإن تعصّبه لمذهبه الباطل أوْقعه في المجازفة والإشتهار حتى حكم على الأحاديث الصحيحة من غير شك ولامرية بأنها موضوعة . وقد كذب وافترى ومن ثم قال الأئمة في الحطّ عليه أن له مجازفات كثيرة وأمور شنيعة نشأتْ من غلظه وجموده على تلك الظواهر ومن ثم قال المحققون :

أنه لايُقام له وزن ولايُنظر لكلامه ولايُعوّل على خلافه فإنه ليس مراعياً للأدلة بل لما رآه هواه وغلب عليه من عدم تَحَرِّيه وتقواه .[1]

وكيف تجرأ القرضاوي على نقل كلام ابن حزم هذا الذي جعل فيه قرآن الشيطان ومزاميره مثل مَدّ الرجل ساقه وقبْضها وخروجه إلى بستانه وقعوده على باب داره وصبغه ثوبه . وأنه حسب نيّة مستمعه مع أنه في ذاته حرام . كما سيتبين تحريمه بذاته دون تعلّق ذلك بالنية وكما سيتبين عظم خطره وفادح ضرره.

[1] فصل الخطاب ص 196 .

اللهـو الباطـل

ثم قال القرضاوي : واسْتدلوا بحديث (كل لهو يلهو به المؤمن فهو باطل إلا ثلاثة : ملاعبة الرجل أهله وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه) والغناء خارج عن هذه الثلاثة ..

وأجاب المجوّزون بضعف الحديث . ولوْ صح لما كان فيه حجة فإن قوله : (فهو باطل) لايدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة .[1]

الجواب : أما الحديث فرواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه . وقال الترمذي : هذا حديث حسن وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وَوَافقه الذهبي في تلخيصه .[2]

فالحديث صحيح ولايُلتفت للقرضاوي . وقوله : (فهو باطل) لايدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة .

يقال : أدلة التحريم متوافرة غير هذا فالمتقرر في الشرع أن الغناء باطل وحرام فيتناول الحديث الباطل الحرام كالغناء والباطل الذي لافائدة فيه لكن الغناء باطل حرام ومالا فائدة فيه فهو أيضاً من الباطل الذي لاينفع ولافائدة فيه فهو باطل ولوْ لم يكن حراماً. فالغناء أولى مادخل في النهي بهذا الحديث باعتباره باطل حرام.

---

(1) ص : 34 .

(2) الإيضاح والتبيين ص : 195 .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : سائر مايتلهّى به البطالون من أنواع اللهو وسائر ضروب اللعب مما لايُسْتعان به في حق شرعي كله حرام . إنتهى .

ليحذر أهل الوقت مما ظهر لهم من فتاوى ارْتكبوا بسببها محارم الله واسْتهانوا بأمر الله ولن ينفعهم أويدفع عنهم عند الله من أضلهم بل الكل يحمل أوزاره . والمفتي بالباطل يحمل من أوزار من أفتاه .

ثم قال القرضاوي : فقدْ ورد عن أبي الدرداء قوله : (إني لأستجم نفسي بالشيء من الباطل ليكون أقوى لها على الحق).

الجواب : مما تقدم يتبين أن الباطل يشمل الشرك ومالا فائدة فيه فليس كل مايسمى بالباطل يكون حراماً .

ومايظن القرضاوي بهذا الصحابي الجليل ؟ أيظن أنه يُصلي مثلاً فإذا مَلّ أوْ تعب من الصلاة أوْقراءة القرآن أجمّ نفسه بالغناء؟ صحيح أن زماننا هذا يأتي بالعجائب والغرائب .

ماذا فعل الأحباش في المسجد النبوي

ثم قال القرضاوي : على أن الحصر في الثلاثة غير مراد (يعني حديث كل لهو يلهو به المسلم) الحديث . قال : فإن التلهي بالنظر إلى الحبشة وهم يرقصون في المسجد النبوي خارجٌ عن تلك الأمور الثلاثة . وقد ثبت في الصحيح .

ليتأمل القاريء التلاعب ومايفعل الهوى بأهله . فقد جعل القرضاوي تَدَرّب الحبشة بالسلاح لهْواً ولم يكتف بذلك حتى جعله رقصاً يستدل به على مزامير الشيطان وقرآنه . وكم وكم اسْتدل بذلك غيره وهكذا تكون بضائع المفلسين .

فأولاً : من قال أن التدرّب بالسلاح وتعلّم فنون الحرب لأجل الجهاد في سبيل الله لهواً ورقصاً بدون تقييد ؟ هذا عبادة بل من أجَلّ العبادات لأنه مطلب ضروري لتحقيق ذرْوة سنام الإسلام . فكيف يسمى هذا لهواً ؟ وهو أوْلى مادخل في ما اسْتُثني في الحديث فقوله صلى الله عليه وسلم : (ورميه بقوسه) هو . من جنس (وتدريبه فرسه) يعني للجهاد ليس للعب .

ثانياً : ليس نظر النبي صلى الله عليه وسلم ونظر عائشة رضي الله عنها تلهِّياً بل هو أيضاً عبادة لأنهما ينظران إلى ماجعله الله عز وجل من الأسباب لنصرة دينه

وعلو كلمته وعِزّ أوليائه . فكيف يسمى هذا تلهياً ؟ نعم ليس هو كمباشرة القتال ومايحصل في ذلك من المشقة والخوف وإنما هو جزء منه منفصل عنه . يُقام غالباً في أوقات السرور والفرح مثل الأعياد . وأحسن المواضع التي يُقام فيها المساجد لأنه عبادة .

أما لَوْ قيل : منطوق الحديث يبين أن ذلك من اللهو .

ولكنه مُسْتثنى من سائر اللهو الباطل فجوابه : إما أن يكون مُسْتثنىً منقطعاً فلا كلام حيث خرج : هذا من وصفه باللهو . فإن لم يكن منقطعاً فهو من المباح أو المستحب لإعانته على الطاعة.

ثالثاً : لم يكن هؤلاء يُغنون وليس يستعملون آلات زمر وطرب. وإنما كانوا يلعبون بِحِرابهم ودَرَقِهِمْ فأين هذا مما يهوى القرضاوي وأمثاله ؟ ثم إن ذلك يوم عيد ويوم العيد يُسْامح فيه للصغار ونحوهم من اللعب الذي لابأس به . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لتعلم يهود أن في ديننا فسحة إني بُعثت بحنيفية سمحة) أما قول القرضاوي : (وهم يرقصون في المسجد النبوي) فكذِب وافْتراء فليس ذلك بالرقص الذي يفهمه أهل الوقت من إطلاق هذا الإسم . وإن كان فيه حركات وتمايل قد تشبه الرقص من بعض الوجوه لكن هذه الحركات تقتضيها تدريباتهم وليس هو المراد قطعاً وكيف يُقرّهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وفي مسجده الشريف ؟ هذا باطل لكن لِهَوَى النفوس سرائر لا تُعْلَمُ من تسميته بالرقص وهو

من جنس مايذكره المبطلون لإبطال البغض في الله والهجر الديني بقولهم : النبي زار اليهودي مما يُوهِم الزيارة المعروفة عند الناس من المؤانسة والمحادثة . ولايقولون : اليهودي في النزع والنبي صلى الله عليه وسلم أتاه وهو في هذه الحال يدعوه إلى الإسلام وقدْ أسلم اليهودي ومات . وتقدم نقل القرضاوي عن أبي حامد الغزالي قوله : فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص ؟ .

والحديث ورد بلفظ : (يزفنون) والزفن هو الرقص وإنما قال الجوهري وغيره من أهل اللغة : وليس مراداً ههنا وإنما المراد اللعب والتّوثّب وأُطلق عليه اسم الزّفن تجوّزاً لأنه قريب منه.

وقال النووي في ذلك : حَمَلَهُ العلماء على التّوَثّب بسلاحهم ولعبهم بحرابهم على قريب من هيئة الراقص لأن معظم الروايات إنما فيها لعبهم بحرابهم فَتُتَأوّل هذه اللفظة على موافقة سائر الروايات .

فتبين مما تقدم تلاعب القرضاوي واتباعه لهواه .

وقد قال ابن حجر في فتح الباري : اللعب بالحراب ليس لعباً مجرداً بل فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب والإستعداد للعدو.

وقال ابن المنير في قوله : يلعب فيه السودان بالدّرق والحِراب: سمّاه لعباً وإن كان أصله التدريب على الحرب وهو من الجدّ لما فيه من شبه اللعب لكونه يقصد إلى

الطعن ولايفعله ويُوهِم بذلك قِرْنهُ ولَوْ كان أباه أوإبنه . إنتهى .

ورحم الله من قال :

قالوا رقصنا كما الأحبوش قدْ رقصوا ... بمسجد المصطفى قلنا بلا كذب
الحبشُ مارقصوا لكنهم لعبوا ... في آلة الحرب بالآلات والْيَلَبِ
وذلك اللعب مندوب تعلمّه ... في الشرع للحرب تدريباً لكل غبي

أما قول القرضاوي : ولاشك أن التفرج في البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع المداعبات مما يلهو به الرجل لايحرم عليه شيء منها وإن جاز وصْفه بأنه باطل .

الجواب : تقدم أن الباطل يشمل الحرام ويشمل أيضاً مالا فائدة فيه فمعنى الحديث إن لم يكن المستثنى منقطعاً أن كل مايلهو به المسلم باطل فإن كان حراماً مثل الغناء فهو باطل حرام وإن كان مما لا فائدة فيه فهو أيضاً باطل لكن ليس بحرام .

وأدلة تحريم الغناء أوضح من أن يتلاعب بها القرضاوي .

ثم قال : واسْتدلوا بالحديث الذي رواه البخاري مُعَلّقا عن أبي مالك أو أبي عامر الأشعري شك من الراوي . عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : (ليكونن قوم من أمتي يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف) [1] .

---

[1] ص : 35 .

القرضاوي سلك مسلك ابن حزم الظاهري في القدْح بصحة هذا الحديث . وأوْرد شبهات عليه على تقدير صحته بزعمه ويأتي إن شاء الله في آخر الكتاب بيان زيف ابن حزم ومُقلِّده القرضاوي من كلام ابن القيم رحمه الله مثل قوله : ولم يصنع من قدح في صحة هذا الحديث شيئاً كابن حزم نُصرة لمذهبه الباطل في إباحة الملاهي . وزعم أنه منقطع لأن البخاري لم يصل سنده به ثم ذكر جواب ذلك من خمسة وجوه :

الخامس قوله : أنا لو أضْربنا عن هذا كله صَفحاً فالحديث

صحيح متصل عند غيره . وذكر أنه في سنن أبي داود في كتاب اللباس .

والمراد أن كلام ابن القيم دَحْض لِشبهات القرضاوي . وقال ابن القيم : ورواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وأبو داود وابن ماجه في سننيهما بأسانيد صحاح لامطعن فيها وصححه غير واحد من العلماء .[1]

ثم قال القرضاوي : واسْتدلوا بحديث عائشة : (إن الله تعالى حرّم القيْنة " أي الجارية " وبيعها وثمنها وتعليمها) .

والجواب عن ذلك . أولاً أن الحديث ضعيف وكل ماجاء في بيع القيان ضعيف .[2]

يقال للقرضاوي أحاديث تحريم الغناء فيها الصحيح والحسن والضعيف فإذا اسْتدل المانعون من قرآن الشيطان بحديث ضعيف فإنما للإعتضاد والإستشهاد . لكن أنت ماهي بضاعتك أنت وابن حزم ؟ إنها المنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة وما أكل السبع.

وقد أدخلك الشيطان الميدان وأنت أعْزل من السلاح .

ثم نقل القرضاوي عن الغزالي أن القينة الجارية التي تغني الرجال في مجلس الشرب . ومن أين أتى بهذا التقييد ؟ فالقينة هي الجارية المغنية والساذجة هي التي لاتغني .

وقد سْئل الإمام أحمد عن رجل مات وترك ولداً وجارية مغنية فاحتاج الصبي إلى بيعها فقال : لاتباع على

[1] الكلام على مسألة السماع ص : 472 .
[2] ص : 38 .

أنها مغنية . فقيل له : إنها تساوي ثلاثين ألف درهم ولعلها إذا بيعت ساذجة تساوي عشرين ديناراً . فقال : لاتباع إلا على أنها ساذجة . وإنما أمر أحمد رحمه الله ببيعها ساذجة لأن الغناء حرام فلا يُقابَل أدَاؤه بِعِوَض . ولو كان الغناء مباحاً لما جاز له أن يُفوِّت على اليتيم نحواً من ثلاثين الف درهم .

ولكن لما كان الغناء حراماً أمر أحمد بتفويت مايقابل هذه المهنة المحرمة فيكون ذلك مثل الخمر إذا وُجد في مال اليتيم وجبت إراقته . ويأتي في كلام ابن القيم كلام أحمد في الجارية المغنية . قال ابن الأثير عن القينات التي ورد ذكرهن بالحديث . أي الإماء المغنيات .. فمن أين تقييدها بالتي تغني في مجلس الشرب؟ **ثم قال القرضاوي : ثالثاً :** كان هؤلاء القيان المغنيات يُكوِّن عنصراً هاماً من نظام الرقيق الذي جاء الإسلام بتصْفيته تدريجياً فلم يكن يتفق وهذه الحكمة : إقرار بقاء هذه الطبقة في المجتمع الإسلامي . فإذا جاء حديث بالنّعي على امْتلاك القيْنه وبيعها والمنع منه فذلك لهدم ركن من بناء نظام الرق العتيد.[1]

الجواب : هل جاء الإسلام بتصفية ماسمّاه القرضاوي نظام الرق أو أنه جاء بالحثِّ على العتق وفضل ذلك ؟ معلوم أنه جاء بالثاني لم يأت بالأول .

---

[1] ص : 39 .

أما قوله فلم يكن يتفق وهذه الحكمة إقرار بقاء هذه الطبقة في المجتمع الإسلامي . فالذي اتْفق غير ما يقوله القرضاوي وهو بقاء الرقيق في عهد الصحابة ومن بعدهم . ولو كان في علمهم ماعلم القرضاوي من منافاة اسْترقاق الرقيق للحكمة لما اسْتمر ذلك في القرون المفضلة فهل اختص بهذا العلم وهذه الحكمة دونهم ؟ قد هزلت . ثم إن القرضاوي كذب فلم يأت حديث بالنعي على امتلاك القينه وبيعها والمنع منه لأجل هدم ركن بناء ماسمّاه نظام الرق العتيد وإنما لأجل أنها مغنية والغناء حرام والمعاوضة عليه حرام. فكل محاولاته فاشلة . مرة يُقيد القينة بالجارية التي تغني في مجلس الشرب ومرة لهدم الرِّق .

زمــارة الراعــي

ثم قال القرضاوي : واسْتدلّوا بما روى نافع أن ابن عمر سمع صوت زمارة راعٍ فوضع أصبعيه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول : يا نافع أتسمع ؟ فأقول : نعم فيمضي حتى قلت : لا . فرفع يده وعدل راحلته إلى الطريق وقال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع زمارة راع فصنع مثل هذا).

والحديث قال عنه : أبو داود : منكر .

ولوْ صَحّ لكان حجة على المحرّمين لا لهم . فلو كان سماع المزمار حراماً ما أباح النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر سماعه . ولَوْ كان عند ابن عمر حراماً ما أباح لنافع سماعه . ولأَمَرَ عليه السلام بمنع وتغيير هذا المنكر . فإقرار النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر دليل على أنه حلال .

وإنما تجنب عليه السلام سماعه كتجنّبه أكثر المباح من أمور الدنيا . كتجنبه الأكل متكئاً وأن يبيت عنده دينار أوْدرهم . إلى آخره .[1]

الجواب : أما قوله عن أبي داود : أنه قال : الحديث منكر . فالإمام أحمد قيل له : هذا الحديث منكر فلم يُصرّح بذلك ولم يُوافق عليه واسْتدّل به .

---

[1] ص 39 ، 40 .

كذلك فإن قوْل أبي داود : منكر إنما هو في بعض النُّسَخ من السّنن التي فيها الإقتصار على رواية سليمان بن موسى ليس في كل نسخ السنن فإنه لايوجد في بعضها ..

ذكر ذلك ابن رجب رحمه الله وقال : وكأنه قال : منكر قبل أن يتبين له أن سليمان بن موسى تُوبِعَ عليه . فلما تبين له أنه تُوبع عليه رجع عنه . [2]

أما زَعْم القرضاوي أنه لَوْ صَحّ لكان حجة على المحرّمين لا لهم . فهذا لأنه مفتون يريد أن يبيح الغناء بحق أو بباطل .

فزعمه إباحة النبي لابن عمر السماع وإباحة ابن عمر لِنافع ذلك لأن السماع غير الإستماع .

قال ابن رجب : وإنما لم يأمر ابن عمر بسد أذنيه لأنه لم يكن مستمعاً بل سامعاً . والسامع من غير استماع لايوصف فعله بالتحريم لأنه من غير قصْد منه وإن كان الأوْلى له سَدّ أُذنيه حتى لايسمع . ومعلوم أن زمارة الراعي لاتهيج الطباع للهو فكيف حال مايهيج الطباع ويُغيّرها ويدعوها إلى المعاصي كما قال طائفة من السلف : (الغناء رقية الزنا)[1] .

فالعلماء خَطّأوا من زعم إباحة المزمار لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع ابن عمر من استماعه ولم

---

[2] نزهة الأسماع في مسألة السماع . ص :53 .

[1] نزهة الأسماع في مسألة السماع ص : 54 .

يمنع ابن عمر نافعاً من استماعه كابن حزم وابن طاهر وأضرابهما ممن يعتمد على شبهاتهم هذا المفتون .

فبيّن العلماء أن المحظور قصد الإستماع دون السماع وابن عمر لم يكن مستمعاً وإنما كان سامعاً فلهذا لم يأمره النبي صلى الله عليه وسلم بسد أُذنيه .

قال الشيخ أبو محمد المقدسي رحمه الله في المغني : المحرم استماعها يعني المزامير دون سماعها . والإستماع غير السماع. ولهذا فرّق الفقهاء في سجود التلاوة بين السامع والمستمع . ولم يوجبوا على من سمع شيئاً محرماً سدّ أذنيه وقال الله تعالى : **{وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه}** ولم يقل : سدّوا آذانهم . والمستمع هو الذي يقصد السماع . ولم يوجد هذا من ابن عمر رضي الله عنهما وإنما وُجِد منه السماع .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : المحرّم استماع آلات اللهو لا سماعها . فمن اجْتاز فسمع كفراً أوغيبة أوشبابه لم يحرم عليه . ولو استمع ولم يُنكر بقلبه أو يده أولسانه أثِمَ اتفاقاً . ومارُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع راعي غنم يزمر بزمارة فسدّ أذنيه وقال لنافع : هل تسمع ؟ قال : لا . فأخرج أصابعه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فهو يبين أن عدم السماع أوْلى . ولايدل هذا على أن الشبّابه جائزة فإن ابن عمر رضي الله عنهما سامع لامستمع .

والسامع لايحرم عليه . كما لايؤجر السامع لقراءة القرآن إنما يؤجر المستمع .
وسّد أذنيه رضي الله عنه مبالغة في التحفظ . ولَوْ كان مباحاً لما سَدّ أذنيه بل سدّهما يدل على أنه لاينبغي أن يسمع مالا يجوز استماعه .
وقال شيخ الإسلام في موضع آخر مما يبين ماتقدم : الأمر والنهي إنما يتعلق بالإستماع لا بمجرد السماع كما في الرؤية فإنه إنما يتعلق بقصد الرؤية لابما يحصل منها بغير الإختيار وكذلك في اشتمام الطيب إنما يُنهي المحرم عن قصد الشم فأما إذا شمّ مالا يقصده فإنه لا إثم عليه . إنتهى .
ثم إن زمارة الراعي ليست كالآلات الموسيقية الفاتنة . المصاحبة لغناء أهل الوقت ولذلك قال الخطابي : المزمار الذي سمعه ابن عمر رضي الله عنهما هو صفّارة الرعاة وقد جاء ذلك مذكوراً في هذا الحديث من غير هذه الرواية . وهذا وإن كان مكروهاً فقد دَلّ هذا الصّنع على أنه ليس في غِلظ الحرمة كسائر الزمور والمزاهر والملاهي التي يستعملها أهل الخلاعة والمجون.
ولوْ كان كذلك لأشْبَهَ أن لايقتصر في ذلك على سدّ المسامع فقط دون أن يبلغ فيه من النكير مبلغ الردع والتنكيل .. إنتهى .
أما ترك الإنكار على الراعي فقد قيل في الجواب عنه : لعله إنما سمع صوته ولم ير شخصه . وقيل : لعله كان

في رأس جبل أومكان لايمكن الوصول إليه . وقيل : لعل الراعي لم يكن مكلفاً فلم يتعيّن الإنكار . وقيل غير ذلك .

الغناء ينبت النفاق في القلب

ثم قال القرضاوي : واستدلوا أيضاً بما رُوِيَ : **(إن الغناء ينبت النفاق في القلب)** ولم يثبت هذا حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ثبت قولاً لبعض الصحابة أوالتابعين فهو رأي لغير معصوم خالفه فيه غيره .

الجواب على كوْن الغناء ينبت النفاق في القلب يأتي إن شاء الله في الآخر في كلام ابن القيم ورأي الصحابي خير من وجودك. ومارأينا علماء السلف وهم يتناقلون كلام ابن مسعود رضي الله عنه هذا إلا يعظمونه لم يقولوا مثل قولك .

ثم قال القرضاوي : فمن الناس مَن قال وبخاصة الصوفية : إن الغناء يُرَقق القلب ويبعث الحزن والندم على المعصية ويهيج الشوق إلى الله تعالى ولهذا اتخذوه وسيلة لتجديد نفوسهم وتنشيط عزائمهم . وإثارة أشواقهم . قالوا : وهذا أمر لا يُعرف إلا بالذوق والتجربة والممارسة . ومن ذاق عرف . وليس الخبر كالعيان .

هذا الغناء الذي ينسبه القرضاوي إلى الصوفية ويُورد كلامهم فيه مُسْتَحسِناً له بل وداعياً له حيث أوْرده في ضمن كلامه الذي يبيح فيه الغناء ويتهجّم على من حرّمه . إنما هو بدعة حيث أنه يتخذ قربة وقد قال تعالى : **{ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله }** يقول

صلى الله عليه وسلم : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) فهل شرع النبي التقرب إلى الله بالغناء؟.

أما غناء اللهو فهو مع أنه محرم أهْون من هذا لأن البدعة أعظم من الكبيرة وقد تقدم كلام الشافعي في هذا الغناء وهو الذي يقول : أحدثته الزنادقه . فالحذر من القرضاوي فإنه مفتون . وبضاعته بضاعة خاسر مغبون . وكلام العلماء في هذا السماع البدعي كثير يحذْرون عنه غاية التحذير .

ثم نقل القرضاوي عن الغزالي معارضة لقول ابن مسعود رضي الله عنه : (الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل) قال: فإن لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المهملجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع وغير ذلك ينبت النفاق في القلب ولايُطلق القول بتحريم ذلك كله . فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي بل إن المباحات التي هي مَوَاقع نظر الخلق أكثر تأثيراً .

يقال للقرضاوي : هذه القياسات الفاسدة والتحيّلات الكاسدة لاتروج إلا على من لايعقل فالغناء محرم سواء أنْبت النفاق أم لم ينبته ولكنه كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ينبت النفاق .

أما هذه المذكورات فهي في الأصل مباحة ولكن من إساءة النية في استعمالها دخل المحذور عليها ففرق بين

ماأصله حرام وهو الغناء وبين ما أصله حلال ولكن أُجري في غير مجراه .

فقوله : فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي بل إن المباحات التي هي مَوَاقع نظر الخلق أكثر تأثيراً .. معلوم أن هذه مغالطات ومكابرات أيضاً فكيف يقال : ليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي بل مازال أهل العلم يقولون : المعاصي بريد النفاق والبدع بريد الكفر .

ويأتي كلام ابن القيم على علّة إنبات الغناء للنفاق في القلب حيث قال : هذا أدل شيء على فقه الصحابة في أحوال القلوب وأعمالها . ومعرفتهم بأدويتها وأدْوائها . وأنهم هم أطباء القلوب دون المنحرفين عن طريقتهم الذين داوَوْا أمراض القلوب بأعظم أدوائها .. إلى آخره وهو كلام نفيس .

والذين يداوون أمراض القلوب بأعظم أدوائها هم الذين يُبِيحون قرآن الشيطان ومزماره . القرضاوي وأضرابه . وهذا الأثر صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه .

هل صوت المرأة عورة ؟

قال القرضاوي : واسْتدلوا على تحريم غناء المرأة خاصة بما شاع عند بعض الناس من أن صوت المرأة عورة . وليس هناك دليل ولاشبه دليل من دين الله على أن صوت المرأة عورة . وقد كان النساء يسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مَلإٍ من أصحابه وكان الصحابة يذهبون إلى أمهات المؤمنين ويَسْتفتونهن ويُفتينهم ويحدثنهم ولم يقل أحد : إن هذا من عائشة أوْغيرها كشف العورة يجب أن تُسْتر مع أن نساء النبي عليهن من التغليظ ماليس على غيرهن . وقال تعالى : **{ وقلن قولاً معروفاً }** .

الجواب : القرضاوي يريد التشنيع على الذين يتبعون الحق في تحريم قرآن الشيطان ورقية الزنا ومُنبت النفاق بأن استدلالهم على تحريم الغناء أن صوت المرأة عَوْرة . وهو مفتري ومُكابر أيضاً ويريد بكلامه هذا التلبيس مع التشنيع وإلا فمن قال : إن صوْت المرأة عوْرة ؟ ومن قال : إن الغناء حرام على المرأة فقط لأجل صوتها ؟ وإنما هو حرام من كل أحد لايختص هذا بصوت المرأة لكنه من المرأة والأمرد الجميل أشد حُرمة لأجل زيادة الفتنة وتقدم بيان تحريم ذلك . وتقدم قول ابن القيم رحمه الله في وصف

المشنعين على أهل الحق . وأنهم يختارون لمقالات خصومهم أقبح الألفاظ .

وقال القرضاوي : واستدلوا بحديث الترمذي عن علي مرفوعاً (إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حَلّ بها البلاء ..) وذكر منها: (واتخذت القينات والمعازف) والحديث متفق على ضعفه فلاحجة فيه .

الجواب : سبق بيان أن الحديث الضعيف يُسْتشهد به ويُعتضد به مع بيان ضعفه لأنه لايُجزم أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا أنه لم يقله فهذا فارق بينه وبين الموضوع . وله شواهد كثيرة، لكن علّة القرضاوي ليست أنه لم يجد ما يُعتمد عليه من الصحيح في تحريم الغناء وإنما هو صائل . والصائل لايرده شيء فقد صَحَّ تفسير الصحابة للهو الحديث أنه الغناء وصَحَّ تحريم الغناء في صحيح البخاري وغيره وأجمع العلماء المعتدّ بهم على تحريمه . وهذا كله لايرفع به رأساً .

وقد تقدم بعض ذلك ويأتي تمامه وغيره مما يكشف سَوْأة كل من قَبِل وَكالة إبليس في تحليل قرآنه ومزماره وأضلّ الأمة بتخريفه وهذيانه .

ولوْ لم يكن من البلاء في قرآن الشيطان إلا أنه يصد عن قرآن الرحمن . قال ابن القيم : هذا ولوْ لم يكن فيه من المفاسد إلا ثقل استماع القرآن على قلوب أهله واستطالته إذا قرِيء بين يدي سماعهم . ومرورهم على آياته صماً وعمياناً . لم يحصل لهم منه ذوْق ولا وَجْد ولا حلاوة . بل

ولايصغي أكثر الحاضرين أوكثير منهم إليه . ولا يُقَوِّمون معانيه . ولايغضون أصواتهم عند تلاوته.

فإذا جاء السماع الشيطاني خشعت منهم الأصوات . وهدأت الحركات . ودارتْ عليهم كؤوس الطرب والوجْد . وحدا حينئذ حادي الأرواح . إلى محل السرور والأفراح . فلِغَيْر الله لا لله كم من عيون تسكب غرب مدامع لم تفض بقطرة منها عند تلاوة كلام الرحمن . وكم من شوْق وَوَجْد ولهيب أحشاء لايوجد منه شيء عند ذكر رب العالمين . ولايثور ويتحرك إلا عند سماع المبطلين.[1]

إن أمراً هذا بعض مفاسده لايُهَوِّن شأنه على الناس إلا غاش.

ولوْ لم يكن في الغناء من البلاء إلا تهوينه الزنا بل وتزيينه . ومن سمع الغناء تغيّرتْ حاله لاسيما المرأة قال ابن القيم : ومن الأمر المعلوم عند القوم أن المرأة إذا اسْتَصْعَبَتْ على الرجل اجتهد أن يُسمعها صوت الغناء .فحينئذ تعطي الليان .

ثم قال القرضاوي : والخلاصة أن النصوص التي استدل بها القائلون بالتحريم إما صحيح غير صريح أوصريح غير صحيح . ولم يسلم حديث واحد مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلح دليلاً للتحريم . وكل أحاديثهم ضعّفها جماعة من الظاهرية والمالكية والحنابلة والشافعية .

---

[1] الكلام على مسألة السماع : 107 .

الجواب : أحاديث تحريم الغناء فيها الصحيح والحسن والضعيف ليست كلها ضعيفة كما زعم هذا المفتون تقليداً لابن حزم والعمدة على الصحاح والحسان . أما الضعيف فللاستشهاد ولا يعتمدون عليه . وإنما يذكرون أحاديث ضعاف متفقة في معانيها مع تعدّد طرقها . والأحاديث الصحيحة تشهد لها وتقويها . وهذا يدل على أن لها أصلاً .

أحاديث صحيحة تدل على تحريم الغناء لم يذكرها القرضاوي

والذين يحرمون الغناء يستدلون بأحاديث صحيحة غير ما أوْرد القرضاوي منها :

حديث جابر رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم : (نَهَيْتُ عن صوتين فاجرين صوت عند مصيبة خمش وجه وشق جيوب وصوت عند نغمةٍ لعب ولهو ومزامير الشيطان) .

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة مزمار عند نغمة ورنّة عند مصيبة) .

وحديث معاوية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النوح والشعر والتصاوير وجلود السباع والتبرج والغناء والذهب والخز والحرير . وحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله حرم علي أوحرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر حرام) وقد فسّر علي رضي الله عنه الكوبة بالطبل .

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لست من دَدٍ ولا الدَّدُ مني

بشيء) وهو الباطل واللهو واللعب . واستدل به القرطبي على تحريم الغناء .

وقد ذكره البخاري رحمه الله في الأدب المفرد في (باب الغناء واللهو) .

وهذه أحاديث صحيحة غير ماذكر القرضاوي من أدلة المحرمين ويأتي في كلام ابن القيم في الآخر إن شاء الله من ذكر الإجماع والآثار غير ماذكرت فما يقول القرضاوي وهل له طاقة أويستيطع أن يستر ضوء الشمس عن الأرض بكفه ؟

إن محاولاته يائسة فاشلة وهكذا كل من جادل بالباطل ليدحض به الحق .

ثم قال : قال القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب (الأحكام) لم يصح في التحريم شيء .

وكذا قال الغزالي وابن النحوي في العمدة .

وقال ابن طاهر في كتابه (السماع) لم يصح منها حرف واحد.

وقال ابن حزم : ولايصح في هذا الباب شيء وكل مافيه موضوع .

الجواب : قد ثبت التحريم بأحاديث صحيحة وبأقوال الصحابة وأكابر التابعين كما تقدم ويأتي إن شاء الله ولاعبرة بخلاف من بعدهم .

قاعدة عظيمة القدر

والآن بعد أن بذل القرضاوي جهده في نقض أدلة تحريم الغناء بزعمه ولم يحصل على طائل إلا الجدال بالباطل . والوفاء بنيابة إبليس في ذلك فهنيئاً . ووالله الذي لا إله إلا هو لوْ كان الأمر على زعم القرضاوي أنه لادليل على تحريم الغناء لانْطبقت عليه قاعدة عظيمة أنقلها من كلام ابن تيمية وهي قاعدة شرعية شريفة ينتفع بها الموفق بإذن الله في مسألة الغناء وغيرها.

قال رحمه الله : إذا أشكل على الناظر أوالسالك حكم شيء هل هو الإباحة أوْ التحريم فلينظر إلى مفسدته وثمرته وغايته . فإن كان مشتملاً على مفسدة ظاهرة راجحة فإنه يستحيل على الشارع الأمر به أوْ إباحته بل يقطع أن الشرع يحرمه لاسيما إذا كان طريقاً مفضياً إلى مايبغضه الله ورسوله .[1]

وذكر ابن القيم مثل هذه القاعدة في مدارج السالكين [2].

تأمل هذه القاعدة العظيمة الصادرة عن معرفة حكمة الإله ورحمته بعباده . وأن ذلك فيما يُشكل فكيف بما لم يُشكل حيث أدلة تحريمه من الكتاب والسنة وإجماع من يُعتدّ بإجماعهم ظاهرة.

---

(1) طريق الوصول إلى العلم المأمول ص : 113 .
(2) 496/1 .

لكن المراد من هذه القاعدة هنا ذكر مفاسد الغناء وثماره وغايته مما لا يخفى على أبْلد الناس فهل تأتي الشريعة بإباحته لاسيما غناء الوقت الذي هو أعظم مما يقول ابن القيم عن غناء أهل زمانه : فلو حَبَلَتْ المرأة من غناء لحبلتْ من هذا الغناء .

ويأتي إن شاء الله كلام ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان في آثار الغناء المدمّرة . وحيث أن الأمر كذلك فإنه لابد في كل زمان ممن ينوب عن إبليس في الدفاع عن قرآنه .

قال ابن رجب بعد كلام له : وإذا كان هذا حال من أدْمن سماع الأبيات الزهدية بالتلحين فكيف يكون حال من أدْمن سماع أشعار الغزل المتضمن لِوصْف الخمور والقدود والخدود والثغور والشعور مع ذكر الهوى ولَوَاعج الأشواق والمحبة والغرام والإشتياق. وذكر الهجر والوصال والتجني والصدود والدلال . وكان هذا كله مع آلات الملاهي المطربة المزعجة المثيرة للوجد . المحركة للهوى لاسيما إن كان المغني ممن تميل النفوس إلى صورته وصوته ووجد السماع حلاوته وذوْقه وطرب قلبه في ذلك فإن هذا كما قال ابن مسعود ينبت النفاق في القلب ولايكاد يبقى معه من الإيمان إلا القليل وصاحبه في غاية البعد عن الله والحجاب عنه .. إلى آخره .[1]

---

[1] نزهة الأسماع ص : 87 .

هذا كلام السلف في الغناء وهو خلاف قول المفتونين لاسيما في زماننا الذي أصبحت فيه للمغنين ألقاب وشارات يُمدحون بها.

قال ابن القيم في مدراج السالكين (2) : فكيف يُظنّ بالحكيم الخبير أن يُحَرّم مثل رأس الإبرة من المسْكر لأنه يسوق النفس إلى السكر الذي يسوقها إلى المحرمات ثم يبيح ماهو أعظم منه سَوْقاً للنفوس إلى الحرام بكثير ؟ فإن الغناء كما قال ابن مسعود رضي الله عنه هو (رقية الزنا) [المشهور أنه من قول الفضيل] وقد شاهد الناس أنه ماعاناه صبي إلا وفسد . ولا امرأة إلا وبَغَتْ . ولا شاب إلا وإلا . ولاشيخ إلا وإلا .

والعيان من ذلك يغني عن البرهان . ولاسيما إذا اجمع هيئة تحدو النفوس أعظم حدْو إلى المعصية والفجور بأن يكون على الوجه الذي ينبغي لأهله من المكان والإمكان والعشراء والخلان وآلات المعازف من اليراع والدف والأوتار والعيدان . وكان القوال شادناً شجيَّ الصوت لطيف الشمائل من المردان أو النسوان. وكان القول . في العشق والوصال والصّدّ والهجران .

ودارتْ كؤوس الهوى بينهمْ — فلستَ ترى فيهموا صاحيا
فكلٌّ على قدْر مَشْروبه — وكلٌّ أجاب الهوى الداعيا
فمالوا سكارى ولاسُكْرَ مَنْ — تناول أمَّ الهوى خاليا
وجار على القوم ساقيهموا — ولم يُؤْثروا غيره ساقيا
فمزّق منهم قلوباً غَدَتْ — لِباساً عليه يُرى ضافيا
فلم يستفيقوا إلى أن أتى — إليهم منادِ اللقا داعيا

(2) 497/1 .

أجيبوا فكل امريء منكموا ... على حالِهِ رَبَّه لاقيا

هنالكَ تعلم من حمأةٍ ... شربتَ مع القوم أم صافيا

وبالله لابد قبل اللقا ... ستعلم ذا إن تكن واعيا

ولابد تصحو فإما هنا ... وإما هناك فكن راضيا

شبهات مجيزي قرآن الشيطان

قال القرضاوي بعد ذلك تحت عنوان : (أدلّة المجيزين للغناء) تلك هي أدلة المحرّمين وقد سقطت واحداً بعد الآخر ولم يقف دليل منها على قدميه .[1]

أقول : كذبت وجرأتك هذه تُوردك الموارد . ثم من أنت وما أنت لوْلا زمان الرّويْبضة .

وما أنت إلا كالوعْل الذي ينطح الصخرة ليكسرها .

تكسّرَ قرن الوعلِ والدّمّ كالْوَشَلْ قُوَى التّيس قدْ خارتْ وماشَعُر الجبلْ

وليُعلم أن ماتقدم ليس هو كل الأدلة وإنما اختصرت الكلام هنا لأن في كلام ابن القيم الذي سوف أضيفه أخيراً مايدحض شبه هذا المفتون غير ماذكرت .

ثم قال : وإذا انتفتْ أدلة التحريم بقي حكم الغناء على أصل الإباحة بلا شك .

لا بأس بكلام القرضاوي هذا ولكنه على مقتضى أن يُعْطى الناس بدعواهم . ويُصرّفوا الدين حسب هواهم .

ثم قال : ولوْ لم يكن معنا نص أودليل واحد على ذلك غير سقوط أدلّة التحريم . فكيف ومعنا نصوص الإسلام الصحيحة الصريحة وروحه السمحة وقوَاعده العامة ومبادئه الكلية . وهاك بيانها :

[1] ص : 43 .

أولاً : من حيث النصوص : إستدلوا بعدد من الأحاديث الصحيحة منها : حديث غناء الجاريتين في بيت النبي صلى الله عليه وسلم عند عائشة وانتهار أبي بكر لهما وقوله : مزمور الشيطان في بيت النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا يدل على أنهما لم تكونا صغيرتين كما زعم بعضهم فلوْ صَحّ ذلك لم تستحقا غضب أبي بكر إلى هذا الحدّ .[1]

الجواب : أن هذا حجة للمحرّمين لا عليهم كما يزعم القرضاوي وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على أبي بكر قوله : مزمور الشيطان وإنما علّل بكونه في يوم عيد وأيام الأفراح كالعرس والعيد يباح فيها مالا يباح في غيرها للصغار والنساء بحدود .

قال ابن رجب : فلم يُنكر قول أبي بكر (يعني مزمور الشيطان) وإنما علل بكونه في يوم عيد فدل على أنه في أيام السرور كأيام العيد وأيام الأفراح كالأعراس وقدوم الغيّاب (يباح فيها) مالا يباح في غيرها من اللهو وإنما كانت دفوفهم نحو الغرابيل وغناؤهم إنشاد أشعار الجاهلية في أيام حروبهم . وما أشبه ذلك . فمن قاس على ذلك سماع أشعار الغزل مع الدفوف المصلصلة فقد أخطأ غاية الخطأ وقاس مع ظهور الفرق بين الفرع والأصل .[1]

---

[1] ص : 44 .
[1] نزهة الأسماع ص : 41 .

وابن رجب قال قبل هذا الكلام : والرخصة في اللهو عند العرس تدل على النهي عنه في غير العرس . [2]

فَلْيُتأمَّل مايتعلق به هذا المفتون وأجناسه .

فأولاً : إقرار النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي بكر : (مزمور الشيطان) ذمّ للغناء ورد على الذين يبيحونه .

ثانياً : تعليل ذلك بيوم العيد مما يبين النهي عنه في غيره . وتقدم قول ابن رجب : والرخصة في اللهو عند العرس تدل على النهي عنه في غير العرس . وهو ذكر ذلك بعد ما أوْرد أثر عامر بن سعد البجلي .

قال : دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في عرس فإذا جوارٍ يتغنّين فقلت : أنتم أصحاب محمد وأهل بدر ويُفعل هذا عندكم ؟ قال : إجلس إن شئت واسمع إن شئت فإنه قد رُخّص لنا في اللهو عند العرس .خرّجه النسائي والحاكم وقال : صحيح على شرطهما .[3]

فتبين من هذا أنه متقرّر عندهم النهي عن الغناء حيث أنكر عامر ذلك ولم يُنكرا عليه لأنه مباح وإنما بيّنا العلة والرّخصة في ذلك فهو رد على المفتونين بمزامير الشيطان .

ثالثاً : الجواري صغار ولايُعْقل غير ذلك مهما تلاعب القرضاوي لأن الكبار يْستحيين من أقلِّ من هذا أن يفعلنه في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ويخفن أيضاً .

---

(2) نزهة الأسماع ص : 40 .

(3) نزهة الأسماع ص : 39 .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : أما من يصلح له اللعب فيرخّص له في الأعياد كما كانت الجاريتان تغنيان والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع . فمن استدلّ بجواز الغناء للصغار في يوم العيد على أنه مباح للكبار من الرجال والنساء على الإطلاق فهو مخطيء .[1]

قال ابن القيم في ذلك : بل كان السلف يسمون الرجل المغني مُخنثاً لتشبهه بالنساء [2] .

وقال ابن القيم مما يبين أن الجاريتان صغيرتين : وأعجب من هذا استدلالكم على إباحة السماع المركّب مما ذكرنا من الهيئة الإجتماعية بغناء بُنَيَّتَيْن صغيرتين دون البلوغ عند امرأة صبية في يوم عيد وفرح بأبيات من أبيات العرب في وصف الشجاعة والحروب ومكارم الأخلاق والشِّيَم . فأين هذا من هذا ؟ [3]

رابعاً : أن غناء الجاريتين إنشاد أشعار فقط وهي أشعار الجاهلية في الشجاعة والحروب لا أشعار الخلاعة والمجون وذكر الحب والحبيب بل والكفر أيضاً . ومن ذلك قولهم :

(أحبه حبيبي وأعبد حبيبي) (وركعت ساعات على قدميه) و (هل رأى الحب سكارى مثلنا) وغير ذلك مما لايخفى .

---

[1] فصل الخطاب : 236 .
[2] الكلام على مسألة السماع ص : 302 .
[3] مدارج السالكين 493/1 .

فكيف يستدل بهذا على مايُطلق عليه اسم الغناء اليوم ؟

.

قال ابن القيم : هذا الحديث من أكبر الحجج عليك فإن الصّدّيق سمى الغناء: مزمور الشيطان ولم يُنكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم هذه التسمية وأقرّ الجويريتين على فعله إذْ هما جويريتان صغيرتان دون البلوغ غير مكلفتين قد أظهرتا الفرح والسرور يوم العيد بنوع ما من أنواع غناء العرب ولاسيما الصغار منهن في بيت جارية حديثة السن بشعر من شعر العرب في الشجاعة ومكارم الأخلاق ومدحها وذم الجبن ومساويء الأخلاق . ومع هذا فقد سمّاه صِدّيق الأمة (مزمور الشيطان) إنتهى . [1]

من هذا يتبين قولهم : يجعل من الحبة قبّه .

وقال شيخ الإسلام قدس الله روحه : ومع هذا فيرخّص فيه كما يرخص للصغار في اللعب وكما كان صغيرتان من الأنصار تغنيان أيام العيد في بيت عائشة . والنبي صلى الله عليه وسلم لايستمع إليهن ولاينهاهن . ولما قال أبو بكر : أمزمار الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم (دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً وإن هذا عيدنا) فدل ذلك على أنه يرخص لمن يصلح له اللعب أن يلعب في الأعياد وإن كان الرجال لايفعلون ذلك ولايُبذل المال في الباطل . إنتهى . (1)

---

[1] الكلام على مسألة السماع 310 .

[1] مجموعة الفتاوى 216/30 .

خامساً : أن الجاريتان ليستا بمغنيّتين كما صرحت بذلك عائشة رضي الله عنها . قال ابن حجر في فتح الباري : فَنَفَتْ عنهما من طريق المعنى ما أثبتته لهما باللفظ لأن الغناء يطلق على رفع الصوت. إنتهى . وقد فُسِّر حديث النبي صلى الله عليه وسلم : (ما أذِن الله لشيء ما أذِن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به) قال : الخطابي (يجهر به) زعم بعضهم أنه تفسير لقوله (يتغنى به) وكل من رفع صوته بشيء مُعْلِناً فقد تغنى به .

وذكر ابن منظور في **(لسان العرب)** عن الأصمعي أنه قال: كل من رفع صوته وَوَالاه فصوته عند العرب غناء . وكذلك قال ابن الأثير في النهاية .

ثم ذكر ابن حجر أن الغناء يطلق على الترنّم الذي تسميه العرب النصْب بفتح النون وسكون الصاد وعلى الحداء . قال : ولايُسمى فاعله مغنياً وإنما يسمى بذلك من يُنشد بتمطيط وتكسير وتهييج وتشويق بما فيه تعريض بالفواحش أوتصريح .

وقال ابن الأثير في النهاية وابن منظور في لسان العرب : وفي حديث عائشة رضي الله عنها (وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاث أي تنشدان الأشعار التي قيلت يوم بعاث وهو حرب كانت بين الأنصار ولم ترد الغناء المعروف بين أهل اللهو واللعب . وقدْ رَخّص عمر رضي الله عنه في غناء الأعراب وهو صوت كالحداء.

ومع أن غناء الجاريتين كان مجرد إنشاد فقد اضطجع النبي صلى الله عليه وسلم على الفراش وتسجى بثوبه وحوّل وجهه لأنه كان يكره الشعر .

أما أم المؤمنين رضي الله عنها فحاشاها أن تستمع إلى الغناء المحرم وإنما الذي استمعت إليه يجوز استماعه وهو إنشاد الشعر بدون تلحين وتطريب . وقد ثبت عنها رضي الله عنها إنكار الغناء والمنع منه فقد روى البخاري في (الأدب المفرد) والبيهقي. بإسناد صحيح عنها أن بنات أخيها خُفِضْنَ فَأَلِمْنَ من ذلك فقيل لها: يا أم المؤمنين ألا ندعو لهن من يُلَهِّيهن ؟ قالت : بلى . فأرسلوا إلى فلان المغني فأتاهم فمرّتْ به عائشة رضي الله عنها في البيت فرأته يتغنى ويحرك رأسه طربا وكان ذا شعر كثير فقالت : أف شيطان أخرجوه أخرجوه . فأخرجوه .

ثم قال القرضاوي : والمعوّل عليه هنا هو ردّ النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضي الله عنه وتعليله أنه يريد أن يُعلّم اليهود أن في ديننا فسحة وأنه بُعث بحنيفية سمحه وهو يدل على وجوب رعاية تحسين صورة الإسلام لدى الآخرين وإظهار جانب اليُسر والسماحة فيه [1] .

الجواب : قد تبين ولله الحمد معنى الحديث وأنه ليس فيه مستمسك لمبطل بل هو حجة عليه .

---

[1] ص : 44 .

أما الفسحة في الدين والسماحة فَنَعَم ومن يُنكر أويعترض إلا من هو على شفا هلكة برده قول النبي صلى الله عليه وسلم لكن الفسحة والسماحة مقيّدة بسنته وهَدْيه صلى الله عليه وسلم وماكان عليه وأصحابه رضي الله عنهم . وكم وكم يَحْشر المبطلون في مقالاتهم التي يُحَسِّنون بها أعمالهم الفاسدة كلمة (الحنيفة السمحة) يُغطون بذلك باطلهم ويروّجونه { **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** } فهم مابين جاهل بالمراد من ذلك ومتجاهل فالنبي صلى الله عليه وسلم على حنيفية سمحه وقد أمرنا باتباعه وحذّرنا من إحداث زيادة أو نقصان بهذه الحنيفية السمحة فهل نهج هذا المنهج القرضاوي ومن شاكله أم أنهم يتبعون أهوائهم ؟ كما قال تعالى : **{فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهوائهم}** إنه ليس هناك قسم ثالث فإما استجابة للرسول أو اتباع الهوى .

جاريتان صغيرتان تُنشدان أشعار العرب بحضرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بل وفي وجود النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ووجود الصّدّيق رضي الله عنه تقام الدنيا وتقعد من أجل ذلك فيُباح قرآن الشيطان ومزماره ورقية الزنا وفاتح أبواب الضلال والهوى . نعوذ بالله من الفتن .

إن الحنيفية سمحة جاء هذا الخبر العظيم من الرسول الكريم لئلا يفترى عليها مفتر ويعيبها عائب فيزيد فيها أوينقص . ليست سماحتها أن تُشكّل على مقتضى الأهواء

بل هي سمحة فلا يُنطلق بها مع الأهواء الجامحة والآراء الساقطة . فَتُمطّط وتُشكّل بلا قيد ولاحد .
وكلمة الحنيفية السمحة اسْتعملت في وقتنا كثيراً كما تُسْتعمل كلمة الغلو في الدين . فقد رأينا كثيراً من الناس يُصرّفون هذه الألفاظ على مايَهْوَوْن ليس على مراد الله ورسوله فإذا رأوا من يخالف أهوائهم وعاداتهم الحادثة قالوا : هذا غلو بالدين .. وحقيقة الغلو المذموم ليس ماخالف عادات الناس وإنما مازاد على ما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم . كذلك سماحة الدين هو الدين الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهو الحنيفية السمحة ليس ما أُحْدث بعدهم من اتباع الهوى بِدَعْوى سماحة الدين.
فيقال للقرضاوي ومن هو على نِحْلته : هاتوا قياساً صحيحاً يطابق الفرع فيه الأصل في هذا المسألة . جوار صغار في بيت صلاح مُحاط بالأمان بحضور وجوار الصالحين يُنشدن أشعار الحرب والشجاعة للعرب ونحوها لا أشعار الغزل والعشق والحب ونحو ذلك من المجون فإذا أنكر عليكم أحد فاسْتدلوا عليه بحديث عائشة وشأن الجاريتين وأخبروه أن الحنيفية سمحه ففي أيام السرور مثل العيد والعرس يُسامح الصغار والنساء ونحوهم بهذا. لكن أنىّ لكم سلوك هذا المسلك ونهج هذا الطريق .
إنه لايُعجبكم ولايُرضيكم ولاتهْوَوْنه ولا تريدونه مما يبين انطلاقكم مع أهوائكم وطاعتكم العدو الذي أُخبرتم

بعداوته وأُمرتم باتخاذه عدواً لا مجرّد الإقرار بعداوته وكيف تتم معاداته لمن يُغذي قلبه وروحه بقرآنه ومزاميره ؟ بل ويُبيح ذلك ويردّ الحق من أجله ويتنقص أهله وغاية مايحتج به قياسات سوء فاسدة واقتداء بمن آرائهم بهذا الأمر كاسدة .

قال ابن القيم في حديث غناء الجاريتين مما يبين القياس الصحيح : ثم نحن نرخّص في كثير من أنواع الغناء مثل هذا ومثل الغناء في النكاح للنساء والصبيان إذا خلا من الآلات المحرّمة كما نرخص لهم في كثير من اللهو واللعب . وهذا نوع من أنواع اللعب المباح لبعض الناس في بعض الأوقات .[1]

أما زعم القرضاوي وجوب رعاية تحسين صورة الإسلام لدى الآخرين وإظهار جانب اليُسر والسماحة فيه . فكلام حق يراد به باطل فالإسلام صورته في غاية الحسن والجمال والكمال لكن المقصود الإسلام الذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وطبّقه عملياً هو وأصحابه رضي الله عنهم خير القرون وأمر الأمة به وألا تزيد عليه ولاتنقص منه فهذا الإسلام لم يُترك عالة على من يأتي في آخر القرون ليحُسّنه فهو حَسَنٌ في نفسه. وإنما اعْتراه ما اعْتراه من التشويه بتدخّل القرضاوي وأمثاله ممن يتبعون أهوائهم بغير هدىً من الله . أما ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهو محجة بيضاء وصراط مستقيم مُوصل

---

(1) الكلام على مسألة السماع ص : 310 .

إلى الجنة ورضوان الإله . ولا حاجة هنا لإيراد نصوص الآيات والأحاديث التي فيها الأمر بلزوم نهج الرسول والصحابة والتحذير مما يُحدث بعدهم فهذا أشهر من أن يذكر .

والإسلام ليس بضاعة كاسدة تُرَوَّج بالتدليس والتلبيس كما يُريد من لم يَقْدر الله حق قدْره فهو بعمايته وجهالته وضلالته واتباعه هواه يشوب الدين بالضلال المبين ليُعجب الكفرة والمبطلين وليس هذا هَدْي المرسلين فليسوا يعرضون بضائع مغشوشة فاسدة بل هو دين الإله العظيم الذي لم يكلْه على أحد ولا على أنبيائه ورسله فقد قال تعالى لأشرف رسله وأعظمهم عنده منزلة وأقربهم إليه وسيلة : { **ليس لك من الأمر شيء** } { **إن عليك إلا البلاغ** } .

ومن زعم تحسين صورة الإسلام بغير التمسك بِهَدْي

الرسول صلى الله عليه وسلم فهو مبطل ضال .

إن تحسين صورة الإسلام لدى الآخرين هو بالتقيد بحدوده والتأدب بآدابه على رضى من رَضي وسخط من سخط ليس التصرف به على أهواء الناس وقد قال تعالى : **{ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولانصير }** [(1)] .

ثم قال القرضاوي : وقد روى البخاري وأحمد عن عائشة أنها زَفّتْ امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ياعائشة ماكان معهم من لهو ؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو) .

وروى ابن ماجه عن ابن عباس قال : أنْكَحَتْ عائشة ذات قرابة لها من الأنصار . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (أهْديتم الفتاة ؟قالوا : نعم قال : أرسلتم معها من يُغني ؟ قالت : لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الأنصار قوم فيهم غَزَل فلوْ بعثتم معها من يقول : أتيْناكم أتيناكم فحيانا وحياكم). وهذا الحديث يدل على رعاية أعراف الأقوام المختلفة واتجاههم المزاجي. ولايُحكِّم المرء مزاجه هو في حياة الناس.[(1)]

الجواب : قال شيخ الإسلام رحمه الله : وقد رَخّص النبي صلى الله عليه وسلم في أنواع من اللهو في العرس ونحوه . كما رخّص للنساء أن يضربن بالدف في

---

(1) سورة البقرة . الآية : 120 .

(1) ص : 45 .

الأعراس والأفراح . وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يُصفق بكف. بل قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال : (التصفيق للنساء والتسبيح للرجال ولعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء) .

ولما كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء كان السلف يسمون من يفعل ذلك من الرجال مخنثاً . ويسمون الرجال المغنين مخانيثاً . وهذا مشهور في كلامهم . [2]

وقد تقدم بيان أن كل من رفع صوته وَوَالاه فصوته عند العرب غناء وهو هذا ترفع الجواري أصواتهن بهذا وتتابعه وهو جائز لإعلان النكاح وليس فيه مايسْتخف العقول ويدعو إلى اتباع الهوى بنغمات المخنثين وتطريبهم . فهل يُسْتدل بهذا على غناء أهل الوقت الماجن ؟ لاشك أن هذا من أفسد القياس .

يوضح ذلك ماقاله ابن الجوزي قال : روينا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : أما استماع الحداء ونشيد الأعراب فلا بأس به . قال ابن الجوزي : ومن إنشاد العرب قوْل أهل المدينة عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

طلع البدر علينا — من ثنيات الوداعِ
وجب الشكر علينا — مادعا لله داعِ

---

[2] مجموعة الفتاوى 565/11 .

قال : ومن هذا الجنس كانوا ينشدون أشعارهم بالمدينة . وربما ضربوا عليها بالدّف عند إنشاده . ثم ذكر أن من هذا الجنس مافي حديث عائشة رضي الله عنها في قصة الجاريتين اللتين كانتا تغنيان عندها بغناء بُعاث . ثم ذكر حديث عائشة وحديث جابر في إهداء الجارية إلى زوجها . وهو الذي أوْرد القرضاوي .

فهذا ليس مما يُطرب ويُسكر مثل غناء أهل الزمان وحتى الدفوف ليست على مايُعرف اليوم كما قال ابن رجب : وإنما كانت دفوفهم نحو الغرابيل وغناؤهم إنشاد أشعار الجاهلية في أيام حروبهم وما أشبه ذلك . [1] إن قياس هذا بغناء اليوم أفسد القياس. أما زعمه رعاية أعْراف الأقوام المختلفة واتجاههم المزاجي فهذا من تلبيس هذا المفتون ومراده تغيّر هذا الأمر مع تغير الأعراف والعادات والأمزجة حيث أن أهل الوقت لاتناسبهم تلك الأحوال الأولى فيُجارَوْن على أعرافهم في الغناء وأمزجتهم .

ولما ذكر شيخ الإسلام مايحتج به أهل السماع الشيطاني من مثل غناء الجاريتين ونحوه قال : ومدار الحجج في هذا الباب ونحوه إما على قياس فاسد وتشبيه الشيء بما ليس مثله وإما على جعل الخاص عامّاً وهو أيضاً من القياس الفاسد . وإما احتجاجهم بماليس بحجة أصلاً . [2]

---

[1] نزهة الأسماع ص : 41 .
[2] الإستقامة 289/1 .

وصدق رحمه الله . ومن تأمل شبهات القرضاوي في إباحته لقران الشيطان وجَدَها لاتخرج عما ذكر الشيخ قدس الله روحه . أما زعم القرضاوي أن الحديث الذي تقدم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الأنصار قوم فيهم غزل فلوْ بعثتم معها من يقول : أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكمْ . يدل على رعاية أعراف الأقوام المختلفة واتجاههم المزاجي ولايُحَكِّم المرء مزاجه هو في حياة كل الناس فمراده الإنطلاق بالغناء إلى مايهوى هو وأمثاله في هذا الزمان .

وقد قال ابن القيم بعد أن ذكر الحديث وذكر فيه بيتين أيضاً :

ولولا الذهب الأحمر ماحَلّتْ بواديكمْ
ولولا الحبة السمراء لم تسمنْ عَذاريكمْ

قال : فهذا وأمثاله الذي أذِنَ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . لم يأذن في تلك المصائب والدواهي . ومن كذب عليه فليتبوأ مقعده من النار . والإستدلال بهذه القصة وأمثالها على حِلِّ هذه العظائم المعلوم قبحها بالفطر السليمة والعقول الصحيحة يشبه الاستدلال على حِلّ الخمر والمسكر بأكل قبضة من تمر أوزبيب ويشرب فوقها شربة من ماء . فإذا ضُمَّ أحدهما إلى الآخر في الأناء حتى أسكر ثم شربه كأنه كَضَمِّهِ هذا إلى هذا في بطنه . وعُقُولٌ هذا مبلغها من العلم والمعرفة حقيق لمن نصح نفسه وخاف مقام ربه وتزود ليوم معاده وعَلِمَ أنه

موقوف بين يدي الله ومسؤول أن لايَعْبأ بها شيئاً وأن لايغتر بها وبأهلها .[1]

قال الشعبي : (لُعن المغني والمُغَنىّ له)[1] .

وقال الضحاك : (الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب)

.

ثم أوْرد القرضاوي أثر عامر بن سعد البجلي وفيه (فإنه قد رُخِّص لنا اللهو عند العرس) وقد تبين المراد من ذلك وأنه لاحجة فيه لمبطل بل هو حجة عليه لأن الترخيص في العرس على الصفة التي تقدم وصفها يبين حظر الغناء في غير ماسُمِح به وبشرط القياس الصحيح لاصَبّ النصوص بقّوَالب الهوى لتُراعي أعراف الأقوام وتتجه مع أمزجتهم .

ثم قال : وروى ابن حزم بسنده عن ابن سيرين أن رجلاً قدم المدينة بجوار فأتى عبدالله بن جعفر فعرضهن عليه فأمر جارية منهن فغنت وابن عمر يسمع فاشتراها ابن جعفر بعد مساومة ثم جاء الرجل إلى ابن عمر فقال : يا أبا عبدالرحمن غُبِنْتُ بسبعمائة درهم . فأتى ابن عمر إلى عبدالله بن جعفر فقال له : إنه غُبِنَ بسبعمائة درهم فإما أن تعطيها إياه وإما أن تردّ عليه بيعه . فقال : بل نعطيه إياها . قال ابن حزم : فلهذا ابن عمر قد سمع الغناء وسعى

---

[1] الكلام على مسألة السماع ص : 123 .

[1] الكلام على مسألة السماع ص : 459 .

في بيع المغنية . وهذا إسناد صحيح لا تلك الملفقات الموضوعة. [1]

الجواب : أولاً قد صَحّ عن ابن عمر أنه لما سمع زمارة الراعي سدّ أذنيه ومال عن الطريق فهذا دليل على إنكاره للمزمار ومبالغته في التحفظ من سماعه .

وقد روى البخاري رحمه الله في (الأدب المفرد) وابن أبي الدنيا من طريق عبدالله بن دينار قال : خرجت مع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما إلى السوق فمرّ على جارية صغيرة تغني فقال : (إن الشيطان لوْ ترك أحداً لترك هذه) وهذا أيضاً يدل على إنكاره للغناء وأنه من الشيطان .

وقال شيخ الإسلام في الرد على القشيري : قلت : أما النقل عن ابن عمر فباطل بل المحفوظ عن ابن عمر ذمه للغناء ونهيه عنه وكذلك عن سائر أئمة الصحابة كابن مسعود وجابر وغيرهم ممن أئتم بهم المسلمون في دينهم . [2]

وروى ابن أبي الدنيا من طريق يحيى بن سعيد عن عبيدالله بن عمر قال : حدثني نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما مَرّ على قوم مُحْرمين وفيهم رجل يتغنى فقال : ألاَ لاَ سمع الله لكم ألا لا سمع الله لكم . فكل هذا يدل على إنكار ابن عمر للغناء والإفتراء عليه .

---

[1] ص : 45 ،

[2] الإستقامة 281/1 .

أما عبدالله بن جعفر فيذكر أنه كان يستمع إلى الغناء وضرب العود من جواريه وقد أنكر عليه غير واحد من الصحابة والتابعين. وليس فعله حجة وقد تبين تحريم الغناء .

وقد ثبت عن مالك رحمه الله أنه ينكر الغناء ويُفسّق أهله . قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع قال : سألت مالك بن أنس عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال: إنما يفعله عندنا الفسّاق .

وهل يكون فعل عبدالله بن جعفر حجة تُرَدّها بها النصوص الثابتة الواضحة من القرآن والرسول والصحابة والتابعين في تحريم الغناء ؟.

ثم قال القرضاوي : واسْتدلوا بقوله تعالى : **{ وإذا رأوا تجارة أولهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين } .**

فقرن اللهو بالتجارة وهي حلال بيقين ولم يذمهما إلا من حيث شغل الصحابة بهما بمناسبة قدوم القافلة وضرب الدفوف فرحاً بها عن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وتَرْكِهِ قائماً .[1]

الجواب : القرضاوي مفلس ولذلك يلتمس هنا وهناك مايُوهم أنه حجة تقوم لإباحة قرآن الشيطان ورقية الزنا وأنّى له ذلك.

---

[1] ص : 46 .

فيقال لهذا المفتون : التجارة وإن كانت حلالاً فهي في هذا الوقت ليست بحلال وقد قال تعالى : { **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** } .

فحجة القرضاوي عليه لا له حيث قرن الله التجارة المحرمة في هذا الوقت باللهو وهو ضرب الدفوف المحرم .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : وما ألهى وشغل عن ما أمر الله به فهو منهي عنه وإن لم يحرم جنسه كالبيع والتجارة وسائر مايتلهى به البطالون من أنواع اللهو وسائر ضروب اللعب مما لايستعان به على حق شرعي فكله حرام .[2]

فقوله : وإن لم يحرم جنسه كالبيع والتجارة يبين المراد من أنه حلال لكنه حَرُم لإلهائه وشَغْله عن ما أمر الله به .

ثم قال : واستدلوا بما جاء عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم أنهم باشروا السماع بالفعل أو أقرّوه وهم القوم يُقتدى بهم فيهتدى .

الجواب : تقدم بيان الإفتراء على ابن عمر رضي الله عنهما وهو هنا لم يذكر هؤلاء الصحابة . وتقدم بيان الغناء عند العرب وأنه رفع الصوت وموالاته بالحداء

[2] الإختيارات الفقهيه : 160 .

ونشيد الأعراب فهل يقيس غناء الوقت بهذا إلا من أعماه هواه وأصمّه .

ثم قال : واستدلوا بما نقله غير واحد من الإجماع على إباحة السماع كما سنذكره فيما بعد ..

الجواب : الإجماع على تحريم السماع سوف يأتي إن شاء الله في كلام ابن القيم رحمه الله وليس هو تلاعب القرضاوي وتلفيقه الذي يحاول بجهده الجهيد ورأيه العنيد إقامة ظِل مستقيم لِعُودٍ أعوج. فِعْل الأحمق الأهْوج .

وحاشا الصحابة رضي الله عنهم وعلماء المسلمين المقتدى بهم أن يُبيحوا مايُقارب غناء أهل الوقت الذي حوْله يدندن هذا المفتون . وفي هذا الكتاب من النقل عنهم مايدحض باطله ويُظهر كذبه وغلبة هواه عليه .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : (لايسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله) .

قال ابن القيم : وفي هذا إشارة لمنصفٍ من نفسه فمن يهيج عند سماع الأبيات ولايتأثر بسماع الآيات . ينوح ويبكي عند سماع الصوت الرغيد . ولا يبالي عند سماع الوعد والوعيد .

فمن كانت هذه صفته فليس هو على الطريقة الصحيحة بل هو من الذين إن لم يتوبوا ويُقلعوا نودي عليهم يوم القيامة بالخزي والفضيحة .[1]

---

[1] الكلام على مسألة السماء ص : 476 .

هل للإسلام روح تبيح المحرم ؟

ثم قال : وثانياً من حيث روح الإسلام وقواعده :

أ- لاشيء في الغناء إلا أنه من طيبات الدنيا التي تسْتلذها الأنفس وتسْتطيبها العقول وتسْتحسنها الفطر وتشتهيها الأسماع فهو لذّة الأذن كما أن الطعام الهنيء لذة المعدة والمنظر الجميل لذة العين والرائحة الذكية لذة الشم .. إلخ فهل الطيبات أي المستلذات حرام في الإسلام أم حلال ؟

الجواب : كلام القرضاوي هذا خطير حيث جعل الحرام من الطيبات مما يبين غلبة هواه عليه وغِوَايته وجُرْأته أيضاً وهو من الرؤس الجهال الذين ورد ذكرهم في حديث قبض العلم وهو مُقيّض لمفتونين مثله كما قال تعالى : { **وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم وماخلفهم** } .

فهل يظنون أنه ينفعهم عند الله أويدفع عنهم أوْ أنه وهم مشتركون في الضلالة لكن هو يزيد عليهم بحمله من أوْزارهم كما قال تعالى : { **ومن أوزار الذي يضلونهم بغير علم** } .

وقياسه هذا من أفسد القياس . ويقال : أول من قاس إبليس وماعبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس . ولذلك كل قياس يخالف الحق فهو ميراث إبليس كهذا .

والقرضاوي ظاهرٌ هُنا تحكيمه لعقله حيث جعل الغناء من الطيبات ومما تستلذه الأنفس وتسْتطيبه العقول وتستحسنه الفطر . ولو علم العلم النافع لما قال ماقال لأن قرآن الشيطان إنما تستلذه الأنفس الأمارة بالسوء وتستطيبه العقول الزائفة وتستحسنه الفطر التي اجْتالتها الشياطين وماهي روح الإسلام ؟ هل للمسلم مرجع غير الكتاب والسنة ؟

أما قوله : فهل الطيبات أي المستلذات حرام في الإسلام أم حلال ؟ فكلام من أخطر الكلام لأن معناه أن كل ماكان طيباً بأيّ مزاج ومستلذاً بأيّ ذوْق فهو حلال . وهل على هذا قام دين الإسلام ؟ أم أن هذا فتح الأبواب للإباحية ليفعلوا ماطاب لهم واسْتلذوه ويحتجوا بذلك . إن الزنا واللواط وشرب الخمر وغير ذلك من المحرمات لايفعله المنحرفون إلا لأنهم يستلذونه فهل يباح لهم .

فلو قال القرضاوي : هذه المحرمات وردت أدلة الشرع بتحريمها . قيل له : وكذلك الغناء وردت أدلة الشرع بتحريمه فكيف تجعله أنت من الطيبات ؟ بل هو أقصر الطرق إيصالاً لهذه المحرمات وأسرعها مع تحريمه بنفسه حتى ولوْ لم يُوصل إليها.

ثم إن الإستدلال على إباحة الغناء لأجل اللذة والإستحسان والشهوة ضلال مبين .

قال شيخ الإسلام في المشي مع طِيب القلب ومثله الذوق والوَجد قال : فإن مجرد طيب القلب ليس دليلاً على

أنه إنما طاب لما يحبه الله ويرضاه . بل قد يطيب بمالا يحبه الله ويرضاه مما يكرهه أولا يكرهه أيضاً لاسيما القلوب التي أُشربت حب الأصوات الملحنة فقد قال عبدالله بن مسعود : (الغناء ينبت النفاق في القلوب كما ينبت الماء البقل)[1] .

فهذا فيه الرد على القرضاوي لاحتجاجه باللذة وميل النفس ولوْ طُرد هذا الأصل الفاسد لذهب الدين .

ثم قال القرضاوي : من المعروف أن الله تعالى كان قدْ حرّم على بني إسرائيل بعض طيبات الدنيا عقوبة لهم على سوء ماصنعوا كما قال تعالى : { **فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً . وأخذهم الربا وقدْ نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل** } .

فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم جعل عنوان رسالته في كتب الأولين أنه { **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** } .

فلم يبق في الإسلام طيب أي تستطيبه الأنفس والعقول السليمة إلا أحله الله رحمة بهذه الأمة لعموم رسالتها وخلودها قال تعالى : { **يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات** } .

(1) الإستقامة 413/1 .

الجواب : لقد افترى هذا المفتون على الله وعلى رسوله بزعمه إباحة الغناء وأنه من الطيبات . وسلك مسلك أرباب الإستحسان والإستقباح العقلي .

وليس الطيب ماتستطيبه النفوس مطلقاً وإنما ما أحله الشرع . فالطيب ماطاب أصله لا ماطاب طعمه . وقد قال تعالى : { **ويحل لهم الطيبات** } فهي طيبات في نفسها وإحلالها يزيدها طِيباً . أما الغناء فمن الخبائث وتحريمه يزيده خبثاً لأنه لو كان طيباً لم يحرمه الشارع بل تحريمه يبين خبثه { **ويحرم عليهم الخبائث** } فهو خبيث في نفسه . واسْتلذاذ فعل الفواحش لايجعلها طيبة .

ثم قال : ولو تأملنا لوجدنا حب الغناء والطرب للصوت الحسن يكاد يكون غريزة إنسانية وفطرة بشرية حتى إننا لنشاهد الصبي الرضيع في مهده يُسكته الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يُبْكيه لإصغائه إليه . ولذا تَعَوّدت الأمهات والمرضعات والمربيات الغناء للأطفال منذ زمن قديم بل نقول : إن الطيور والبهائم تتأثر بحسن الصوت والنغمات الموزونة حتى قال الغزالي في (الإحياء) : فمن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الإعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور وجميع البهائم إذ الجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثراً يستخف معه الأحمال الثقيلة

ويسْتقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة وينبعث فيه من النشاط مايُسكره ويُوَلّهه . إلى آخره . [1]

الجواب : هل ماذكره القرضاوي دليل من كتاب الله أوسنة رسوله أم أنه استحسان عقلي واستدلال همجي .

ونحن لاننكر سكون الأطفال للأصوات المنغمة المطربة وكذلك بعض البهائم لكن هل يدل هذا على إباحة الغناء ؟ ثم إن الله عز وجل ذكر في كلامه أن الخمر فيه منافع للناس فهل يُباح لأجل ذلك . وهذا على تقدير نفع الغناء .

قال ابن القيم رحمه الله : كون الصوت الحسن موجباً للذة أمر حِسي لكن أيّ شيء في هذا مما يدل على الأحكام الشرعية من كوْنه مباحاً أومكروهاً ومحرماً أوكوْن الغناء طاعة وقربة. وهل هذا إلا نظير قول القائل : إسْتلذاذ النفوس للوطء أمر لايمكن جحوده .

ثم قال رحمه الله: فأي دليل في هذا لمن هداه الله إلى مايحبه ويرضاه ويأمر به ويأذن فيه . وهل هذا إلا شبهة للإباحية الذين خلعوا ربقة الشريعة من أعناقهم القائلين ما الذي حال بين الخليقة وبين رسوم الطبيعة. ومن المعلوم أن جميع هذه الأجناس فيها الحلال والحرام والمعروف والمنكر . [1]

وقال ابن القيم رحمه الله : فقياس الغناء على الحداء من جنس قياس الربا على البيع وقياس نكاح التحليل على

---

[1] ص : 49 .

[1] الكلام على مسألة السماع ص : 357 .

نكاح الرغبة ونكاح المتعة على النكاح المؤبد . وأمثال ذلك من الأقيسه التي تتضمن الجمع بين مافرّق الله ورسوله بينهما . [1]

ثم ذكر قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : (ماهذان اليومان ؟) قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية : فقال عليه السلام : (إن الله قدْ أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) [2] .

الجواب : هذا حجة على القرضاوي الداعي إلى اللهو واللعب فالنبي صلى الله عليه وسلم أخبر بالبديل وهو العيدين ووصف ذلك بأنه خير لهم من اللعب .

ثم ذكر رؤية عائشة رضي الله عنها الحبشة في المسجد وقد تقدم الكلام على هذا .

ثم قال : وإذا كان الغناء لهواً ولعباً فليس اللهو واللعب حراماً فالإنسان لاصبر له على الجد المطلق والصرامة الدائمة . [1]

الجواب : ليس الأمر على مايهوى القرضاوي المتبع لهواه الجريء على حرمات الله ففي هذا الكتاب ولله الحمد مايدحض باطله وأما تعبيره بالصرامة الدائمة التي جعلها مقابلة اللهو واللعب بالغناء فمن كيده بسوء التبعير واختيار قبيح اللفظ لما لايهوى وإلا فَمّنْ قال : إنه إمّا غناء وإما صرامة دائمة ؟ هذا تشنيع على من يلتزم بحدود الشرع .

---

[1] الكلام على مسألة السماع ص : 309 .

[2] ص : 49 .

[1] ص : 50 .

مثل تشنيعه في أول كتابه على المسلمين الذين لايغنون ويرقصون ويُطبلون ويزمرون أنهم يتصورون المجتع الإسلامي مجتمع عبادة ونسك ومجتمع جد وعمل فلا مجال فيه لمن يلهو ويلعب أويضحك ويمرح أويغني ويطرب إلى آخر كلامه وقد تقدم. ومثل تشنيعه بأنهم يقولون : صوت المرأة عورة .

ساعــة وسـاعـة

ثم قال القرضاوي : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحنظلة حين ظن نفسه قدْ نافق لمداعبته زوجه وَوَلده وتغيّر حاله في بيته عن حاله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(ياحنظلة ساعة وساعة)**.

الجواب : ليس القرضاوي وحده في هذا الزمان الذي يتأول نصوص الكتاب والسنة على هواه بل هم ملء الأرض لاسيما ممن هم من جنسه من بلاده فلقد أصيب الإسلام منهم بمصائب كبرى يعلم ذلك من اسْتقرأ مجاري الأمور وأعطاه الله بصيرة بزمانه ونوراً يمشي به في الناس .

فيقال للقرضاوي : الذي لاشك فيه أن فهم الصحابة لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم هو الغاية والنهاية فمهما ادّعى مدّعٍ أتى بعدهم أنه فِهم من كلام الله أو الرسول مالم يفهموه فهو لم يعرف قدر الصحابة ولم يعرف قدْر نفسه .

فما الذي فهمه حنظلة من النبي صلى الله عليه وسلم من قوله: (ساعة وساعة) هل فهم أنه ساعة يجلس عند النبي فيحصل له ماوَصَف من الإيمان وساعة يذهب يغني ويرقص ويطرب ؟ هل فهم هذا وهل أراد النبي صلى الله عليه وسلم هذا ؟ وهل فعل هو هذا ؟ أم أنها الفهوم

القاصرة الخاسرة حيث يُستدل بكلام الرسول على الباطل . وإنما قوله صلى الله عليه وسلم : (ساعة وساعة) يعني أن مافعله حنظله وغيره من الصحابة رضي الله عنهم لامحذور فيه وهو اختلاف حالهم عما هم عليه عنده صلى الله عليه وسلم فالحديث مُفسّر بحالتين : حالة عند النبي صلى الله عليه وسلم وصَفَها صلى الله عليه وسلم بوصف بليغ وهو أنهم لو داموا عليها لصافحتهم الملائكة وهذا في الغاية من تسنّم ذرى الإيمان بل الإحسان . والحالة الثانية مداعبة زوجاتهم وملاعبة أولادهم يعني أنه لاحرج عليكم ولا إثم في هذا . فأين هذا مما نحن فيه ؟ وأين هو من احتجاج المبطلين به ؟ إنه حجة عليهم أما أن يُورِد هذا الحديث أهل الباطل والمحرم والمنكر يسْتدلون به على مايهووْن فلا ولا كرامة ولانَعمَتْ عين . بل هو والله حجة على أهل الباطل حيث خاف الصحابة النفاق لأجل هذا فكيف بغيرهم ممن ليست له الساعة الأولى ولا مايدانيها ولا مايقاربها ولايمكن أن يحصل على مثلها بعد الصحابة رضوان الله عليهم أحد. وساعته الثانية لاتحتاج إلى سؤال فالبعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير . ما أقبح الدعاوي الزائفة وأسمجها .

ومن الذي قال : إن المتدين إما يغني ويرقص ويطرب أوْ في حال صرامة دائمة بل المؤمن كما قال تعالى : { **فلنحيينه حياة طيبة** } فهو في حياة طيبة لكن لابد من المنغصات والمكدّرات . وهذا يشترك معه فيه الفاجر .

نعم المؤمن في قلبه خوف الله وعذابه وتقوى الله وآداب الشريعة مما يجعل له حالاً غير حال الفجرة ولكن وصفه بالصرامة الدائمة تشنيع .

ألأنه زايل السفهاء وأبغض العصاة وسلك غير مسالكهم ولم ينبسط لهم ولايرضى صُحْبتهم ؟ إذا كان هذا عيبه فحبذا هذا العيب ويقول لثالبه . (دع عنك لوْمي فإن اللوم إغراءُ) .

ثم قال القرضاوي : وقال علي بن أبي طالب : رَوّحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا أُكرهت عميتْ .

وقال أيضاً : إن القلوب تملّ كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة .[1]

الجواب : نحن لاننكر هذا إنما ننكر أن يُستدل به على الباطل فترويح القلوب بالمباح . وانظر قوله رضي الله عنه : فابتغوا لها طرائف الحكمة . فهل قال : فغنوا وزمّروا واطربوا ؟ نعوذ بالله من الزيغ .

كذلك ماذا كانت حال علي رضي الله عنه إذا مَلّ قلبه وماذا كان يصنع وبأي شيء كان يأمر ؟ والصحابة كلهم وعلماء المسلمين وأئمتهم .

لقد كانو أبعد شيء عن السّفه والطْيش والخفّة ومايُدَنّس دينهم.

وذكر شيخ الإسلام أن صوت الغناء ونحوه يوجب انزعاج القلب والنفس الخبيثة إلى ذلك ويوجب حركتها

---

[1] ص : 50

السريعة واضطرابها حتى يبقى الشيطان يلعب بهؤلاء أعظم من لعب الصبيان بالكرة .

والنفس متحركة فإن سكنت فبإذن الله وإلا فهي لاتزال متحركة وشبّهها بعضهم بكرة على مستوى أملس لاتزال تتحرك عليه . وفي الحديث المرفوع : (القلب أشد تقلباً من القِدر إذا اسْتجمعت غلياناً)[1] . إنتهى . فهل يليق هذا بأولياء الله ؟

---

[1] الفتاوى 314/15 .

الغزالي وإحيائـه

ثم نقل القرضاوي عن الغزالي كلاماً ساقطاً يلجئه إليه إفلاسه من حجة تستقيم له وفيه : إن الغناء لهو ولعب . ويقول والدنيا كلها لهو ولعب .

ويقول : فإذاً اللهو على هذه النية يصير قربه .

الجواب : الغناء لهو محرم . وكوْن الدنيا لهو ولعب تحذير أن نلهو فيها ونلعب فتغرّنا كما غرّتْ غيرنا بلهوها ولعبها . ليس أنها لهو ولعب إذْنٌ لنا أوْ أمر لنا أن نلهو فيها ونلعب بل هذا مذموم. وقد قال تعالى في ذم هذا الصنف : { **لاهية قلوبهم** } { **إنما كنا نخوض ونلعب** } { **اتخذوا دينهم هزواً ولعباً** } {**ألهكم التكاثر** } { **ذلك بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون**} فالفرح بغير الحق مذموم كما أن الفرح بالحق ممدوح قال تعالى : { **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** } وهو القرآن والإسلام لامزامير الشيطان التي يفرح بها أهل الكفر والفسوق والعصيان .

وقد أعجب القرضاوي كلام الغزالي فقال : وهو كلام نفيس يُعَبّر عن روح الإسلام الحق .

وقد كذب وإنما أعجبه لموافقة هواه. وفي مواضع تقدم بعضها ينقل عن كتاب الإحياء للغزالي .

والعلماء تكلموا في الغزالي وحذّروا من كتبه لاسيما المسمى: (إحياء علوم الدين) ولذلك لمّا عَلِم الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمهم الله أجمعين . لما علم أن شخصاً يقرأ في كتاب (الإحياء) للغزالي وتجتمع إليه الناس كتب إليه وذكر كلام العلماء في الغزالي وإحيائه قال .

من عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى الأخ عبدالله . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد . فقد بلغني عنك مايشغل كل من له حميّة إسلامية وغيْرة دينية على الملة الحنيفية . وذلك أنك اشتغلت بالقراءة في كتاب (الإحياء) للغزالي وجمعت عليه من لَدَيْك من الضعفاء والعامة الذين لاتمييز لهم بين مسائل الهداية والسعادة ووسائل الكفر والشقاوة وأسْمعتهم مافي الإحياء من التحريفات الجائرة والتأويلات الضالّة الخاسرة والشقاشق التي اشتملتْ على الداء الدفين والفلسفة في أصل الدين . [1]

والرسالة طويلة نقل فيها بعض كلام العلماء في الغزالي وإحيائه فقال : قد حذّر أهل العلم والبصيرة عن النظر فيها (يعني كتب الغزالي) ومطالعة خافيها وباديها بل أفتى بتحريقها علماء المغرب ممن عُرِفَ بالسنة . وسماها كثير منهم (إماتَةْ علوم الدين).

ثم ذكر العلماء الذين تكلموا في ذلك فذكر ابن عقيل وشيخ الإسلام وابن العربي المالكي تلميذ أبي حامد

---

[1] الدرر السنيه " المجلد الثاني " الجزء الثاني صفحة : 346 .

والذهبي وكلام أبي عمر بن الصلاح والمازري والقرطبي وأبي بكر الطرطوشي وأبي الوليد الطرطوشي وغيرهم من العلماء كلهم يذمون الغزالي ومؤلفاته .. فكيف يُعْتمد على من هذا شأنه في الغناء مع أن كلامه في غناء الصوفية الذي هو بدعة . ؟

بل لو كان الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ موجوداً لتكلم في كتب القرضاوي وحذر منها غاية التحذير.

شبهات القرضاوي

قال القرضاوي تحت عنوان : (القائلون بإجازة الغناء) : تلك هي الأدلة المبيحة للغناء من نصوص الإسلام وقواعده فيها الكفاية كل الكفاية ولوْ لم يقل بموجبها قائل ولم يذهب إلى ذلك فقيه فكيف وقد قال بموجبها الكثيرون من صحابة وتابعين وأتباع وفقهاء ؟

الجواب : أما زعمه الأدلة المبيحة للغناء فقد تبين ولله الحمد أنها بضائع المفلسين وتجارة الخاسرين . وحيث تبين تحريم الغناء وسوف يتبين زيادة إن شاء الله فليعلم من أباح المحرمات أي وادٍ سلك .

أما زعمه أنه قال بإباحة الغناء كثيرون من صحابة وتابعين وأتباع وفقهاء فلا تُسَلّم له هذه الدعوى الكاذبة وأين أسانيده ؟ ثم إنه قد تبين مما مضى الإفتراء على ابن عمر رضي الله عنهما وهو أعظم من اعتمد عليه في فريته من الصحابة وأزيد ذلك بياناً بما قاله ابن القيم رحمه الله قال : قال صاحب القرآن : أما مانُقِلَ عن ابن عمر فإنه نقل باطل . والمحفوظ عن ابن عمر ذمّه للغناء ونهيه عنه كما هو المحفوظ عن إخوانه من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كابن مسعود وابن عباس وجابر . وغيرهم ممن رضيهم المسلمون قدوة وأئمة . وهذه سيرة ابن عمر وأخباره ومناقبه وفتاويه بين الأمة هل تجد فيها

أنه عَمِل هذا السماع أوْحضره أورَخّص فيه فقد نزّه الله سمع ابن عمر عنه . بل وأصحاب ابن عمر. إنتهى [1] .
ومن افترى على ابن عمر كيف لايفترى على غيره ؟
ثم قال القرضاوي : وحسبنا أن أهل المدينة على ورَعِهم والظاهرية على حَرْفيّتهم وتمسكهم بظواهر النصوص والصوفية على تشدّدهم وأخذهم بالعزائم دون الرخص رُويَ عنهم إباحة الغناء. [2]
الجواب : أما أهل المدينة فالغناء المرخص فيه عندهم ليس هو الغزل المهيّج للطباع بل هو غناء الركبان ونحوه كما قاله الإمام أحمد . وتقدم ذكر معنى الغناء عند العرب . ومن ترخّص في غيره فليس ممن يُقتدى به وتقدم قول مالك : إنما يفعله عندنا الفساق .
أما الظاهرية فقد كانوا ظهرك الذي تعتمد عليه وإمامهم ابن حزم هو الذي تصول وتجول بسقطاته وزلاته وقد تبين بطلان ذلك ولله الحمد كما تبين أمر ابن حزم وشأنه الذي تجعله أنت حجة على النصوص والإجماع الذي سيأتي إيراده إن شاء الله . ولقد تركتُ من الكلام بابن حزم أقبح مما ذكرت .
وأما الصوفية فليس كلهم يبيحون قرآن الشيطان **أولاً** : ولا الأئمة منهم **وثانياً** : فقد رَدّ ذلك عليهم علماء وأئمة أعلم منهم وأجل وأرفع مقاماً في الأمة مثل الإمام الشافعي

---
[1] الكلام على مسألة السماع ص : 305 .
[2] ص : 52 .

وتقدم كلامه في التغبير حيث يقول : أحدثته الزنادقة يصدون به الناس عن القرآن.

وثالثاً: قد تقدم مايبين غناء الصوفية وأنه بلا آلات لهو وإنما هو ضرب بقضيب على مخدة ونحوه حسب إيقاع الصوت المنْشَد.

أما مايفهمه الناس اليوم من اسم الغناء فهو الداء الذي لا دواء له إلا بالتوبة الصادقة . ويأتي إقرار القرضاوي وسائله وأنها مخففة وميسّرة ومُسْقِط لشروطه . بل هي ذَرّ رماد في العيون كما يقولون. **ثم نقل القرضاوي** ماحكاه أبو منصور البغدادي الشافعي في مؤلفه في السماع أن عبدالله بن جعفر كان لايرى بالغناء بأساً ويصوغ الألحان لجواريه ويسمعها منهن على أوتاره .

الجواب : تقدم الكلام على عبدالله بن جعفر . ونزيده هنا ما قاله ابن القيم قال : وأما مانقلتَ عن عبدالله بن جعفر فلا ريب أنه قد نُقل عنه ذلك . لكن المنقول عنه أنه كانت له جارية تغنيه في بيته فيستمتع بسماع غنائها . هذا غاية مانُقل عنه.

وليس ابن جعفر ممن يُعَارَضُ به أركان الأمة كابن مسعود وابن عباس وجابر وابن عمر .

ومَن احتج بفعل عبدالله بن جعفر فليحتج بفعل معاوية في قتاله لعلي . وبفعل عبدالله بن الزبير في قتاله في الفرقة . وبمثل مروان بن الحكم في خطبته يوم العيد قبل

الصلاة . وأمثال ذلك مما لايصلح لأهل العلم والدين أن يُدْخِلوه في أدلّة الشرع .

وذكر كلاماً ثم قال : هذا مع أن الذي فعله عبدالله بن جعفر كان في داره لم يكن يجمع الناس على ذلك ولايدعو إليه ولايعدّه ديناً وقربة يُقربه إلى الله بل هو من الباطل واللهو .[1]

ومثل هذا الكلام ذكره ابن تيميه .[2]

---

(1) الكلام على مسألة السماع ص : 306 .

(2) الإستقامة ص : 281 .

غناء لهو محرم وغناء بدعة

والذي ينبغي التنّبه له وملاحظته أن الغناء المحرم عند أهل السنة قسمين :

القسم الأول : غناء اللهو وهو محرم بالكتاب والسنة والإجماع . وهو الغالب في كلام القرضاوي ويزَعْم إباحته مع بطلان دعواه .

القسم الثاني : غناء هو بدعة . وهو ما يُتخذ قربة . وكلام القرضاوي يشمل القسمين حيث خلّط تخليطاً قبيحاً وأدخل هذا بهذا. والذي مَلأَ الدنيا اليوم هو غناء اللهو والطرب . وإن كان الثاني موجود لكنه أقل منه .

شبـه داحضــة

ثم ذكر القرضاوي عدداً ممن لايرى بالغناء بأساً ولم يذكر بالإسناد إلى واحد منهم ولَوْ صَحّ عنهم ذلك فهو كما قال ابن رجب:
وقد رُويَ مايُوهِم الرخصة عن بعضهم وليس بمخالف لهذا فإن الرخصة إنما وردت عنهم في إنشاء أشعار الأعراب على طريق الحداء ونحوه مما لا محذور فيه . (1)

ومما يبين افترائه فقد ذكر ممن عدّهم مالك بن أنس وأنه يبيح الغناء بالمعازف وهذا كذب وقد تبين فيما تقدم الكذب على ابن عمر وأنه ينكر الغناء أشد الإنكار .
وقد ثبت عن مالك رحمه الله تعالى أنه كان يُنكر الغناء ويُفسّق أهله .
قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع قال : سألت مالك بن أنس عما يترخص فيه أهل المدينة من

(1) نزهة الأسماع : 62 .

الغناء فقال : إنما يفعله عندنا الفسّاق.[1]
وفي هذا رد على القرضاوي زَعْمه أن عدداً من الصحابة والتابعين يسمعون الغناء لأن ذلك فسق وحاشاهم منه . ورد على ابن طاهر زعمه الإجماع وربما قصده الحداء ونحوه .
ثم نقل القرضاوي عن ابن طاهر أنه هو إجماع أهل المدينة. وهو كذب فقد قال ابن القيم في رده : وأما نقلك لإباحته عن مالك ابن أنس وأهل الحجاز كلهم فهذا من أقبح الغلط وأفحشه فإن مالكاً نفسه لم يختلف قوله وقول أصحابه في ذمه والمنع منه وكراهته بل هو من المبالغين في ذلك الشاهدين على أهله بالفسق . وذكر جواب مالك لما سأله الطباع وقد تقدم . ثم قال : ومؤلفات أصحابه في تحريمه شاهدة بذلك . [2]
وقال شيخ الإسلام : قال أبو القاسم (يعني القشيري) : وقد سمع الأكابر الأبيات بالألحان فممن قال بإباحته مالك بن أنس . وأهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء .
فأما الحداء فإجماع منهم على إباحته . هذا من جنس كلام القرضاوي وأمثاله . قال شيخ الإسلام : قلت : هذا النقل يتضمن غلطاً بإثباتِ باطل وتركِ حق . وقد تبع فيه أبا عبد الرحمن السلمي على ماذكره في مسألة السماع . وذلك أن المعروف عند أئمة السلف من الصحابة والتابعين مثل عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر وعبدالله

---

[1] فصل الخطاب ص : 150 .
[2] الكلام على مسألة السماع : 297 .

بن عباس وجابر بن عبدالله وغيرهم وعن أئمة التابعين ذم الغناء وإنكاره .

وكذلك من بعدهم من أئمة الإسلام في القرون الثلاثة . (2)

والقرضاوي جريء في كلامه ليس ينظر في عاقبة أمره لغلبة هواه عليه .

فقد ذكر عدداً من العلماء قال : هؤلاء جميعاً قالوا بتحليل السماع مع آلة من الآلات المعروفة أي آلات الموسيقى وقد تبين كذبه فيما تقدم وإنما من نقل عنهم إباحة الغناء فيقال في ذلك :

أما ماصَحّ عمن يُقتدى بهم فهو غناء النصْب وتقدم بيانه فإنهم يبيحونه كذلك ضرب الدف في العرس وغناء الجواري الصغار بدون آلات في العيد وهو إنشاد شعر .

والقسم الثاني نقل كذب . وكم يُكْذَبُ على العلماء .

والثالث : زلاّت من لايُقتدى بهم مثل ابن حزم والغزالي ونحوهم . فالقرضاوي مُفلس ولكنه ملبس بإباحته قرآن الشيطان ومعازفه وفَتْحه أبواب الضلالة للأمة .

ومما يبين كذب دعوى القرضاوي نقله عن ابن النحوي أن الأئمة الأربعة يسمعون الغناء .. ويأتي إن شاء الله كلامهم غير ما تقدم.

---

(2) الإستقامة ص 271/1 .

وهو ينقل ممن هب ودب وكأن كل مافي الكتب صحيح بل الصحيح يتلاعب به ويصرّفه لهواه.

وقد قال ابن القيم بعد أن نفى عن الشافعي ومالك رحمهما الله حكايات مكذوبة في السماع . قال : ولوْلا شهرة أحمد وَوَرَعه لَوَضعوا عليه حكاية في إباحة السماع [1] .

هذا كلام ابن القيم . والقرضاوي نسب للأئمة الأربعة الغناء[2] وقد كذب على الأئمة الأربعة وغيرهم .

قال شيخ الإسلام : فمن فعل هذه الملاهي على وجه الدّيانة والتقرّب فلا ريب في ضلالته وجهالته وأما إذا فعلها على وجه التمتع والتلعب فمذهب الأئمة الأربعة أن آلات اللهو كلها حرام فقد ثبت في صحيح البخاري وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه سيكون من أمته من يستحل الحر والحرير والخمر والمعازف . وذكر أنهم يمسخون قردة وخنازير .

والمعازف هي الملاهي كما ذكر ذلك أهل اللغة جمع معزفة وهي الآلة التي يُعزف بها : أي يُصَوَّت بها . إنتهى [1] .

فهذا يبين فرية القرضاوي على الأئمة الأربعة ويبين أيضاً فريته على شيخ الإسلام أنه إنما يُنكر سماع الملاهي على وجه التقرب وهنا وغيره مما في هذا الكتاب يبين

---

[1] الكلام على مسألة السماع ص : 357 .
[2] ص : 57 .
[1] مجموعة الفتاوى 576/11 .

إنكاره قسمي الغناء الذي يتخذ للقربة والذي يتخذ للهو واللعب .

وقال شيخ الإسلام : ومذهب الأئمة الأربعة أن الشبابة حرام[2] إذا كان هذا مذهبهم في الشبّابة فكيف يُفْتَرى عليهم بسماع الغناء . وأهل الوقت لايعرفون من معنى اسم الغناء إلا ماصاحبته المعازف وقارنته الموسيقى .

بل الإمام أحمد وغيره ينكرون أشكال الشعر الغزلي الرقيق لئلا تتحرك النفوس إلى الفواحش . ذكره ابن تيمية [1].

(2) الفتاوى 212/30 .

(1) الفتاوى 215/28 .

الجـــــرس

وقال القرضاوي بعد أن ذكر نقولات لايُوثق بها ولا يُعتمد عليها قال : هؤلاء جميعاً قالوا بتحليل السماع مع آلة من الآلات المعروفة أي آلات الموسيقى . [1]

الجواب : قال ابن القيم رحمه الله : وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الجرس مزمار الشيطان) فإذا كان هذا في الجرس فما ظنك بالدّف المصلصل بالصنوج والشبابات المتنوعة الأشكال والأصوات . ولهذا قال الصّدّيق لِتَيْنِك الجاريتين اللتين كانتا تضربان بالدّف عند ابنته عائشة يوم العيد فانتهرهما وقال : (أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعهما ياأبا بكر فإن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا) فأقرّه على قوله : (أمزمور الشيطان) واسْتثنى من ذلك يوم العيد لمثل تلك الجواري إظهاراً للفرح والسرور كما أُقرّت الحبشة على لعبهم يوم العيد في المسجد بالحِراب . ولايقول أحد أنهم لوْ أرادوا ذلك في كل وقت وحين يُقَّرّن عليه . [1]

تأمل قول ابن القيم حتى في غناء الجاريتين يوم العيد : ولايقول أحد أنهم لوْ أرادوا ذلك في كل وقت وحين

[1] ص : 56 .
[1] الكلام على مسألة السماع ص : 470 .

يُقرّون عليه .. فكيف بما يدعو إليه القرضاوي في كيفيته وأوقاته .

والأمر والله أوضح من أن يُتكلم فيه لكن الزمان مفتون . وقدْ ورد في ذم الجرس غير ماتقدم مع أن استعماله اليوم أصبح وكأنه لابأس به ووجوده لايحصى بكثرة . فقد روى مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لاتصحب الملائكة رِفقة فيها كلب ولا جرس) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي عن أم حبيبة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لاتصحب الملائكة رفقة فيها جرس) .

وروى النسائي في سننه عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لاتدخل الملائكة بيتاً فيه جلجل ولاجرس ولاتصحب الملائكة رفقة فيها جرس) . والجلجل هو الجرس الصغير الذي يعلق في أعناق الدواب .

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن بنانة مولاة عبدالرحمن بن حسان الأنصاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : بينما هي عندها إذْ دُخل عليها بجارية وعليها جلاجل يُصَوّتن فقالت : لاتدخلنها علي إلا أن تقطعوا جلاجلها وقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول : (لاتدخل الملائكة بيتاً فيه جرس) زاد أحمد (ولاتصحب رفقة فيها جرس) .

وروى أبو داود عن عامر بن عبدالله بن الزبير أن مولاة لهم ذهبت بابنة الزبير إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي رجلها أجراس فقطعها عمر رضي الله عنه ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن مع كل جرس شيطاناً) .

وروى الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمر بالأجراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر) فإذا كان الجرس هذا شأنه فكيف بآلات الموسيقى لاسيما في الزمان الذي أَصبح فيه الغناء فناً من الفنون وعلماً من العلوم وصُنِعَ له من الآلات الموسيقية والمعازف مايذهب بالعقول من شِدّة إطرابها وإسكارها الأرواح .

شـروط مزعومـة

ثم قال القرضاوي تحت عنوان : (قيود وشروط لابد من مراعاتها) .

ولاننسى أن نضيف إلى هذا الحكم قيوداً لابد من مراعاتها في سماع الغناء .

1- نؤكد ما أشرنا إليه أنه ليس كل غناء مباحاً فلابد أن يكون موضوعه مُتفقاً مع أدب الإسلام وتعاليمه .

الجواب : قد تقدم إباحته للغناء وتهجمه على من يحرمه وبذله جهده في تهْوين أمره وشأنه . وهنا أراد أن يُلبّس بشروطه ولوْ كان يعقل ماتعرّض لِتَهْوينه أصلاً ولأخذ بأدلة الشرع واتبع السلف في ذلك والغناء كله لايتفق مع أدب الإسلام وتعاليمه فهو بذاته محرم . وإذا أُدْخل في الإسلام فهو شرع دين لم يأذن به الله .

ومعلوم أن إباحة غناء اليوم إباحة لو سائله وتفجير لبحاره وشروط القرضاوي باطلة لأنها ليست شروط يُقرها الشرع لأن الغناء حرام أصلاً ثم قال : فلا يجوز التغني بقول أبي نواس :

دع عنك لَوْمي فإن اللوم إغراءُ ... وداوني بالتي كانت هي الداءُ

ولابقول شوقي :

رمضان ولّى هاتهيا ... مشتاقةً تسعى إلى مشتاقِ ساقي

وأخطر منها قول إيلي أبي ماضي في الطلاسم :

جئتُ لا أعلم من أين ولكني أتيْتُ

ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيتُ
كيف جئتُ كيف أبصرتُ
طريقي ؟ لست أدْري
لأنها تشكيك في أصول الإيمان المبدأ والمعاد والنبوة
.

ومثل ما عُبِّر عنه بالعامية في أغنية (من غير ليه) وليست أكثر من ترجمة شك أبي ماضي إلى العامية ليصبح تأثيرها أوسع دائرة .

ومثل ذلك الأغنية التي تقول : (الدنيا سيجارة وكأس) فكل هذه مخالفة لتعاليم الإسلام الذي يجعل الخمر رجساً من عمل الشيطان ويلعن شارب الكأس وعاصرها وبائعها وحاملها وكل من أعان فيها بعمل .

ثم قال : والأغاني التي تمدح الظلمة والطغاة والفسقه من الحكام الذين ابتليتْ بهم أمتنا مخالفة لتعاليم الإسلام الذي يلعن الظالمين وكل من يعينهم بل من يسكت عليهم فكيف بمن يمجدهم ؟

والأغنية التي تمجد صاحب العيون الجريئة أوصاحبة العيون الجريئة . أغنية تخالف أدب الإسلام الذي ينادي كتابه : { **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** } {**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** } الحرمة أو الشبهة أوالكراهة من مثل مايذاع على الناس ويطلبه المستمعون والمستمعات من الأغاني التي تلح على جانب واحد . هو جانب الغريزة الجنسية ومايتصل بها من الحب والغرام

وإشعالها بكل أساليب الإثارة والتهييج . وخصوصاً لدى الشباب والشابات .

إن القرآن يخاطب نساء النبي فيقول : **{ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض }** فكيف إذا كان مع الخضوع في القول الوزن والنغم والتطريب والتأثير . [1]

الجواب : الذي ذكر القرضاوي أُنموذج وعَيِّنة مما يشمله اليوم إسم الأغاني فهي تدور في فلك الكفر والإباحية والهزل السخيف وغير ذلك مما يُذاع . وإذا كان هذا بعض شر مايسمى بالأغاني وقد أقرّبه هو فهنا تظهر فضيحته حيث أباح مايشمله هذا الذي ذكر ويلازمه ولايُعْرف في هذا الزمان من إباحة الغناء إلا هذا الذيُ يذاع ولا أقول : غناء كفر وإباحية ونحوه وغناء يتقيد بآداب الإسلام كما يُفصل القرضاوي بل كله ووسائله محرم . وكله بالمعازف المحرمة . أما الذي فصّل به السلف فهو إنشاد الشعر والحداء ونحو ذلك مما تقدم بيانه :

وهذا ليس الكلام فيه كالكلام في غناء الوقت فإنه في هذا الزمان لايُعرف للغناء معنى إلا الذي تصحبه الآلات الموسيقية والمعازف المحرمة وكل الذي ذكر من الخضوع في القول والوزن والنغم والتطريب والتأثير وأعظم منه. فالتفصيل فيه ضلال وأحسن أحوال من يفصل فيه أن ينطبق عليه معنى هذا البيت:

---

(1) ص : 60،59،58 .

ألْقــاه فــي اليمّ مكتوفاً وقــال لــه إيـــاك إيــاك أن تبتــل بالمـــاءِ

وسيأتي من كلام القرضاوي مايبين نقضه حتى لقاعدته هذه الشيطانية عندما يذكر أنه يمكن اليوم للإنسان سماع الأغاني وهو بعيد عن أهلها وأن هذا تخفيف وتيسير .

ولوْ تنزّلنا معه أن في الأغاني ماهو متفق مع أدب الإسلام فهو يعلم ويعلم غيره أنها لاتكون إلا مصحوبة بالمعازف وهذه محرمة

بمفردها ولو لم يصحبها غناء .

ومما يبين أيضاً تلبيس القرضاوي وتناقضه وتلاعبه وأنه بشروطه الخيالية غايته التحيل فقد ذكر من جنس شروط الغناء شروط لتمثيل المرأة قال : أن يكون اشتراكها ضرورياً . وأن تظهر بلباس الإسلام ولاتضع المساحيق . وأن يُراعي المخرج والمصور عدم إبراز مفاتنها والتركيز عليها في التصوير . وأن تَتَفَوّه بالكلام الحسن وتبعد عن الفاحش .

وموضع هذا في الملحق " البديل " وإنما نقلته هنا لينظر القاريء أن شروطه كذب هو يعلم يقيناً أنها يستحيل تطبيقها . هذا لوْ تنزلنا معه أن الغناء وتمثيل المرأة جائز .

وكذلك شروطه في اختلاط النساء بالرجال وعملهن يشترط أن يكون هذا الإختلاط محتشم . ومعلوم أن كلامه هذ لايقوله من يعقل مايخرج من رأسه فكأنه يقول : نشترط أن النار لاتُحرق . والماء لايُغرق . والأسد والذئب يرعى مع السخلة والجدي . والحية والعقرب تُسَيّب في البيوت . بل كلامه أقبح وأخبث من كل هذا لأن ضرر الدين أعظم من الأضرار في الأبدان والأموال .

التحيـل علــى الديـن

قال القرضاوي : ومن ناحية ثالثة يجب ألا يقترن الغناء بشيء محرم كشرب الخمر أو التبرج أو الإختلاط الماجن بين الرجال والنساء بلا قيود ولا حدود . وهذا هو المألوف في مجالس الغناء والطرب من قديم . وهي الصورة الماثلة في الأذهان عندما يُذكر الغناء وبخاصة غناء الجواري والنساء .

وهذا يدل عليه الحديث الذي رواه ابن ماجه وغيره (ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يُعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير) [1] .

الجواب : القرضاوي يشترط ألا يقترن الغناء بشيء محرم كشرب الخمر وغيره مما ذكر . ومراده بهذا أن الوعيد الوارد في الحديث إنما هو لأجل ارتكاب مجموع ماورد في الحديث من شرب الخمر وغيره . ليس أن الغناء وحده محرم ويأتي إن شاء الله بيان ذلك من كلام ابن القيم وأنه وإن كان الوعيد على جميع هذه الأفعال فلكل واحد قسط في الذمّ والوعيد . فبطلت هذه الحيلة كما بطل غيرها .

---

[1] ص : 60،61 .

فقوله : وهي الصورة الماثلة في الأذهان عندما يُذكر الغناء. **يعني** أن الوعيد الوارد في الحديث لايمس الغناء والموسيقى والمعازف بسوء أويتعرض لها بتكدير صفو وإيحاش إلا إذا قارَنَها ماذكر من شرب الخمر أو التبرج أوالإختلاط الماجن بين الرجال والنساء بلا قيود ولاحدود .. وهكذا تكون الحيل فهو علم أن هذا الحديث وأمثاله يُدمِّر بنيانه الذي أسس على غير التقوى في إباحة قرآن الشيطان ومزاميره ورقية الزنا فتحيل كما تحيّل مَنْ قبله . وهذا ميراث يهودي . وقد مضى من البراهين ويأتي إن شاء الله مايبين أن الغناء محرم بمفرده ولوْ لم يقترن معه ماذكر . وآلات الموسيقى حرام بمفردها ولوْ لم يكن معها غناء .

وليُعلم مراد القرضاوي من إباحة الغناء وأن ماذكره من الشروط ذَرّرَماد في العيون كما يقولون حيث أن شروطه لو سُلِّمتْ له كتحذير الملقى في اليم من البلل .

ولذلك يقول : وأودّ أن أنبه هنا على قضية مهمة وهي أن الإستماع إلى الغناء في الأزمنة الماضية كان يقتضي حضور مجلس الغناء ومخالطة المغنين والمغنيات وحَوَاشيهم وقلّما كانت تسلم هذه المجالس من أشياء ينكرها الشرع ويكرهها الدين . أما اليوم فيستطيع المرء أن يستمع إلى الأغاني وهو بعيد عن أهلها ومجالسها. وهذا لا ريب

عنصر مُخفِّف في القضية ويميل بها إلى جانب الإذن والتيسير . [1] .

الجواب : الآن انحل الإشكال وحتى الشروط المانعة تساقطت وتلاشَتْ حيث أذِن القرضاوي باستعمال الوسائل الحاكية للغناء وأخبث منه من الكفر والضلال في هذا الزمان . فهذا مع إباحته فهو تيسير بزعمه . نعوذ بالله من الفتن . ولاشك أن من يُهَوّن هذه الأمور ويفتح أبوابها للناس أنه كمثل الذين قال الله فيهم : **{ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم}** .

أما علم القرضاوي أن المستمع شريك إلا بإنكار يزول فيه المنكر أويُفارق .

والغناء لم يُحَرَّم من أجل مقارنته لشرب الخمر أو التبرج أومشاهدة المغنين أوالمغنيات وغير ذلك مما ذَكَر بل هو محرم بذاته وبمفرده ولوْ لم تقارنه هذه المذكورات لتأثيره في القلوب وصدّه عن الحق وغير ذلك من آثاره السيئة . أما ما يُقارنه من المحظورات فيزيد الوعيد شِدّة . وليس لأحد أن يتصرف في أمور الشرع على مايقتضيه هواه ورئاسته ونفسه الأمارة بالسوء وشيطانه المضل وانحلال أهل زمانه فإن عاقبة هذا التصرف وخيمة .

ولو سُئل القرضاوي عمن يستمع الكفر والغيبة والنميمة والفحش من غير رؤية للمتكلم بذلك وهو يتلذّذ

---

[1] ص : 61 .

بذلك ويُغذي قلبه به . فقط أنه لايجالس المتكلم فما هو جوابه ؟.

أليس الراضي كالفاعل؟ ولكن هو لايرى الغناء حراماً ولا الموسيقي وقد تقدم قوله: ومن هؤلاء من يرفض أي نوع من أنواع الموسيقى حتى المصاحبة لمقدمات نشرات الأخبار . فهو يسخر حتى بمن يوافقه على استخدام وسائل الغناء من الخوارق لأجل أنه لايستمع إلى الموسيقى.

فقول القرضاوي : أما اليوم فيستطيع المرء أن يستمع إلى الأغاني وهو بعيد عن أهلها ومجالسها وأن هذا عنصر مخفف ومُيَسِّر .

يقال له : لم يحرم الغناء لأجل حضوره فقط أوما يُقارنه من المحرمات كما حاولت وتحيّلْت وإنما هو محرم لذاته . فسماعه من رجل أو امرأة حرام وقد قال أبو الطيب الطبري : وأما سماعه من المرأة التي ليست بمحرم له فإن أصحاب الشافعي قالوا : لايجوز بحال سواء كانت مكشوفة أومن وراء حجاب . وسواء كانت حرة أومملوكة .

وقال ابن عقيل وغيره من أكابر الحنابلة إن كان المغني امرأة أجنبية فإنه يحرم الإستماع إليها بلا خلاف بين الحنابلة .

وحتى الذي يعتمد عليه القرضاوي في إباحة الغناء ابن حزم صَرّح بأنه يحرم على المسلم الإلتذاذ بسماع نغمة المرأة الأجنبية.

هل علّة تحريم الغناء الإسراف فيه ؟

ثم إن القرضاوي بعد أن ذكر الإذاعات والمذياعات التي هي بزعمه مخففة في القضية وتميل بإباحة الغناء إلى جانب الإذن والتيسير قال :
الغناء ككل المباحات يجب أن يقيد بعدم الإسراف فيه وبخاصة الغناء العاطفي . ثم يقول : لهذا يجب أن نقلل من هذا السيل الغامر من الأغاني العاطفية الغرامية .

الجواب : عِلّة الغناء عند القرضاوي الإسراف فيه فقط. وإلا فهو ككل المباحات وحتى الذي سماه الغناء العاطفي آفته كثرته فيجب أن يُقلل . وهذا التفصيل الشيطاني لم يُفصله السلف بل الأدلة قائمة عندهم على تحريم الغناء إلا ماسْتُثْني وهو على الحقيقة لايُقارَن بغناء الوقت كما تبين . قال ابن القيم رحمه الله : ولايُسْتبعد أن يقول قائل : إنما حرمت الخمر لما يُوقع شربها فيه من العداوة والبغضاء والصّدّ عن ذكر الله وعن الصلاة . وأنا أشربها لغير هذا الغرض بحيث لاتوقعني في عداوة ولابغضاء ولاتصدني عن ذكر الله ولا عن فرض من فرائضه .

ثم إن القرضاوي بعد ذلك ذكر إذا كان الغناء يسْتثير غريزة إنسان ويغريه بالفتنة ويسبح به في شطحات الخيال ويطغي فيه الجانب الحيواني على الجانب الروحاني فعليه

أن يتجنبه حينئذ ويسد الباب الذي تهب منه رياح الفتنة على قلبه ودينه وخُلُقه فيستريح ويريح . [1]

الجواب : السلف في اتّباعهم أدلة الكتاب والسنة وكلام الصحابة في تحريم الغناء لم يُفصلوا هذا التفصيل وإنما لم يتكلفوا هذا التكلف لعلمهم بما تؤول إليه مخالفة الشرع وأن الآراء المخالفة للسنة ضلالة فحماهم الله من الخوض بالباطل .

والسلف لفقههم وتقواهم لربهم يحذرون من مقاربة الفتنة حيث لايأمن الإنسان على نفسه وأمره بيد غيره .

---

[1] ص : 63 .

غنـــــاء الصوفيـــة

أما زعمه الجانب الروحاني فهذا طريق الصوفية المنحرفة الذي يتخذون السماع قربة وهذا بدعة .
إن تأثير الغناء على الأرواح بليغ الأثر شديد الخطر وكم من صريع للشيطان قاده بزمام هواه حتى أهلكه وأرداه . وانظر تلاعب القرضاوي حتى الذي يستثير فيه غريزته ويُغْريه بالفتنة ويسبح به في شطحات الخيال ويطغى فيه الجانب الحيواني على حَدِّ تعبيره لايحرمه عليه ولايعظم له خطره بل يقول : فعليه أن يتجنبه .. وتأثير الغناء أعظم مما ذكر في كل أحد كتأثير الخمر في كل أحد.
قال ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى : { **واستْتفزز من استطعت منهم بصوتك** } قال : فالصوت الشيطاني يسْتفزّ بني آدم. وصوت الشيطان كل صوت في غير طاعة الله . نُسِبَ إلى الشيطان لأمره به ورضاه به وإلا فليس هو الصوت نفسه . فصوت الغناء وصوت النوْح وصوت المعازف من الشبّابات والأوتار وغيرها كلها من أصوات الشيطان التي يسْتفز بها بني آدم فَيَسْتخفهم ويزعجهم . ولهذا قال السلف في هذه الآية : (إنه الغناء) ولاريب أنه من أعظم أصوات الشيطان التي يستفز بها النفوس ويُزعجها ويقلقها . وهو ضد القرآن الذي تطمئن

به القلوب وتسكن وتخبت إلى ربها . فصوت القرآن يُسكّن النفوس ويطمئنها ويُوَقّرها وصوت الغناء يسْتفزها ويزعجها ويهيجها كما قيل .

حامل الهوى تَعِبُ يسْتفزّه الطربُ

وذكر أبياتاً من هذا الشعر وقال : فلوْ لم يكن دليل على أن صوت الغناء والمعازف هو صوت الشيطان لما يسْتفز به السامع ويقلقه ويزعجه ويزيل طمأنينته لكفى به دليلا . (1)

قال شيخ الإسلام عن الغناء الذي يتخذ للقربة : ولم يكن أحد من الصحابة والتابعين وأئمة الدين وغيرهم من مشايخ الدين يحضرون مثل هذا السماع لا بالحجاز ولامصر ولا الشام ولا العراق ولا خراسان لافي زمن الصحابة والتابعين ولا تابعيهم لكن حدث بعد ذلك . إنتهى (2) .

---

(1) الكلام على مسألة السماع ص : 379 .

(2) الفتاوى 531/11 .

هل الغناء والطرب من واقع المسلمين

ثم قال تحت عنوان : (الغناء والطرب في واقع المسلمين) إن أذن المسلم العادي موْصولة بطيبات السماع ثم ذكر الذين يقرأون القرآن في هذا الزمان الذين ينطبق عليهم قول كعب الأحبار قال : ليقرأنّ القرآن رجال وإنهم أحسن أصواتاً من العَزّافات وحداة الإبل لاينظر الله إليهم يوم القيامة .

ثم قال القرضاوي : ومن خلال الأذان ومن خلال الإبتهالات الدينية ومن خلال المدائح النبوية .

الجواب : لم يشرع الأذان للتطريب وإنما هو نداء للصلاة وتلاوة القرآن يُحَسّن الإنسان بذلك صوته بلا تكلف ولاتلحين وتطريب يصرف القرآن عن تدبّر معانيه . أما الإبتهالات الدينية والمدائح النبوية فهذه من بدع الصوفية المنحرفة فلم يشرع هذا .

ثم ذكر من أنواع الغناء ماسمّاه : المواويل والقصص المنظومة والملاحم الشعبية للأبطال مع الربابة وأغاني الأعياد والأفراح والمناسبات السارة مثل العرس وولادة المولود وختان الصبي وقدوم الغائب وشفاء المريض وعَوْدَة الحاج .. ونحوها .

وأهازيج وأغاني جني الثمار أو القطن وغيرها وأهازيج العمال والفَعَلة والمسحّراتية في شهر رمضان .

ثم قال : وهكذا نجد هذا الفن في الغناء يتخلل الحياة كلها دينية ودنيوية ويتجاوب الناس معه بتلقائية وفطرية ولايجدون في تعاليم دينهم ما يعوقهم عن ذلك .

وبعد أن ذكر من هذا التخبيط اللائق به ألواناً واشكالاً تُوهِم أن الله يقول : وما خلقت الجن والإنس إلا ليغنوا . نعوذ بالله من الفتن قال :

وهذا الذي لاحظته في مصر وجدتُ مثله في بلاد الشام وفي بلاد المغرب وغيرها من بلاد العرب . [1]

الجواب : وهل تؤخذ الأحكام الشرعية من عادات الناس وأحْوالهم ؟ بل هذا ضلال وميزان المسلم الشرع . وهل يُقتدى بالفسقة والفجرة والضُّلاّل فيما يفعلونه من فجورهم .

وهذه حصيلة القرضاوي لإفلاسه يستدل بما يفعله الفسقة والفجرة مُلْتَذّين به يجدون به وَجْداً وشوقاً وحباً .

وقد قال ابن القيم : فأهل الوَجْد والقصد الصحيح قالوا : **{ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فأمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد}.**

أجابوا منادي الإيمان إذْ ناداهم : حي على الفلاح . وَوَاصلوا السير إليه مع الدليل بالغدو والتّرْواح . وفَنَوْا

---

[1] ص : 68 .

بمراده عن مرادهم فبذلوا أنفسهم في مرضاته بذل المحب بالرضى والسماح .

وسيحمدون عند اللقاء مَسْراهم فإنما يحمد القوم السّرى عند الصباح .

وأهل الغناء ناداهم منادي الشيطان : حَيّ على رُقْية الزنا ورائد الفسوق والعصيان فأجابوه بلبيك داعي الشهوات وسمسار اللذات. ها نحن لدعوتك مسْتجيبون . وفي مرضاتك مسارعون.[1]

[1] الكلام على مسألة السماع ص : 438 .

تحريم ماحرم الله ورسوله ليس بتشديد

ثم قال القرضاوي : لِمَ شدّد المتأخرون في أمر الغناء ؟[1].

فذكر أنهم أخذوا بالأحوط وأن المتقدمين أخذوا بالأيسر وهذا من تلبيسه . فتحريم الغناء لم يُحدثه المتأخرون بل إنهم اتبعوا في ذلك نبيهم والصحابة والسلف من الأئمة الأربعة وغيرهم وعلى ذلك نصوص الكتاب والسنة والإجماع .

كذلك ذكر من أسباب تشديدهم الإغترار بالأحاديث الضعيفة وكذب فهم وإن ذكروا أحاديث ضعيفة لكن ليست هي عمدتهم لكن ما المانع من الإستشهاد بها والإعتضاد ومازال العلماء على هذا.

وأحاديث تحريم الغناء فيها الصحيح والحسن والضعيف كذلك ذكر من أسباب التشديد في الغناء عند المتأخرين بزعمه . الغناء الماجن الذي اختلط معه إضاعة الصلوات وملابسة الفجور وشرب الخمور وقول الزور وتلاعب الجواري الحسان المغنيات (القيان) بعقول الحضور كما شاع ذلك في حقب معروفة في العصر العباسي وكان سماع الغناء يقتضي شهود هذه المجالس بما فيها من خلاعة ومجانة وفسوق عن أمر الله .

---

[1] ص : 68 .

الجواب : يريد بهذا اللبس تقرير أن الغناء بمفرده ليس حرام بالمعازف والموسيقى وإنما حرّمه المتأخرون للأسباب التي ذكر وكذب القرضاوي فالغناء محرم بالقرآن والسنة وقد فسّره بذلك النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة فهو محرم بمفرده . وأما ماذكره مما يُقارِنه فيزيد الأمر شدّه . وقد تقدم بيان ذلك .

كذلك الذين كانوا يسمعون الغناء من الماضين كما ذكر ليسوا يَسْتحلونه ..

والعجب من مكابرة القرضاوي. فالأحاديث وأقوال الصحابة ومن بعدهم من العلماء كل هذا لم يرفع به رأساً وإنما جاء التحريم من المتأخرين سالكين مسلك التشديد لأجل ماقارن الغناء من شرب الخمور وغيره مما ذكر . وهذه مغالطات ومكابرات لاتخفى . ومن جهالته يلتمس أدلة إباحة الغناء من عادات الفساق .

ثم ذكر غناء الصوفية وقال : وهذا ما أنكره عليهم أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم اللذيْن شَنّا على الغناء هجوماً عنيفاً حاداً وخصوصاً ابن القيم في (إغاثة اللهفان) الذي شحذ كل أسلحته وأجْلب بخيله ورَجِله لتحريم الغناء واضح على غير عادته بغير الصحيح وغير الصريح إذْ كان نُصْب عينيه ذاك النوع من الغناء . وقد رأى فيه هو وشيخه أنه تقرب إلى الله بما لم يشرعه وإحداث أمر في الدين لم يكن على عهد النبوة

ولاعهد الصحابة وربما لابَسَه بعض البدع ولاسيما إذا وقع في المساجد أنْشد ابن القيم مُشَنّعاً عليهم :

تُلِيَ الكتاب فأطرقوا لاخيفة ... لكنه إطّراق لاهٍ ساهي
وأتى الغناء فكالحمير تناهقوا ... والله مارَقصوا لأجل الله
دُفٌّ ومزمار ونغمة شادنٍ ... فمتى رأيتَ عبادة بملاهي [1]

الجواب : ينبغي التنبّه هنا لتلاعب القرضاوي وتلبيسه ومغالطاته حيث زعم أن الذي أنكره شيخ الإسلام وتلميذه وشنّا عليه الهجوم هو غناء الصوفية الذي يُتّخذ قربة وعبادة . ومراده بهذا الكذب البيّن كَسْر حِدَّة كلام الشيخ وتلميذه في غناء الطرب واللهو الذي لايتخذ قربة وهو أكثر غناء أهل الوقت وهو الذي يُدَندن حوْله القرضاوي بل يُدَندن به مع أنه قد خلط في كتابه هذا بين النوعين فقد نقل عن الغزالي في مواضع وعن غيره مايؤيد سماع الصوفية البدعي .

والمراد هنا أنه يُريد حجب الناس عن كلام الشيخ وتلميذه في الغناء لأنه يُدَمْدم بنيانه ويهدّ أركانه حيث جعله محصوراً بغناء الصوفية البدعي . ويزعم أن ابن القيم رأى فيه وشيخه أنه تقرب إلى الله وكأنّ هذا مجرد رأي لهما فتأمل .

فيقال له : غناء الصوفية أنكره قبل أن يُولد شيخ الإسلام وتلميذه بقرون الأئمة وعلماء الأمة . وليس في كلام الصحابة لأنه حدث بعدهم بخلاف القسم الثاني من

[1] ص : 70 ، 71 .

الغناء فهو الذي تكلموا فيه رضي الله عنهم وقد تقدم قول الشافعي رحمه الله : تركت بالعراق شيئاً يسمونه التغبير وضَعَتْه الزنادقة يصدون به الناس عن القرآن.

وهذا الكلام مشهور عن الشافعي رحمه الله تناقله العلماء مؤيدين له .

وقد قال ابن القيم في إغاثة اللهفان [1] : وقد تواتر عن الشافعي أنه قال : خلّفْتُ ببغداد ... ويأتي ذكره كذلك قال ابن القيم عن أبي حنيفة رحمه الله أن مذهبه في الغناء من أشدّ المذاهب وقوله فيه أغلظ الأقوال . وقد صرّح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها كالمزمار والدف حتى الضرب بالقضيب وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق وتُردبه الشهادة . إلى آخره . والشاهد هنا قوله : حتى الضرب بالقضيب وهو غناء الصوفية الذي تقدم مراراً قول الشافعي فيه .

وفي هذا الكتاب من النقل عن شيخ الإسلام وتلميذه مايبين إنكارهما لِنوعي الغناء : غناء الصوفية الذي يتخذونه قربة وغناء اللهو والطرب مما يبين تلبيس القرضاوي .

وقد تقدم إنكار الأئمة الثلاثة للغناء وهذا الرابع أبو حنيفة رحمهم الله أجمعين وقد افترى عليهم القرضاوي بسماع الغناء .

---

[1] 229/1 .

ثم إن القرضاوي اسْتعار لابن القيم قدس الله روحه الإجلاب بالخيل والرَّجِل لتحريم الغناء وهذا من صفات إبليس فعدم أدبه مع هذا العالم الجليل يبين مافي نفسه وبغضه لما يُعارض هواه .

أما كلام ابن القيم في إغاثة اللهفان فسأضيفه إن شاء الله إلى هذا الكتاب إرغاماً لأنوف أهل قرآن الشيطان ومزماره . وفيه بيان إنكار ابن القيم للغناء بقسميه بخلاف ما ادّعاه هذا المفتون . وفيه قصائد تبين أيضاً إنكار ابن القيم لغناء الطرب واللهو غير الثلاثة الأبيات التي اختارها القرضاوي ليؤكد بها أن إنكار ابن القيم وشيخه لغناء الصوفية فيخلو له الجو بغنائه الذي يْهوي يبين ذلك في القصيدة :

(والله مارقصوا لأجل الله) و (فمتى رأيتَ عبادة بملاهي) كذلك كلام شيخ الإسلام على قسمي الغناء معروف مشهور في مؤلفاته . فهذا تلاعب مكشوف الذي أجلب بخيل الشيطان ورجاله دفاعاً عن قرآنه .

ولابن القيم كتاب في الغناء أبلغ مما أشْرق القرضاوي إسمه (الكلام على مسألة السماع) نقلت منه في هذا الكتاب بعض المواضع . فأذكره هنا إرغاماً لأهل قرآن الشيطان وهو كتاب نفيس كسائر كتب هذا الإمام وشيخه قدّس الله أرواحهما . وفيه مناظرة بين صاحب غناء وصاحب قرآن .

وقد ذكر هذا الكتاب في آخر كلامه على الغناء في إغاثة اللهفان حيث قال : وقد ذكرنا شُبَه المغنين والمفتونين بالسماع الشيطاني ونقضناها نقضاً وإبْطالاً في كتابنا الكبير في السماع. إلى آخره . [1]

ثم قال القرضاوي : وفي بعض فتاوى ابن تيمية مايجيز الغناء إذا كان لرفع الحرج والترويح .

الجواب : لم يذكر هذه الفتوى فلا يُسلّم له مجرد كلام مثل هذا. لكن على تقدير ذلك فهو مثل مامضى بيانه مما يسميه العرب بالغناء وهو إنشاد الأشعار والحداء ونحو ذلك أما غيره فكذب على الشيخ وسوف يتبين من كلامه مايفضح أرباب قرآن الشيطان فمن ذلك كلامه في زمارة الراعي التي تقدم الكلام فيها بالحديث وكوْن ابن عمر سمعها وسالم أيضاً قال : زمارة الراعي ليست مطربة كالشبابة التي تصنع من اليراع فلوْ قُدِّر الإذن فيها لم يجز الإذن في اليراع الموصول ومايتبعه من الأصوات التي تفعل في النفوس فعل حُمَيّا الكؤوس .[1]

وفي هذا أيضاً بيان إنكار الشيخ للغناء مطلقاً بخلاف حصر القرضاوي ذلك بغناء الصوفية .

ومن ذلك قوله في كتاب الإستقامة [2] :

فصل : ومن أقوى الأسباب المقتضية للسّكر سماع الأصوات المطربة من وجهين :

---

[1] إغاثة اللهفان 267/1 .
[1] فصل الخطاب ص : 43 .
[2] ص : 147 ، 148 .

من جهة أنها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر معها العقل . ومن جهة أنها تحرك النفس إلى نحو محبوبها كائناً ماكان فتحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع ماقد تخيّل المحبوب وتصوره لَذّات عظيمة تقهر العقل أيضاً . فتجتمع لذّة الألحان والأشجان .

ولهذا يُقرن سماع الألحان بالشرب كثيراً إما شراب الأجسام وإما شراب النفوس وإما شراب الأرواح وهو مايقترن بالصوت من الأقوال التي فيها ذكر الحب والمحبوب وأحوالهما . فإن سماع الأقوال شراب وغذاء وقُوت للقلوب . فيجتمع سماع الحروف الطيبة والأصوات الطيبة فإن ذلك أقوى مما إذا انفرد أحدهما مثل سماع كلام يطيب للمستمع بلا أصوات ملّحنة مثل من يناجي بحديث لِحِبِّه أويجهر به جهراً قريباً . ومثل سماع أصوات طيبة لاحروف فيها كأصوات الطيور الطيبة وأصوات الآلات المصنوعة من العيدان والأوتار والشبّابة والصوت الذي يلحنه الآدمي بلا حروف ونحو ذلك .

فأما إذا اجتمع هذا وهذا فهو أقوى . ويؤثر في النفوس تأثيراً عظيماً كتأثير الخمر أو أشدّ . إنتهى .

والنقل عن شيخ الإسلام وتلميذه في ذم الغناء يطول . وقد ضمّنتُ هذا الكتاب مايكفي .

ثم إن القرضاوي رجع مرة ثالثة للغزالي وإحيائه ونقل عنه كلاماً في الغناء بتفاصيل وشروط لم يتكلم بها الصحابة ولا الأئمة المقتدى بهم في الأمة .

وإنما حاصل كلامه وتعليق القرضاوي عليه تهوين أمره ونشر الضلالة والغواية . وقدْ تقدم كلام العلماء في الغزالي وإحيائه فليس هو ممن يؤتمّ به ويقتدى به لكن هذا المفلس يروِّج بضائع مزجاة .

ثم إن القرضاوي في ختام كلامه على الغناء حَذّر من التساهل هل في إطلاق التحريم وهذا صحيح لكنه حجة عليه فتحليل الحرام مثله وقد وقع في ذلك بلا مبالاة .

الغناء سكر الأرواح

قال شيخ الإسلام عن السماع أنه للروح كالخمر للجسد يفعل في النفوس فعل حميا الكؤوس .

ولهذا يورث أصحابه سكراً أعظم من سكر الخمر فيجدون لذة بلا تمييز كما يجد شارب الخمر . بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر . ويصدهم ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة أعظم مما يصدهم الخمر ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر . إلى آخره .[1]

وقال أيضاً : ومن أقوى الأسباب المقتضية للسّكر سماع الأصوات المطربة . وقد تقدم ذكر ذلك .

وقال : والمعازف هي خمر النفوس تفعل بالنفوس أعظم مما تفعل حميا الكؤوس ؟. فإذا سكروا بالأصوات حَلّ فيهم الشرك ومالوا إلى الفواحش وإلى الظلم . إلى آخره .[2]

وقال : وأما الفواحش فالغناء رقية الزنا . وهو من أعظم الأسباب لوقوع الفواحش ويكون الرجل والصبي والمرأة في غاية العفّة والحرية حتى يحضره فتنحل نفسه وتسهل عليه الفاحشة ويميل لها فاعلاً أومفعولاً به أوكلاهما كما يحصل بين شاربي الخمر وأكثر .[1]

---

[1] مجموعة الفتاوى 574/11 .
[2] مجموعة الفتاوى 417/11 .
[1] الفتاوى 418/10 .

إقتصرت على رد مسألة الغناء من كتابه الذي سمّاه (الإسلام والفن) مع أن فيه موضوعين آخرين أحدهما (فن الجمال المرئي، الرسم والتصوير والزخرفة) .

والآخر سماه : (فن الفكاهة والمرح، الكوميديا) .

وفي ذلك من الضلال ما الله به عليم . وهو إنما أظهر هذه الأسماء ليُرَوّج الباطل بالتزويق والزخرفة .

والكلب كلب ولو طُوِّق بالذهب . فهذه بضائع خاسرة فلم أرد هنا إلا مسألة الغناء وربما أرد عليه في الموضوعين الآخرين إن شاء

الله وأعان . والآن أرفق كلام ابن القيم في الغناء الذي ذكره في (إغاثة اللهفان) وبعده الملحقات . والحمد لله وصلى الله على نبينا محمد.

كتبــه
عبدالكريم بن صالح الحميد
بريدة
1420 هجرية

فصـــــل

ومن مكايد عدو الله ومصايده، التي كاد بها من قَلَّ نصيبه من العلم والعقل والدِّين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين : سماع المُكاء، والتَّصْدِية، والغناء بالآلات المحرَّمة، الذي يَصُدُّ القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان . فهو قرآن الشيطان. والحجاب الكثيف عن الرحمن . وهو رُقية اللواط والزِّنا . وبه ينالُ العاشق الفاسق من معشوقة غاية المنى . كاد به الشيطان النفوس المبطلة . وحَسَّنه لها مكراً منه وغرورا . وأوحى إليها الشُّبَه الباطلة على حُسْنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجورا . فلو رأيتهم عند ذياك السماع وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات . وعكفت قلوبهم بكليتها عليه . وأنصبَّت انصبابةً واحدةً إليه . فتمايلوا له ولا كتمايل النَّشْوان، وتكسَّرُوا في حركاتهم ورقصهم، أرأيت تكسُّر المخانيث والنسوان؟ ويحقُّ لهم ذلك، وقد خالط خُماره النفوس، ففعل فيها أعظم مايفعله حُمَيَّا الكؤوس . فلغير الله، بل للشيطان، قلوبٌ هناك تمزَّق . وأثواب تُشَقَّق . وأموال في غير طاعة الله تُنْفَق . حتى إذا عمل السكر فيهم عمله . وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله . واستفزَّهم بصوته وحِيْله . وأجلب عليهم برجله وخَيْلِه . وخزَ في صدور وخزاً وأزَّهم إلى ضرب الأرض بالأقدام

أزًّا . فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار . وتارة كالدباب ترقص وسيط الديار. فيا رحمتا للسقوف والأرض من دَكِّ تلك الأقدام . ويا سوأتا من أشباه الحمير والأنعام . وياشماتة أعداء الإسلام . بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام .[1] قضوا حياتهم لذةً وطرباً . واتخذوا دينهم لهواً ولعباً . مزامير الشيطان أحبُّ إليهم من استماع سور القرآن . لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حَرَّك له ساكناً . ولا أزعج له قاطناً . ولا أثار فيه وَجْداً . ولا قدح فيه من لواعج الشوق إلى الله زنداً، حتى إذا تُلِيَ عليه قرآنُ الشيطان. وولج مزموره سمعه، تفجَّرت ينابيع الوجد من قلبه على عينيه فجرت، وعلى أقدامه فرقصت، وعلى يديه فصفَّقت، وعلى سائر أعضائه فاهتزَّت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زَفَراته فتزايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت . فيا أيها الفاتن المفتون، والبائع حَظَّه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسرٍ مغبون، هلاَّ كانت هذه الأشجان، عند سماع القرآن ؟ وهذه الأذواق والمواجيد، عند قراءة القرآن المجيد؟ وهذه الأحوال السَّنيَّات، عند تلاوة السور والآيات ؟ ولكن كل امرىء يصبو إلى مايناسبه، ويميل إلى مايشاكله، والجنسية عِلَّةُ الضمِّ قدراً وشرعا، والمشاكلة سبب الميل عقلا وطبعاً، فمن أين هذا الإخاء والنسب ؟ لولا التعلقُ من الشيطان

---

[1] يقصد الشيخ رحمه الله : المتصوفة الذين يتحلقون حلقاً، يقومون فيها يرقصون ويتمايلون على أنغام الغناء والآلات ويتصايحون، ويهتزون ويتراقصون بما يسمونه ذكراً . وهو فسوق وعصيان، وذكر للشيطان هداهم الله . وخلصهم وخلص الإسلام من تلك الشرور والآثام .

بأقوى سبب . ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد الإيمان وعهد الرحمن خَلَلاً ؟ { **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً** } .

ولقد أحسن القائل :

تُلِى الكتابُ، فأطرقوا، لاخِيفَةً — لكنَّه إطراقَ ساهٍ لاهى
وأتى الغناءُ، فكالحمير تناهقوا — والله مارَقَّصُوا لأجل الله
دُف ومزمارٌ، ونغمة شادنٍ — فمتى رَأيتَ عبادةً بملاهى؟
ثَقُلَ الكتاب عليهم لَمَّا رأوا — تقييدهُ بأوامرٍ ونَوَاهي
سمعوا له رَعْداً وبَرْقا، إذ حوى — زَجْرًا وتخويفاً بفعل مناهي
ورأوه أعظمَ قاطعٍ للنفس عن — شهواتها، ياذبحها المتناهي
وأتى السماعُ موافَقاً أغراضها — فلأجل ذاك غدا عظيم الجاه
أين المساعد للهوى من قاطع — أسبابه، عند الجهول الساهي ؟
إن لم يكن خَمرَ الجُسوم، فإنه — خمرُ العقول مماثِلٌ ومُضاهي
فانظُرْ إلى النَّشْوان عند شرابه — وانظر إلى النِّسوان عند ملاهي
وانظُرْ إلى تمزيق ذا أثوابَه — من بعدِ تَمزيق الفؤاد اللاَّهي
واحكم فأيَّ الخمرتين أحق بالتـ — ـحريم والتأثيم عند الله

وقال آخر :

بَرئنا إلى الله من مَعْشَرٍ — بهم مرضٌ من سماع الغنا
وكم قلتُ : ياقوم ، أنتم على — شَفَا جُرُفٍ مابه من بِنا
شفا جرُفٍ تحته هُوَّة — إلى دَرَكٍ، كم به من عَنا ؟
وتكرارُ ذا النصح مِنَّا لهم — لِنُعْذِرَ فيهم إلى رَبِّنا
فلما استهانوا بتنبيهنا — رجعنا إلى الله في أمرنا
فعِشْنَا على سُنَّةِ المصطفى — وماتوا على تِنْتنا تِنْتِنا

ولم يزل أنصارُ الإسلام وأئمة الهدَى، تصيح بهؤلاء من أقطار الأرض، وتُحذِّر من سلوك سبيلهم، واقتفاء آثارهم، من جميع طوائف الملَّة .

قال الإمام أبو بكر الطَّرطوشي في خطبة كتابه، في تحريم السماع :

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عُدوان إلا على الظالمين، ونسأله أن يُرينا الحق حقا فنتبعه، والباطل باطلا فنجتنبه . وقد كان الناس فيما مضى يستسر أحدهم بالمعصية إذا واقعها، ثم يستغفر الله ويتوب إليه منها، ثم كثر الجهل، وقلّ العلم، وتناقص الأمرُ، حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهاراً، ثم ازداد الأمر إدباراً، حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين ـ وفقنا الله وإياهم ـ استزلهم الشيطان، واسْتغوى عقولهم في حب الأغاني واللهو، وسماع الطقطقة والنقير، واعتقدته من الدين الذي يُقرِّبهم إلى الله. وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقَّتْ سبيل المؤمنين، وخالفت الفقهاء والعلماء وحَمَلَة الدِّين، { **ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولِّهِ ماتولى ونُصله جهنم وساءت مصيراً** } .

فرأيت أن أوضح الحق، وأكشف عن شُبه أهل الباطل، بالحجج التي تضمنها كتاب الله، وسنةُ رسوله، وأبدأ بذكر أقاويل العلماء الذين تُدور الفُتيا عليهم في أقاصي الأرض ودانيها، حتى تعلم هذه الطائفة أنها قد خالفت علماء المسلمين في بدعتها . والله ولي التوفيق .

ثم قال : أما مالك فإنه نهى عن الغناء، وعن استماعه، وقال: (إذا اشترى جارية فوجدها مُغَنِّية كان له أن يردها بالعيب).

وسُئل مالك رحمه الله : عما يُرخِّص فيه أهلُ المدينة من الغناء؟ فقال : (إنما يفعله عندنا الفُسَّاق) .

قال : وأما أبو حنيفة : فإنه يكره الغناء، ويجعله من الذنوب.

وكذلك مذهب أهل الكوفة : سُفيان : وحَمَّاد، وإبراهيم، والشعبي، وغيرهم، لا اختلاف بينهم في ذلك، ولا نعلم خلافاً أيضاً بين أهل البصرة في المنع منه .

قلت : مذهب أبي حنيفة في ذلك من أشدِّ المذاهب، وقوله فيه أغلظُ الأقوال . وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها، كالمزمار، والدُّفِّ، حتى الضرب بالقضيب، وصرحوا بأنه معصية، يوجب الفسق، وتردَّ به الشهادة، وأبلغ من ذلك أنهم قالوا : إن السماع فسقٌ، والتلذذ به كفرٌ . هذا لفظهم، وروَوا في ذلك حديثاً لايصح رفعه .

قالوا : ويجب عليه أن يجتهد في أن لايسمعه إذا مَرَّ به، أوكان في جواره .

وقال أبو يوسف، في دار يسمع منها صوتُ المعازف والملاهي: (أدخل عليهم بغير إذنهم، لأن النهي عن المنكر فرض، فلو لم يجز الدخول بغير إذن لامتنع الناس من إقامة الفرض) .

قالوا : ويتقدم إليه الإمام إذا سمع ذلك من داره، فإن أصَرَّ حبسه أوضربه سياطا، وإن شاء أزعجه عن داره .

وأما الشافعي : فقال في كتاب أدب القضاء (إن الغناء لَهْوٌ مكروه، يُشبِه الباطل والمحال . ومن استكثر منه فهو سفيه تُردّ شهادته) .

وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه . وأنكروا على من نسب إليه حِلَّه، كالقاضي أبي الطيب الطبري، والشيخ أبي إسحاق، وابن الصباغ .

قال الشيخ أبو إسحاق في التنبيه : ولاتصح - يعني الإجارة - على منفعة محرمة، كالغناء والزّمر، وحمل الخمر . ولم يذكر فيه خلافاً .

وقال في المهذَّب : ولايجوز على المنافع المحرمة، لأنه محرم فلا يجوز أخذُ العوض عنه كالميتة والدم .

فقد تضمن كلام الشيخ أموراً .

أحدها : أن منفعة الغناء بمجرده منفعة محرمة .

الثاني : أن الاستئجار عليها باطل .

الثالث : أن أكل المال به أكل مال بالباطل، بمنزلة أكله عوضاً عن الميتة والدم .

الرابع : أنه لايجوز للرجل بذل ماله للمغنِّي، ويحرم عليه ذلك. فإنه بذل ماله في مقابلة محرم، وأن بذله في ذلك كبذله في مقابلة الدم والميتة .

الخامس : أن الزَّمْر حرام .

وإذا كان الزمر، الذي هو أخفُّ آلات اللهو، حراما، فكيف بما هو أشدُّ منه ؟ كالعود، والطنبور، واليراع . ولا ينبغي لمن شمَّ رائحة العلم أن يتوقف في تحريم ذلك . فأقلُّ مافيه : أنه من شعار الفساق وشاربى الخمور .

وكذلك قال أبو زكريا النووي في رَوضته :

القسم الثاني : أن يُغنِّى ببعض آلات الغناء، بما هو من شعار شاربى الخمر، وهو مُطربٌ كالطُّنبور والعُود والصَّنْج، وسائر المعازف، والأوتار . يحرم استعماله، واستماعه . قال : وفي اليراع وجهان، صحح البغويُّ التحريم .

ثم ذكر عن الغزاليِّ الجواز . قال : والصحيح تحريم اليراع، وهو الشَّبَّابة .

وقد صنف أبو القاسم الدَّوْلَعى كتابا في تحريم اليراع .

وقد حكى أبو عمرو بن الصلاح الإجماع على تحريم السماع، الذي جمع الدُّفَّ والشَّبَّابة والغناء . فقال في فتاويه .

وأما إباحة هذا السماع وتحليله، فلْيُعلم أن الدُّفَّ والشَّبَّابة والغناء إذا اجتمعت، فاستماع ذلك حرام، عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين . ولم يثبت عن أحد ـ ممن يُعْتَدّ بقوله في الإجماع والاختلاف ـ أنه أباح هذا السماع؛ والخلاف المنقول عن بعض أصحاب الشافعي إنما نُقل في الشَّبَّابة منفردة، والدف منفردا، فمن لايُحصِّل، أولا يتأملُ، ربما اعتقد خلافا بين الشافعيين في

هذا السماع الجامع هذه الملاهي، وذلك وهم بَيِّن من الصائر إليه، تنادي عليه أدلة الشرع والعقل، مع أنه ليس كل خلاف يُستروح إليه، ويعتمد عليه، ومن تَتَّبع مااختلف فيه العلماء، وأخذ بالرخص من أقاويليهم، تزندق أوكاد .
قال : وقولهم في السماع المذكور : إنه من القربات والطاعات، قول مخالف لإجماع المسلمين، ومن خالف إجماعهم فعليه مافي قوله تعالى : { **ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلِّهِ ماتولَّى ونُصْلِهِ جهنم وساءت مصيراً** } .

وأطال الكلام في الرد على هاتين الطائفتين اللتين بلاء الإسلام منهم : المحللون لما حرم الله، والمتقربون إلى الله بما يباعدهم عنه. والشافعي وقُدماء أصحابه، والعارفون بمذهبه : من أغلظ الناس قولاً في ذلك .

وقد تواتر عن الشافعي أنه قال : (خلَّفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة، يُسمونه التغبير، يصدون به الناس عن القرآن) .

فإذا كان هذا قوله في التغبير، وتعليله : أنه يصدّ عن القرآن، وهو شعرٌ يزهد في الدنيا، يغني به مغن، فيضرب بعض الحاضرين بقضيب على نطع أوْمخدة على توقيع غنائه ـ فليت شعري مايقول في سماعٍ التغبير عنده كتفلة في بحر . قد اشتمل على كل مفسدةٍ، وجمع كل محرم، فالله بين دينه وبين كل متعلم مفتون، وعابد جاهل .

قال سفيان بن عُيينة : (كان يقال : احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون) .

ومن تأمل الفساد الداخل على الأمة وجده من هذين المفتونين.

فصــل

وأما مذهب الإمام أحمد؛ فقال عبدالله ابنه (سألت أبي عن الغناء؟ فقال : الغناء يُنبتُ النفاق في القلب، لايعجبني) ثم ذكر قول مالك (إنما يفعله عندنا الفساق) .

قال عبدالله (وسمعت أبي يقول : سمعت يحيى القطان يقول: لو أن رجلا عمل بكل رخصة، بقول أهل الكوفة في النبيذ، وأهل المدينة في السماع، وأهل مكة في المتعة، لكان فاسقاً) .

قال أحمد : وقال سليمان التيمي (لو أخذت برخصة كل عالم، أوزلة كل عالم، اجتمع فيك الشر كله) .

ونصَّ على كسر آلات اللهو كالطنبور وغيره، إذا رآها مكشوفة، وأمْكنه كسرها. وعنه في كسرها إذا كانت مغطاة تحت ثيابه وعلم بها روايتان منصوصتان .

ونص في أيتام ورثوا جارية مُغنية، وأرادوا بيعها، فقال : (لاتباع إلا على أنها ساذجة؛ فقالوا : إذا بيعت مُغنية ساوت عشرين ألفاً أونحوها، وإذا بيعت ساذجة لاتساوي ألفين؛ فقال : لاتباع إلا على أنها ساذجة .[1]

ولو كانت منفعة الغناء مباحة لما فَوَّت هذا المال على الأيتام.

[1] أنظرها في ترجمة الحسن بن عبدالعزيز الجروي في طبقات ابن أبي يعلى صفحة 95 .

فصـــل

وأما سماعه من المرأة الأجنبية، أوالأمرد . فمن أعظم المحرمات، وأشدها فساداً للدين . قال الشافعي رحمه الله : (وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها، فهو سفيه ترد شهادته) وأغلظ القول فيه . وقال : (هو دياثة، فمن فعل ذلك كان دَيُّوثا).

قال القاضي أبو الطيب : وإنما جعل صاحبها سفيهاً، لأنه دعا الناس إلى الباطل، ومن دعا الناس إلى الباطل كان سفيها فاسقاً.

قال : وكان الشافعي يكره التغبير، وهو الطَّقطقة بالقضيب، ويقول (وضعته الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن) .

قال : (وأما العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام، ومُستمعه فاسق، واتباع الجماعة أولى من اتباع رجلين مطعون عليهما) .

قلت : يريد بهما إبراهيم بن سعد، وعبيد الله بن الحسن، فإنه **قال :** (وما خالف في الغناء إلا رجلان : إبراهيم بن سعد، فإن الساجيَّ حكى عنه : أنه كان لايرى به بأسا، والثاني : عبيد الله بن الحسن العنبري، قاضي البصرة، وهو مطعون فيه) .

قال أبو بكر الطرطوشي : وهذه الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين، لأنهم جعلوا الغناء ديناً وطاعة، ورأت إعلانه في المساجد والجوامع، وسائر البقاع الشريفة، والمشاهد الكريمة. وليس في الأمة من رأى هذا الرأي .

قلت : ومن أعظم المنكرات : تمكينهم من إقامة هذا الشِّعار الملعون هو وأهله في المسجد الأقصى، عشيَّة عرفة . ويقيمونه أيضاً في مسجد الخيف أيام منى . وقد أخرجناهم منه بالضرب والنفي مراراً، ورأيتهم يقيمونه بالمسجد الحرام نفسه، والناس في الطواف، فاستدعيت حزب الله وفرقنا شملهم . ورأيتهم يقيمونه بعرفات، والناس في الدعاء، والتضرع، والابتهال والضجيج إلى الله، وهم في هذا السماع الملعون باليراع والدفِّ والغناء .

فإقرار هذه الطائفة على ذلك فسقٌ يقدح في عدالة من أقرَّهم ومنصبه الديني . وما أحسن ماقال بعض العلماء وقد شاهد هذا وأفعالهم :

ألا قُلْ لهم قولَ عبدٍ نصوح ... وحقٌّ النصيحة أن تُستَمَعْ
متى علم الناسُ في ديننا ... بأن الغناء سُنةٌ تتَّبعَ ؟
وأن يأكلَ المرء أكل الحمار ... ويرقص في الجمع حتى يقع؟
وقالوا : سَكِرنا بحبِّ الإله ... وما أسكر القومَ إلا القِصَع
كذاك البهائم إن أشبعت ... يُرقِّصها رِيُّها والشِّبَع
ويُسكره النَّايُ، ثُم الغِنا ... ويس لو تُليت ما انْصَدَع
فيا للعقول ، ويا لِلنُّهَى ... ألا منكِرٌ منكمُ للبدع ؟
تُهان مساجدنا بالسما ... ع وتكرم عن مثل ذاك البِيَع ؟

وقال آخر وأحسن ماشاء :

ذهب الرجال وحَال دون مجالهم ... زُمَرٌ من الأوباش والأنذال

زعموا بأنهم على آثارهم
ساروا، ولكن سيرة البطّال
لبسوا الدلوق مُرَقَّعا، وتقشَّفوا
كتقشف الأقطاب والأبدال
قطعو طريق السالكين، وغوّروا
سُبُل الهَدى، بجهالة وضلال
عَمـَروا ظواهرهـم بأثـــواب التُّقـــى
وحَشـَوْا بواطنهـــمُ مـن الأدغــــال
إن قلت : قال الله، قال رسوله
همزوك همز المنكر المتغالى
أوقلتَ : قد قال الصحابة، والأولى
تبعوهم في القول والأعمال
أوقلت ؟: قال الآل، آل المصطفى
صلى عليه الله، أفضل آل
أوقلت : قال الشافعي، وأحمدٌ
وأبو حنيفة، والإمام العالي
أوقلت : قال صحابهم من بعدهم
فالكل عندهم كشبه خيال
ويقول : قلبي قال لي، عن سِرِّه،
عن سرِّ سرِّى، عن صفا أحوالي
عن حضرتي، عن فكرتي، عن خلوتي
عن شاهدي، عن واردي عن حالي
عن صفو وفقتى، عن حقيقة مشهدي
عن سر ذاتي، عن صفات فعالى
دعوى، إذا حققتها، ألفيتها
ألقاب زُور، لُفِّقَتْ بمحال
تركوا الحقائق والشرائع، واقتدوا
بظواهر الجهَّال والضلال
جعلوا المرا فتحاً، وألفاظ الخنا
شطحاً، وصالوا صولة الإدلال
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم
نبذ المسافر فضلة الأكال
جعلوا السماع مطية لهواهم
وغلوا، فقالوا فيه كل محال :
هو طاعة، هو قربة، هو سنة
صدقوا، لذاك الشيخ ذي الإضلال
شيخ قديم، صادهم بتحيُّل
حتى أجابوا دعوة المحتال
هجروا له القرآن والأخبار والآثار
إذ شهدت لهم بضلال
ورأوا سماع الشعر أنفع للفتى
من أوجهٍ سبعٍ لهم بتوال
تالله ماظفر العدو بمثلها
من مثلهم، واخيبة الآمال
نصـب الحبـال لهـم، فلـم يقعوا بهـا
فأتـى بـــذا الشرك المحيـط الغالـي

فإذا بهم وسط العرين مُمَزَّقي
الأثواب والأديان، والأحوال
لايسمعون سوى الذي يهوونه
شغلا به عن سائر الأشغال
ودُعوا إلى ذات اليمين، فأعرضوا
عنها، وسار القوم ذات شمال
خرُّوا على القرآن عند سماعه
صُمًّا وعُمياناً ذوي إهمال
وإذا تلا القاري عليهم سورة
فأطالها، عدُّوه في الأثقال
ويقول قائلهم : أطلت، وليس ذا
عشرٌ، فخفف، أنت ذو إملال

هذا ، وكم لغو ، وكم صخب ، وكم — ضحكٍ بلا أدب، ولا إجمال
حتى إذا قام السماع لديهم — خَشَعتْ له الأصوات بالإجلال
وامتدت الأعناق، تسمع وحي ذا — ك الشيخ من مترنمٍ قوَّال
وتحركت تلك الرؤوس وهزَّها — طربٌ، وأشواق لنيلِ وصال
فهنا لك الأشواق والأشجان — لا أهلاً بذي الأحوال
والأحوال — ماذا دهاهم من قبيح فعال
تالله لو كانوا صُحاة أبصروا — سُكر المُدام، وذا بلا إشكال
لكنما سُكرُ السماع أشدّ من — نالت من الخسران كل منال
فإذا هما اجتمعا لنفس مرَّة — كتلاعب الصبيان في الأوحال
يا أمةً لعبت بدين نبيها — والله لن يرضوا بذي الأفعال
أشمتمو أهل الكتاب بدينكم — سرّاً وجهراً عند كل جدال؟
كم ذا نعيَّر منهموا بفريقكمْ — هذا السماع، فذاك دين مُحال
قالوا لنا : دينٌ عبادة أهله — فسلوا الشرائع تكتفوا بسؤال
بل لاتجيء شريعة بجـــوازه — يبـــنٌ مـــن الشيطـــان
لــو قلتمــو فســـق ومعصيـــــة، — لـلأنـــذال
وتــز
ليصد عن وحي الإله ودينه — وينال فيه حيلة المحتال
كُنّا شهدنا أن ذا دينٌ أتى — بالحق، دين الرسل، لا بضلال
والله منهم قد سمعنا ذا إلى الآذان — من أفواههم بمقال
وتمام ذاك القول بالحيل التي — فسخت عقود الدين فسخ فصال
جعلته كالثوب المُهَلْهَلِ نسجه — فيه تفصِّله من الأوصال
ماشئت من مكر، ومن خِدَع، ومن — حيل وتلبيس بلا إقلال
فاحتل على إسقاط كل فريضة — وعلى حرام الله بالإحلال
واحتل على المظلوم يُقْلَبُ ظالما — وعلى الظلوم، بضد تلك الحال
واقلب، وحَوِّل، فالتحيل كله — في القلب، والتحويل ذُو إعمال
إن كنت تفهم ذا ظفرت بكل ما — تبغي من الأفعال والأقوال
واحتل على شُرب المدُام وسمها — غير اسمها، واللفظ ذو إجمال
واحتل على أكل الربا واهجر شنا — عة لفظه، واحتل على الأبدال
واحتل على الوطء الحرام، ولاتقل — هذا زناً، وانكح رَخِيَّ البال
واحتل على حلِّ العقود وفسخها — بعد اللزوم، وذاك ذو إشكال
إلا على المحتال، فهو طبيبها — يامحنة الأديان بالمحتال
واحتل على نقض الوقوف، — طلقا، ولاتستحي من إبطال
وعودها — فإذا غُلبت فَلِجَّ في الإشكال

فكر، وقدِّر، ثم فصِّل بعد ذا … الورَّاث، ثم ابلع جميع المال

واحتل على الميراث، فانزعه من … حتى تحوز الإرث للأموال

قد أثبتوا نسباً وحصراً فيكم

واعمد إلى تلك الشهادة، واجعل … الإبطال هَمَّك، تحظ بالإبطال

فالحصر إثبات، ونفيٌ، غير … معلوم وهذا موضع الاشكال

واحتل على مال اليتيم، فإنه … رزقٌ هنيٌ من ضعيف الحال

لاسوطه تخشى، ولا من سيفه … والقولُ قولك في نفاذ المال

واحتل على أكل الوقوف فإنها … مثلُ السوائب ربَّةِ الإهمال

فأبو حنيفة عنده هي باطل … في الأصل، لم تحتج إلى إبطال

فالمال مال ضائع، أربابه … هلكوا . فخذ منه بلا مكيال

وإذا تصحُّ بحُكم قاضٍ عادل … فشروطها صارت إلى اضمحلال

قد عطَّل الناس الشروط، وأهملوا … مقصودها، فالكل في إهمال

وتمام ذاك قضاتُنا، وشهودنا … فاسأل بهم ذا خبرة بالحال

أما الشهود فهم عدول عن طريق … العدل في الأقوال والأفعال

زوراً وتنميقاً وكتماناً … وتلبيساً وإسرافاً بأخذ نوال

ينسى شهادته، ويحلف إنه … ناس لها، والقلب ذو إغفال

فإذا رأي المنقوش، قال : ذكرتها … يا للمذكِّر، جئت بالآمال

ويقول قائلهم : أخوض النار في … نزرٍ يسير ؟ ذاك عين خُبال

ثقِّل لي الميزان، إني خائض … للمنكبين، أجُرُّ بالأغلال

أما القضاة فقد تواتر عنهم … ماقد سمعت، فلا تفه بمقال

ماذا تقول لمن يقول : حكمت … أنك فاسق، أوكافر في الحال ؟

فإذا استغثت أغثت بالجلد الذي … قد طرَّقوه كمثل طرق نعال

فيقول طق، فتقول : قط، فتعارضا … ويكون قول الجلد ذا إعمال

فأجارك الرحمن من ضرب، ومن … عرض، ومن كذب وسوء مقال

هذا ونسبة ذاك أجمعه إلى … دين الرسول، وذا من الأهوال

حاشا رسولُ الله يحكم بالهوى … والجهل، تلك حكومة الضُّلاَّل

والله لو عُرضت عليه كلها … لاجتثها بالنقض والإبطال

إلا التي منها يوافق حكمه … فهو الذي يلقاه بالإقبال

أحكامه عدْلٌ، وحق كلها … في رحمة ، ومصالح ، وحلال

شهدت عقول الخلق قاطبة بما … في حكمه من صحة وكمال

فإذا أتت أحكامه ألْفَيْتها … وفق العقول ، تزيل كلّ عِقال

حتى يقول السامعون لحكمه … مابعد هذا الحقِّ غيرُ ضلال

لله أحكام الرسول وعدلها … بين العباد ونورها المتلالى
كانت بها في الأرض أعظم رحمةٍ … والناس في سعد وفي إقبال
أحكامهم تجري على وجه السداد … وحالهم في ذاك أحسنُ حال
أمناً، وعزًّا في هُدى ، وتراحم … وتواصل ، ومحبة ، وجلال
فتغيرت أوضاعها، حتى غدت … منكورةً ، بتلوث الأعمال
فتغيرت أعمالهم وتبدّلت … أحوالهم بالنقص بعد كمال
لو كان دين الله فيهم قائماً … لرأيتهم في أحسن الأحوال
وإذا همو حكموا بحكم جائرٍ … حكموا لمنكره بكل وبال
قالـــوا : أتنكـر حكمَ شرع محمــدٍ؟ … حاشـا لذا الشـرع الشريف العـالي
عجَّبت فروج الناس، ثم حقوقهم … لله بالبكرات والآصال
كم تستحل بكل حكم باطل … لا يرتضيه ربنا المتعالى
والكل في قعر الجحيم، سوى الذي … يقضي بدين الله ، لا لنوال
أوما سمعت بأن ثلثيهم غدا … في النار ، في ذاك الزمان الخالي؟
وزمانُنا هذا، فربُّك عالم … هل فيه ذاك الثلث، أم هو خالي؟
يا باغي الإحسان يطلب ربه … ليفوز منه بغاية الآمال
انظر إلى هدى الصحابة، والذي … كانوا عليه في الزمان الخالي
واسلك طريق القوم أين تيمموا … خُذ يمنةً ما الدرب ذات شمال
تالله ما اختاروا لأنفسهم سوى … سُبل الهدَى في القول والأفعال
درجوا على نهج الرسول وهديه … وبه اقتدو في سائر الأحوال
نعم الرفيق لطالب يبغى الهدى … فمآ له في الحشر خيرُ مآل
القانتين المخبتين لربهم … الناطقين بأصدق الأقوال
التاركين لكل فعل سيء … والعاملين بأحسن الأعمال
أهواؤهم تبعٌ لدين نبيهم … وسواهم بالضد في ذي الحال
ماشابهم في دينهم نقصٌ ، ولا … في قولهم شطحُ الجهول الغالي
عملوا بما علموا ، ولم يتكلَّفوا … فلِذاكَ ما شابوا الهُدى بضلال
وسواهم بالضد في الأمرين، قد … تركوا الهدى، ودعوا إلى الإضلال
فهم الأدلة للحيارى، من يسر … بهداهم لم يخش من إضلال
وهـم النجـوم هدايـةً وإضـاءةً … وعُلوَّ منزلـة، وبُعـد منـال
يمشون بين الناس هوناً ، نطقهم … بالحق ، لابجهالة الجهال
ونصيحة، معْ رُتبةِ الإفضال

حلما ، وعلماً ، مع تقى ، وتواضع
يحيون ليلهم بطاعة ربهم
وعيونهم تجري بفيض دموعهم
في الليل رُهبانٌ، وعند جهادهم
وإذا بدا عَلَمُ الرهبان رأيتهم
بوجوهم أثرُ السجود لربهم
ولقد أبان لك الكتابُ صفاتهم
وبرابع السبع الطوال صفاتهم
وبراءة، والحشر فيها وصفهم

بتلاوةٍ، وتضرع ، وسؤال
مثل انهمال الوابل الهطّال
لعدوهم من أشجع الأبطال
يتسابقون بصالح الأعمال
وبها أشعة نوره المتلالي
في سورة الفتح المبين العالي
قومٌ بحبهم ذوو إجلال
وبهل أتى ، وبسورة الأنفال

فصــل

هذا السماع الشيطاني المضادُّ للسماع الرحماني . له في الشرع بضعة عشر اسماً :

اللهو ، واللغو ، والباطل ، والزور ، والمُكاء ، والتصدية ، ورُقية الزنا ، وقرآن الشيطان ، ومُنبت النفاق في القلب ، والصوت الأحمق ، والصوت الفاجر ، وصوت الشيطان ، ومزمور الشيطان ، والسُمود .

اسمــــاؤه دلّــت علــى تبـا لــذى الأسمــاء
أوصافــــه والأوصـــاف

فنذكر مخازي هذه الأسماء ، ووقوعها عليه في كلام الله وكلام رسوله، والصحابة، ليعلم أصحابه وأهله بما به ظفروا، وأي تجارة رابحة خسروا .

فدع صاحب المزمار ، والدفّ، والغنا — وما اختاره عن طاعة الله مذهبا
ودعه يعش في غَيِّه وضلاله — على تَنْتنا يحيا ويُبعث أشيبا
وفي تنتنا يوم المعاد نجاته — إلى الجنة الحمراء ، يُدعى مُقربا
سيعلم يوم العرض أيَّ بضاعة — أضاع ، وعند الوزن ماخفّ أوربا
ويعلم ما قد كان فيه حياته — إذا حصلت أعماله كلها هبا

دعاه الهدى والغى من ذا يجيبه ؟ — فقال لداعي الغي : أهلاً ومرحبا
وأعرض عن داعي الهدى، قائلا له — هواى إلى صوت المعازف قد صبا
يراعٌ ، ودُف بالصنوج ، وشاهد — وصوت مغنٍ ، صوته يقنص الظبا
إذا ماتغنى فالظباء تُجيبه — إلى أن تراها حوله تُشبه الدَّبا
فما شئت من صيدٍ بغير تطارد — ووصل حبيب كان بالهجر عذَّبا
فيا آمرى بالرشد، لوكنت حاضرا

لكان تَوَالي اللهو عندك أقرب

فصـــل

فالأسم الأول : اللهو ، ولهو الحديث .

قال تعالى : { **ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين . وإذا تتلى عليه آياتنا ولَّى مُستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أُذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم** } .

قال الواحدى وغيره : أكثر المفسرين : على أن المراد بلهو الحديث : الغناء ، قاله ابن عباس في رواية سعيد بن جبير ومقسم عنه، وقاله عبدالله بن مسعود في رواية أبي الصبهاء عنه ، وهو قول مجاهد وعكرمة .

وروى ثور بن أبي فاحتة عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى : { **ومن الناس من يشتري لهو الحديث** } قال (هو الرجل يشتري الجارية تغنيه ليلاً ونهاراً) .

وقال ابن أبي نُجيح : عن مجاهد (هو اشتراء المغني والمغنية بالمال الكثير، والاستماع إليه، وإلى مثله من الباطل) وهذا قول مكحول .

وهذا اختيار أبي إسحاق أيضاً .

وقال : أكثر ماجاء في التفسير : أن لهو الحديث ههنا هو الغناء . لأنه يُلهى عن ذكر الله تعالى[1] .

---

[1] وقد روى ابن جرير في تفسير الآية أقوالاً كثيرة عن الصحابة والتابعين . وروى حديث أبي أمامة من وجوه عدة . ثم قال : والصواب في القول في ذلك أن يقال : عنى به كل ماكان من الحديث ملهيا عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله . لأن الله تعالى عم بقوله (لهو الحديث) ولم يخصص بعضاً دون بعض فذلك على عمومه حتى يأتي مايدل على خصوصه . والغناء والشرك من ذلك .

قال الواحدي : قال أهل المعاني : ويدخل في هذا كل من اختار اللهو، والغناء، والمزامير والمعازف على القرآن، وإن كان اللفظ قد ورد بالشراء، فلفظ الشراء يُذكرُ في الاستبدال، والاختيار، وهو كثير في القرآن . قال : ويدل على هذا : ماقاله قتادة في هذه الآية (لعله أن لايكون أنفق مالاً) ، قال : (وبحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق) .

قال الواحدي : وهذه الآية على هذا التفسير تدل في تحريم الغناء، ثم ذكر كلام الشافعي في ردِّ الشهادة بإعلان الغناء.

قال : وأما غناء القينات : فذلك أشد مافي الباب، وذلك لكثرة الوعيد الوارد فيه، وهو ماروى أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال (من استمع إلى قينة صُبَّ في أذنيه الآنُك يوم القيامة)[1] الآنك : الرصاص المذاب .

وقد جاء تفسير لهو الحديث بالغناء مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ففي مسند الإمام أحمد، ومسند عبدالله بن الزبير الحُميدي، وجامع الترمذي من حديث أبي أمامة، والسياق للترمذي : أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال " لاتبيعوا القينات، ولاتشتروهن، ولا تُعلِّمهون، ولاخير في تجارة فيهن، وثمنُهن حرام. في مثل هذا نزلت هذه الآية **{ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله }** وهذا الحديث وإن كان مداره على عبيد الله بن زحرٍ عن علي بن يزيد الإلهاني عن القاسم، فعبيد الله بن زحر ثقة، والقاسم ثقة، وعلى ضعيف، إلا أن للحديث شواهد ومتابعات، سنذكرها إن شاء الله تعالى، ويكفي تفسير الصحابة والتابعين للهو الحديث : بأنه الغناء، فقد صح ذلك عن ابن عباس، وابن مسعود .

---

[1] قال السيوطي في الجامع الصغير : رواه ابن عساكر عن أنس . وهو ضعيف .

قال أبو الصهباء (سألت ابن مسعود عن قوله تعالى { **ومن الناس من يشتري لهو الحديث}** فقال : والله الذي لا إله غيره، هو الغناء يرددها ثلاث مرات .

وصح عن ابن عمر رضي الله عنهما أيضا (أنه الغناء) .

قال الحاكم أبو عبدالله في التفسير، من كتاب المستدرك (ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين : حديث مُسند) .

وقال في موضع آخر من كتابه : (هو عندنا في حكم المرفوع) .

وهذا، وإن كان فيه نظر، فلا ريب أنه أولى بالقبول من تفسير من بعدهم . فهم أعلم الأمة بمراد الله عز وجل من كتابه . فعليهم نزل، وهم أول من خوطب به من الأمة . وقد شاهدوا تفسيره من

الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم علماً وعملا، وهم العرب الفصحاء على الحقيقة . فلا يُعدل عن تفسيرهم ماوُجد إليه سبيل .

ولا تعارض بين تفسير (لهو الحديث) بالغناء، وتفسيره : بأخبار الأعاجم وملوكها، وملوك الروم. ونحو ذلك مما كان النضر بن الحارث يُحدِّث به أهل مكة، يشغلهم به عن القرآن . فكلاهما لهو الحديث، ولهذا قال ابن عباس (لهو الحديث : الباطل والغناء) فمن الصحابة من ذكر هذا، ومنهم من ذكر الآخر، ومنهم من جمعهما .

والغناء أشد لهواً، وأعظم ضرراً من أحاديث الملوك وأخبارهم، فإنه رُقية الزنا، ومُنبتُ النفاق، وشرك الشيطان، وخمرة العقل . وصده عن القرآن العظيم من صدّ غيره من الكلام الباطل، لشدة ميل النفوس إليه، ورغبتها فيه .

إذا عرف هذا . فأهل الغناء، ومُستمعوه لهم نصيب من هذا الذم، بحسب اشتغالهم بالغناء عن القرآن . وإن لم ينالوا جميعه. فإن الآيات تضمنت ذمَّ من استبدل لهو الحديث بالقرآن ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً . وإذا يتلى عليه القرآن ولَّى مستكبراً كأن لم يسمعه، كأنه في أذنيه وقراً . وهو الثقل والصمم. وإذا علم منه شيئاً استهزأ به .

فمجموع هذا لايقع إلا من أعظم الناس كفراً، وإن وقع بعضه للمغنين ومُستمعيهم، فلهم حصة ونصيب من هذا الذم .

يُوضحه : أنك لاتجد أحداً عنى بالغناء وسماع آلاته، إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى، علماً وعملاً، وفيه رغبةٌ عن استماع القرآن إلى استماع الغناء، بحيث إذا عرض له سماع الغناء وسماع القرآن عدل عن هذا إلى ذاك، وثقل عليه سماع القرآن، وربما حمله الحال على أن يُسكت القاريء ويستطيل قراءته، ويستزيد المغنِّي ويستقصر نوبته، وأقل مافي هذا : أن يناله نصيبٌ وافِرٌ من هذا الذم، وإن لم يُحْظَ به جميعه .

والكلام في هذا مع من في قلبه بعض حياة يحس بها . فأما من مات قلبه، وعظمت فتنته، فقد سدَّ على نفسه طريق النصيحة : {**ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً . أولئك الذين لم يُرِدِ الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزيٌ ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم** }

فصــــل

الأسم الثاني والثالث : الزور ، واللغو .

قال تعالى : { **والذين لايشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً** } قال محمد بن الحنفية (الزور ههنا الغناء) وقاله الليثٌ عن مجاهد . وقال الكلبي : لايحضرون مجالس الباطل .

واللغو في اللغة : كل مايُلغي ويطرح، والمعنى : لايحضرون مجالس الباطل . وإذا مروا بكل ما يُلغي من قول وعمل . أكرموا أنفسهم أن يقفوا عليه، أويميلوا إليه . ويدخل في هذا : أعياد المشركين، كما فسرها به السلف، والغناء، وأنواعُ الباطل كلها.

قال الزجاج : (لايُجالسون أهل المعاصي، ولايُمالئونهم عليها، ومرّوا مرّ الكرام الذين لايرضون باللغو، لأنهم يكرمون أنفسهم عن الدخول فيه، والاختلاط بأهله) .

وقد رُوى أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : مرّ بلهو . فأعرض عنه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن أصبح ابن مسعودٍ لكريماً) .

وقد أثنى الله سبحانه على من أعرض عن اللغو إذا سمعه بقوله { **وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم**} .

وهذه الآية، وإن كان سبب نزولها خاصاً، فمعناها عامٌ، متناول لكل من سمع لغواً فأعرض عنه، وقال بلسانه أوبقلبه لأصحابه (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم } .

وتأمل كيف قال سبحانه **{ لايشهدون الزور }** ولم يقل : بالزور لأن (يشهدون) بمعنى : يحضرون . فمدحهم على ترك حضور مجالس الزور، فكيف بالتكلم به، وفعله؟ . والغناء من أعظم الزور .

والزور : يقال على الكلام الباطل، وعلى العمل الباطل، وعلى العين نفسها . كما في حديث معاوية لما أخذ قصة من شعر يُوصل به، فقال (هذا الزور) فالزور : القول، والفعل، والمحلُّ.

وأصل اللفظة من الميل . ومنه الزَّور، بالفتح . ومنه زُرت فلاناً، إذا مِلْتُ إليه، وعَدلتُ إليه . فالزور : مَيلٌ عن الحق الثابت إلى الباطل الذي لا حقيقة له قولاً وفعلاً .

فصـــل

الأسم الرابع : الباطل .

والباطل : ضد الحق، يراد به المعدوم الذي لا وجود له، والموجود الذي مَضَرَّةُ وجوده أكثر من منفعته .

فمن الأول : قول الموحِّد : كل إله سوى الله باطلٌ .
ومن الثاني قوله : السحر باطلٌ . والكفر باطل ، قال تعالى : **{ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً }** .

فالباطل إما معدوم لاوجود له، وإما موجود لانفع له .
فالكفر، والفسوق، والعصيان والسحر، والغناء، واستماع الملاهي : كله من النوع الثاني .

قال ابن وهب : أخبرني سليمان بن بلال عن كثير بن زيد : أنه سمع عبيدالله يقول للقاسم بن محمد : (كيف ترى في الغناء ؟ فقال له القاسم : هو باطل . فقال : قد عرفتُ أنه باطل، فكيف ترى فيه ؟ فقال القاسم : أرأيت الباطل، أين هو ؟ قال : في النار، قال : فهو ذاك) .

وقال رجل لابن عباس رضي الله عنهما (ماتقول في الغناء، أحلال هو، أم حرام ؟ فقال : لا أقول حراماً إلا مافي كتاب الله . فقال : أفحلالٌ هو ؟ فقال : ولا أقول ذلك . ثم قال له : أرأيت الحق والباطل، إذا جاء يوم القيامة،

فأين يكون الغناء ؟ فقال الرجل: يكون مع الباطل، فقال له ابن عباس : اذهب فقد أفتيت نفسك).

فهذا جواب ابن عباس رضي الله عنهما عن غناء الأعراب، الذي ليس فيه مدح الخمر والزنا واللواط، والتَّشبيب بالأجنبيات، وأصوات المعازف، والآلات المطربات . فإن غناء القوم لم يكن فيه شيء من ذلك، ولو شاهدوا هذا الغناء لقالوا فيه أعظم قول . فإن مضرته وفتنته فوق مضرة شرب الخمر بكثير، وأعظم من فتنته .

فمن أبطل الباطل أن تأتي شريعةٌ بإباحته، فمن قاس هذا على غناء القوم فقياسه من جنس قياس الربا على البيع، والميتة على المذكاة، والتحليل الملعون فاعله على النكاح الذي هو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو أفضل من التخلِّي لنوافل العبادة، فلو كان نكاحُ التحليل جائزاً في الشرع لكان أفضل من قيام الليل، وصيام التطوع، فضلاً أن يُلعن فاعله .

فصـــل

وأما اسم المُكاء والتصدية .

فقال تعالى عن الكفار **{وما كان صلاتهم عند البيت إلاَّ مكاءً وتصديةً}** .

قال ابن عباس، وابن عمر . وعطية، ومجاهد، والضحَّاك، والحسن، وقتادةُ (المكاء : الصفير، والتصدية : التصفيق) .

وكذلك قال أهل اللغة : المكاء : الصفير . يقال : مكا، يمكو، مُكاء . إذا جمع يديه ثم صفر فيهما . ومنه : مَكَتِ اسْتُ الدابة، إذا خرجت منها الريح بصوت . ولهذا جاء على بناء الأصوات، كالرُّغاء، والعواء، والثغاء . قال ابن السِّكِّيت : الأصوات كلها مضمومة، إلا حرفين : النِّداء، والغناء .

وأما التصدية : فهي في اللغة : التصفيق . يقال : صَدَى يصدَى تَصْدِيةً، إذا صفَّق بيديه قال حسان بن ثابت، يعيب المشركين بصفيرهم وتصفيقهم :

إذا قـام الملائكـة انبعثتــم صلاتُكـم التَّصـدِّي والمكـاء

وهكذا الأشباه . يكون المسلمون في الصلوات الفرض والتطوع، وهم في الصفير والتصفيق . قال ابن عباس (كانت قريش يطوفون بالبيت عُراة، ويُصَفِّرون ويصفقون) .

وقال مجاهد : (كانوا يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويصفرون ويصفقون، يَخْلطون عليه طوافه وصلاته) ونحوه عن مقاتل .

ولاريب أنهم كانوا يفعلون هذا وهذا .

فالمتقربون إلى الله بالصفير والتصفيق أشباه النوع الأول، وإخوانهم المخلِّطون به على أهل الصلاة والذكر والقراءة أشباه النوع الثاني .

قال ابن عرفة، وابن الأنباري : المكاء والتَّصْدية ليسا بصلاة[1] ولكن الله تعالى أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التي أُمروا بها : المكاء والتصدية . فألزمهم ذلك عظيم الأوزار، وهذا كقولك : زُرته، فجعل جفائي صلتي، أي أقام الجفاء مقام الصلة .

والمقصود : أن المصفقين والصفارين في يراع أومزمار ونحوه فيهم شَبَهٌ من هؤلاء، ولو أنه مجرد الشبه الظاهر . فلهم قِسط من الذم، بحسب تشبههم بهم . وإن لم يتشبهوا بهم في جميع مكائهم وتصديتهم، والله سبحانه لم يشرع التصفيق للرجال وقت الحاجة إليه في الصلاة إذا نابهم أمرٌ، بل أمروا بالعدول عنه إلى التسبيح . لئلا يتشبهوا بالنساء، فكيف إذا فعلوه لا لحاجة، وقرنوا به أنواعا من المعاصي قولاً وفعلاً ؟

---

[1] ليس صلاة عند الله حقيقية . وإنما سماهما صلاة لأنهم كانوا يفعلونهما في حركاتهم الموقعة على نغم التصفيق والصفير، ويقصدون بذلك القربة إلى الله . فعاب الله عليهم ذلك وذمهم، وبين أنه لايحب ذلك ولايجزيهم عليه إلا العذاب الأليم . وذلك مثل حلقات المتصوفة في زمننا سواء بسواء : حركات ورقص، على أنغام الصفير والتصفيق زين لهم هواهم المستحكم وجهلهم، وشياطينهم من الجن والإنس أنها ذكر لله وعبادة. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فصـل

وأما تسميته رُقية الزَّنـى .

فهو اسمٌ موافق لمسماه، ولفظ مطابق لمعناه، فليس في رُقَى الزنـى أنْجعُ منه، وهذه التسمية معروفة عن الفُضَيل بن عياض .

قال ابن أبي الدنيا : أخبرنا الحسين بن عبدالرحمن قال : قال فُضيل بن عياضٍ (الغناء رُقية الزنـى) .

قال : وأخبرنا إبراهيمٍ بن محمد المروزيٍ عن أبي عثمان الليثي قال : قال يزيد بن الوليد : (يابني أُمَيَّة، إيَّاكم والغناء، فإنه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل مايفعل السكر، فإن كنتم لابدَّ فاعلين فجنبوه النساء. فإن الغناء داعية الزنـى .

قال : وأخبرني محمد بن الفضل الأزدي قال : نزل الحطيئة برجل من العرب، ومعه ابنته مُليكة، فلما جَنّه الليل سمع غناءً . فقال لصاحب المنزل : كُفَّ هذا عني، فقال : وماتكره من ذلك؟ فقال : إن الغناء رائدٌ من رادة الفجور، ولا أحب أن تسمعه هذه، يعني ابنته، فإن كففته وإلا خرجت عنك .

ثم ذكر عن خالد بن عبدالرحمن قال (كنا في عسكر سليمان ابن عبدالملك، فسمع غناء من الليل، فأرسل إليهم

بُكرةً، فجيء بهم. فقال : إن الفرس ليصهل فتستودق له الرَّمكة وإن الفحل ليهدر فتضبع له الناقة، وإن التيس لينب فتستحرم له العنز [1] . وإن الرجل ليتغنى فتشتاقُ إليه المرأة . ثم قال : اخصوهم، فقال عمر بن عبدالعزيز : هذه المثلة، ولاتحلُّ، فخلِّ سبيلهم قال : فخلَّى سبيلهم).

قال : وأخبرنا الحسين بن عبدالرحمن قال : قال أبو عبيدة معمر بن المثنى (جاور الحطيئة قوماً من بني كلب، فمشى ذو الدِّين. [2] منهم بعضهم إلى بعض، وقالوا : ياقوم، إنكم قد رُميتم بداهية . هذا الرجل شاعر، والشاعر يظن فيحقق، ولايستأنى فيتثبتُ، ولايأخذ الفضل فيعفو، فأتوه وهو في فناء خبائه، فقالوا : يا أبا مُليكة، إنه قد عظم حقك علينا بتخطيك القبائل إلينا . وقد أتيناك لنسألك عما تُحبُّ، فنأتيه، وعما تكره، فنزدجر عنه، فقال : جنبوني ندي مجلسكم، ولا تُسمعوني أغاني شبيبتكم . فإن الغناء رُقية الزنى).

فإذا كان هذا الشاعر المفتون اللسان، الذي هابت العرب هجاءه خاف عاقبة الغناء . وأن تصل رُقيته إلى حُرمته . فما الظن بغيره ؟

ولا ريب أن كل غيور يجنبن أهله سماع الغناء، كما يُجنبهن أسباب الريب . ومن طَرَّقَ أهله إلى سماع رُقية الزنى فهو أعلم بالإثم الذي يستحقه .

---

[1] الرمكة ـ محركة ـ الفرس تتخذ للنسل . واستودقت : دنت للفحل وأرادته، وأظهرت له حاجتها للسفاد، وهدر البعير صوت في غير شقشقة من شدة هيجانه وحبسه عن السفاد . ونب التيس صاح للعنز يطلبها واستحرمت العنز، وكل ذات ظلف والكلبة والذئبة : حراما ـ بكسر الحاء المهملة ـ : أرادت فحلها .

[2] في نسخة " ذو النهى " .

ومن الأمر المعلوم عند القوم : أن المرأة إذا استصعبت [1] على الرجل اجتهد أن يُسمعها صوت الغناء . فحينئذ تعطى الليان.

وهذا لأن المرأة سريعة الانفعال للأصوات جداً . فإذا كان الصوت بالغناء، صار انفعالها من وجهين : من جهة الصوت . ومن جهة معناه . ولهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنجشة حاديه **(يا أنجشة، رُويدك . رفقاً بالقوارير)**[2] يعني النساء. فأما إذا اجتمع إلى هذه الرقية الدُّفُّ . والشبَّابة، والرقص بالتخنث والتكسر . فلو حبلت المرأة من غناء لحبلت من هذا الغناء.

فلعمر الله، كم من حُرة صارت بالغناء من البغايا . وكم من حُرٍ أصبح به عبداً للصبيان أو الصبايا . وكم من غيور تبدل به اسماً قبيحاً بين البرايا . وكم من ذي غنى وثروة أصبح بسببه على الأرض بعد المطارف والحشايا . وكم من مُعافي تعرَّض له فأمسى، وقد حلَّت به أنواع البلايا . وكم أهدى للمشغوف به من أشجان وأحزان، فلم يجد بُداً من قبول تلك الهدايا . وكم جَرَّع من غُصَّةٍ وأزال من نعمة . وجلب من نقمةٍ . وذلك منه من إحدى العطايا . وكم خبأ لأهله من آلام مُنتظرة، وغموم مُتوقعة . وهموم مستقبلة .

فسل ذا خبرةٍ يُنبيك عنه — لتعلم كم خبايا في الزوايا
وحاذر إن شُغفت به سهاماً — مُرَيَّشَةً بأهداب المنايا

[1] في نسخة " استعصت " .
[2] كان أنجشة عبدا أسود، حسن الصوت يحدو بأمهات المؤمنين . رواه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود الطيالسي .

إذا ماخالطت قلباً كئياً تمزَّق بين أطباق الرزايا
ويُصبح بعد أن قد كان حراً عفيف الفرج : عبداً للصبايا
ويعطـــي مــن بــه غَنَــىّ غنـــاء وذلك منــه مــن شـــر العطـــايـا

فصـــل

وأما تسميته : مُنْبِت النفاق .

فقال عليٌّ بن الجعد : حدثنا محمد بن طلحة عن سعيد بن كعب المروزي عن محمد بن عبدالرحمن بن يزيد عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : (الغناء ينبت النفاق في القلب كما يُنبتُ الماء الزرع) .

وقال شعبة : حدثنا الحكم عن حمَّاد عن إبراهيم قال : قال عبدالله بن مسعود (الغناء يُنبت النفاق في القلب) .

وهو صحيح عن ابن مسعود من قوله . وقد روي عن ابن مسعود مرفوعاً رواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذمِّ الملاهي .

قال : أخبرنا عصمة بن الفضل حدثنا حَرَمى بن عماره حدثنا سلام بن مسكين حدثنا شيخ عن أبي وائل عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (الغناء ينبت النفاق في القلب كما يُنبت الماء البقل) .

وقد تابع حرمى بن عمارة عليه بهذا الإسناد والمتن مُسلم بن إبراهيم .

قال أبو الحسين بن المنادي في كتاب أحكام الملاهي : حدثنا محمد بن علي بن عبدالله بن حمدان المعروف بحمدان الوراق، حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا سلاَّم بن

مسكين ـ فذكر الحديث . فمداره على هذا الشيخ المجهول . وفي رفعه نظر . والموقوف أصح .

فإن قيل : فما وجه إنباته للنفاق في القلب من بين سائر المعاصي؟

قيل : هذا من أدل شيء على فقه الصحابة في أحوال القلوب وأعمالها، ومعرفتهم بأدويتها وأدوائها، وأنهم هم أطباء القلوب، دون المنحرفين عن طريقتهم، الذي داووا أمراض القلوب بأعظم أدوائها . فكانوا كالمداوى من السقم بالسم القاتل، وهكذا والله فعلوا بكثير من الأدوية التي ركَّبوها، أوبأكثرها، فاتفق قلة الأطباء، وكثرة المرضى، وحدوث أمراض مزمنة لم تكن في السلف، والعدول عن الدواء النافع، الذي ركَّبه الشارع، وميلُ المريض إلى مايُقوى مادة المرض، فاشتدَّ البلاء وتفاقم الأمر، وامتلأت الدور والطرقات والأسواق من المرضى، وقام كل جهول يطبِّبُ الناس.

فاعلم أن الغناء خواص لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق، ونباته فيه كنبات الزرع بالماء .

فمن خواصه : أنه يُلهى القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره، والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لايجتمعان في القلب أبداً . لما بينهما من التضاد، فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى، ويأمرُ بالعفة، ومُجانبة شهوات النفوس، وأسباب الغي، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان، والغناء يأمر بضدِّ ذلك كله، ويحسنه، ويهيِّج النفوس إلى شهوات

الغيِّ . فيثير كامنها، ويزعج قاطنها، ويُحرِّكها إلى كل قبيح، ويسوقها [1] إلى وصل كل مليحة ومليح . فهو والخمر رضيعا لبان، وفي تهييجهما على القبائح فرسا رهان. فإنه صنو الخمر ورضيعه ونائبه وحليفه، وخدينه وصديقه. عقد الشيطان بينهما عقد الإخاء الذي لايفسخ، وأحكم بينهما شريعة الوفاء التي لاتنسخ، وهو جاسوس القلب، وسارق المروءة، وسوس العقل، يتغلغل في مكامن القلوب، ويطَّلع على سرائر الأفئدة، ويدُب إلى محل التخيل . فيثير مافيه من الهوى والشهوة، والسخافة، والرقاعة، والرعونة، والحماقة. فبينا ترى الرجل وعليه سمة الوقار وبهاء العقل، وبهجة الإيمان، ووقار الإسلام وحلاوة القرآن. فإذا استمع الغناء ومال إليه نقص عقله، وقلَّ حياؤه، وذهبت مروؤته ، وفارقه بهاؤه. وتخلى عنه وقاره. وفرح به شيطانه، وشكا إلى الله تعالى إيمانه . وثقل عليه قرآنه . وقال : يارب لاتجمع بيني وبين قرآن عدوّك في صدر واحد. فاستحسن ماكان قبل السماع يستقبحه . وأبدى من سره ماكان يكتمه . وانتقل من الوقار والسكينة إلى كثرة الكلام والكذب، والزهزهة والفرقعة بالأصابع. فيميل برأسه، ويهز منكبيه، ويضرب الأرض برجليه، ويدقُّ على أم رأسه بيديه، ويثب وثبات الدباب، ويدور دوران الحمار حول الدولاب، ويصفق بيديه تصفيق النسوان، ويخور من الوجد ولا كخوارا لثيران، وتارة

---

[1] في نسخة " ويشوقها " .

يتأوَّه تأوّه الحزين، وتارة يزعق زعقات المجانين . ولقد صدق الخبير به من أهله حيث يقول :

أتذكرُ ليلة وقد اجتمعنا — على طيب السماع إلى الصباح؟
ودارت بيننا كأس الأغاني — فأسكرت النفوس بغير راح
فلم تر فيهم إلا نشاوى — سروراً ، والسرور هناك صاحي
إذا نادى أخو اللذات فيه — أجاب اللهو : حي على السماح
ولم نملك سوى المهجات شيئاً — أرقناها لألحاظ الملاح

وقال بعض العارفين : السماع يورث النفاق في قوم . والعناد في قوم، والكذب في قوم والفجور في قوم، والرعونة في قوم.

وأكثر مايُورث عشق الصور، واستحسان الفواحش، وإدمانه يثقل القرآن على القلب . ويكرِّهه إلى سماعه بالخاصية، وإن لم يكن هذا نفاقا فما للنفاق حقيقة .

وسرُّ المسألة : أنه قرآن الشيطان، كما سيأتي، فلا يجتمع هو وقرآن الرحمن في قلب أبدا وأيضاً فإن أساس النفاق : أن يخالف الظاهر الباطن، وصاحب الغناء بين أمرين، إما أن يتهتك فيكون فاجراً، أويظهر النسك فيكون منافقاً، فإنه يظهر الرغبة في الله والدار الآخرة وقلبه يغلي بالشهوات، ومحبة مايكرهه الله ورسوله : من أصوات المعازف، وآلات اللهو، ومايدعو إليه الغناء ويهيجه، فقلبه بذلك معمور، وهو من محبة مايحبه الله ورسوله وكراهة مايكرهه قفرٌ . وهذا محض النفاق .

وأيضاً فإن الإيمان قول وعمل : قولٌ بالحق، وعمل بالطاعة. وهذا ينبت على الذِّكر، وتلاوة القرآن . والنفاق قول الباطل، وعمل البغي . وهذا ينبت على الغناء .

وأيضاً، فمن علامات النفاق : قلة ذكر الله، والكسل عند القيام إلى الصلاة، ونقر الصلاة، وقل أن تجد مفتونا بالغناء إلا وهذا وصفه.

وأيضاً . فإن النفاق مؤسس على الكذب، والغناء من أكذب الشعر، فإنه يُحسِّن القبيح ويزينه، ويأمر به، ويُقبِّح الحسن ويُزَهِّد فيه، وذلك عين النفاق .

وأيضاً . فإن النفاق غش ومكر وخداع، والغناء مؤسس على ذلك .

وأيضاً . فإن المنافق يُفسد من حيث يظن أنه يُصلح، كما أخبر الله سبحانه بذلك عن المنافقين وصاحب السماع يفسد قلبه وحاله من حيث يظن أن يصلحه . والمغني يدعو القلوب إلى فتنة الشهوات. والمنافق يدعوها إلى فتنة الشبهات . قال الضحاك (الغناء مفسدة للقلب، مسخطة للرب) .

وكتب عُمر بن عبدالعزيز إلى مؤدب وَلَده (ليكن أول مايعتقدون من أدبك بغضُ الملاهي، التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن . فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم : أن صوت المعازف، واستماع الأغاني، واللهج بها . ينبت النفاق في القلب كما ينبتُ العُشب على الماء) .

فالغناء يفسد القلب . وإذا فسد القلب هاج فيه النفاق .

وبالجملة . فإذا تأمل البصير حال أهل الغناء، وحال أهل الذكر والقرآن . تبين له حِذقُ الصحابة ومعرفتهم بأدواء القلوب، وأدويتها. وبالله التوفيق .

فصـــل

وأما تسميته قرآن الشيطان .

فمأثور عن التابعين، وقد رُوى في حديث مرفوع .

قال قتادة (لما أُهبط إبليس قال : يارب لعنتني، فما عملي؟ **قال :** السحر . قال : فما قرآني ؟ قال : الشعر . قال : فما كتابي؟ **قال :** الوشم، قال : فما طعامي ؟ قال : كل ميتة، ومالم يذكر اسم الله عليه، قال : فما شرابي ؟ قال : كل مسكر . قال : فأين مسكني؟ قال : الأسواق ؟. قال : فما صوتي ؟ قال : المزامير قال: فما مصايدي ؟ قال : النساء) .

هذا والمعروف في هذا وقفه . وقد رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن أبي الدنيا، في كتاب مكايد الشيطان وحيله : حدثنا أبو بكر التميمي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا يحيى بن أيوب قال حدثنا ابن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن إبليس لما أنزل إلى الأرض قال : يارب، أنزلتني إلى الأرض، وجعلتني رجيما، فاجعل إلى بيتاً، قال : الحمَّام، قال : فاجعل لي مجلساً، قال : الأسواق ومجامع الطرقات . قال : فاجعل لي طعاما . قال : كل مالم يذكر اسم الله

عليه . قال : فاجعل لي شرابا . قال كل مسكر. قال فاجعل لي مؤذناً . قال : المزمار . قال : فاجعل لي قرآنا . قال : الشعر، قال : فاجعل لي كتاباً . قال : الوشم . قال : فاجعل لي حديثاً . قال : الكذب . قال : فاجعل لي رُسلا، قال : الكهنة ، قال : فاجعل لي مصايد . قال النساء " .

وشواهد هذا الأثر كثيرة . فكل جملة منه لها شواهد من السنة، أومن القرآن فكون السحر من عمل الشيطان شاهده قوله تعالى **{واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر } .**

وأما كون الشعر قرآنه . فشاهده : مارواه أبو داود في سننه من حديث جُبير بن مُطعْم (أنه رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يصلي . فقال : الله أكبر كبيراً، الله أكبر كبيراً، الله أكبر كبيراً، الحمد لله كثيراً، الحمد لله كثيراً، الحمد لله كثيراً، وسبحان الله بُكرةً وأصيلا ـ ثلاثا ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: من نفخه، ونفثه، وهمزه، قال : نفثه الشعرُ، ونفخه : الكبر، وهمزه : الموتة).[1]

ولما علَّم الله رسوله القرآن، وهو كلامه صانه عن تعليم قرآن الشيطان . وأخبر أنه لاينبغي له، فقال **{ وما علمنا الشعر وما ينبغي له } .**

---

[1] رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الترمذي : هو أشهر حديث في هذا الباب . و (الموتة) بسكون الواو : الجنون .

وأما كون الوشم كتابه، فإنه من عمله وتزيينه، ولهذا لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة [2] فلعن الكاتبه والمكتوب عليها .

وأما كون الميتة ومتروك التسمية طعامه . فإن الشيطان يستحل الطعام، إذا لم يُذكر عليه اسم الله، ويشارك آكله، والميتة لايذكر عليها اسم الله تعالى، فهى وكل طعام لايُذكر عليه اسم الله عزّ وجلّ من طعامه، ولهذا لما سأل الجن الذين آمنوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الزاد، قال (لكم كل عظمٍ ذُكر اسم الله عليه) [3] فلم يُبح لهم طعام الشياطين، وهو متروك التسمية.

وأما كون المسكر شرابه . فقال تعالى { **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان**} فهو يشرب من الشراب الذي عمله أولياؤه بأمره، وشاركهم في عمله . فيشاركهم في عمله وشربه، وإثمه، وعقوبته .

وأما كون الأسواق مجلسه ففي الحديث الآخر (أنه يركُز رايته بالسوق) ولهذا يحضره .

اللغو واللغط والصخب والخيانة والغش . وكثير من عمله، وفي صفة النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة (أنه ليس صخَّابا بالأسواق) [1] .

---

[2] رواه البخاري، ومسلم ، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن ابن عمر وابن عباس وابن مسعود.

[3] رواه أحمد ومسلم وأبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه .

[1] رواه البخاري ومسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص .

وأما كون الحمَّام بيته . فشاهده كونه غير محلٍ للصلاة، وفي حديث أبي سعيد (الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمَّام)[2] ولأنه محل كشف العورات . وهو بيت مؤسس على النار وهي مادة الشيطان التي خلق منها .

وأما كون المزمار مؤذنه . ففي غاية المناسبة، فإن الغناء قرآنه، والرقص والتصفيق اللذين هما المكاء والتصدية ـ صلاته، فلابد لهذه الصلاة من مؤذن وإمام ومأموم . فالمؤذن المزمار، والإمام المغني، والمأموم الحاضرون .

وأما كون الكذب حديثه . فهو الكاذب، الآمر بالكذب، المزيِّن له. فكل كذب يقع في العالم فهو من تعليمه وحديثه .

وأما كون الكهنة رسُله، فلأن المشركين يهرعون إليهم، ويفزعون إليهم في أمورهم العظام، ويصدقونهم، ويتحاكمون إليهم، ويرضون بحكمهم، كما يفعل أتباع الرسل بالرسل، فإنهم يعتقدون أنهم يعلمون الغيب، ويخبرون عن المغيبات التي لايعرفها غيرهم. فهم عند المشركين بهم بمنزلة الرسل . فالكهنة رُسل الشيطان حقيقة . أرسلهم إلى حزبه من المشركين وشبَّههم بالرسل الصادقين، حتى استجاب لهم حزبه، ومَثَّل رُسل الله بهم لينفر عنهم، ويجعل رسله هم الصادقين العالمين بالغيب،

---

[2] رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم .

ولما كان بين النوعين أعظمُ التضاد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (من آتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد)[1].

فإن الناس قسمان : أتباع الكهنة، وأتباع رسل الله . فلا يجتمع في العبد أن يكون من هؤلاء وهؤلاء . بل يبعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدر قربه من الكاهن . ويُكذِّب الرسول بقدر تصديقه للكاهن .

وقوله : اجعل لي مصايد . قال : مصايدك النساء . فالنساء أعظم شبكة له، يصطاد بهنّ الرجال . كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الفصل الذي بعد هذا .

والمقصود : أن الغناء المحرَّم قرآن الشيطان .

ولما أراد عدو الله أن يجمع عليه نفوس المبطلين قرنه بما يزينه من الألحان المطربة، وآلات الملاهي والمعازف، وأن يكون من امرأة جميلة، أوصبي جميل . ليكون ذلك أدعى إلى قبول النفوس لقرآنه، وتعوضها به عن القرآن المجيد .

---

[1] رواه البزار عن عمران بن حصين بإسناد جيد ورواه الطبراني عن ابن عباس بإسناد حسن . قاله المنذري في الترغيب والترهيب .

فصـــل

وأما تسميته بالصوت الأحمق، والصوت الفاجر .

فهي تسمية الصادق المصدوق، الذي لاينطق عن الهوى .

فروى الترمذي من حديث ابن أبي ليلى عن عطاء عن جابر رضي الله عنه قال (خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مع عبدالرحمن بن عوف إلى النخل، فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه، فوضعه في حجره، ففاضت عيناه، فقال عبدالرحمن : أتبكي، وأنت تنهى الناس ؟ قال : إني لم أنه عن البكاء، وإنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة : لَهوٍ ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة : خمش وجوه، وشق جيوب، ورنَّة . وهذا هو رحمة، ومن لايرحم لايُرحم . لولا أنه أمر حقٌّ، ووعدٌ صدق، وأن آخرنا سيلحق أوَّلنا، لحزناً عليك حزناً هو أشد من هذا، وإنا بك لمحزونون، تبكي العين ويحزن القلب، ولا نقول مايسخط الرب) قال الترمذي : هذا حديث حسن .

فانظر إلى هذا النهي المؤكد، بتسميته صوت الغناء صوتا أحمق، ولم يقتصر على ذلك، حتى وصفه بالفجور، ولم يقتصر على ذلك حتى سمَّاه من مزامير الشيطان، وقد أقرّ النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق على تسمية

الغناء مزمور الشيطان في الحديث الصحيح، كما سيأتي، فإن لم يستفد التحريم من هذا لم نستفده من نَهي أبدا .

وقد اختلف في قوله (لاتفعل) وقوله (نهيت عن كذا) أيهما أبلغ في التحريم ؟ .

والصواب بلا ريب : أن صيغة (نهيت) أبلغ في التحريم، لأن (لاتفعل) يحتمل النهي وغيره، بخلاف الفعل الصريح .

فكيف يستجيز العارف إباحة مانهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسماه صوتا أحمق فاجراً، ومزمور الشيطان، وجعله والنياحة التي لعن فاعلها أخوين ؟ وأخرج النهي عنهما مخرجا واحدا، ووصفهما بالحمق والفجور وصفاً واحداً .

وقال الحسن (صوتان ملعونان : مزمارٌ عند نغمة . ورَنَّة عند مصيبة) .

وقال أبو بكر الهذلي (قلت للحسن : أكان نساء المهاجرات يصنعن مايصنع النساء اليوم ؟ قال : لا ، ولكن ههنا خمش وجوه، وشق جيوب، ونتف أشعار، ولطم خدود، ومزامير شيطان، صوتان قبيحان فاحشان : عند نغمة إن حدثت، وعند مصيبة إن نزلت، ذكر الله المؤمنين فقال { **والذين في أموالهم حقٌ معلوم للسائل والمحروم** } وجعلتم أنتم في أموالكم حقاً معلوما للمغنية عند النغمة، والنائحة عند المصيبة .

فصـــل

وأما تسميته صوت الشيطان :

فقد قال تعالى للشيطان وحزبه { **اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاءكم جزاءً موفوراً واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً** } .

قال ابن أبي حاتم في تفسيره : حدثنا أبي أخبرنا أبو صالح - كاتب الليث - حدثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) قال : (كل داع إلى معصية) .

ومن المعلوم أن الغناء من أعظم الدواعي إلى المعصية . ولهذا فسر صوت الشيطان به . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي أخبرنا يحيى بن المغيرة أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد .

(واستفزز من استطعت منهم بصوتك) قال (استزلَّ منهم من استطعت) قال (وصوته الغناء ، والباطل) .

وبهذا الإسناد إلى جرير عن منصور عن مجاهد قال (صوته هو المزامير) . ثم روى بإسناده عن الحسن البصري قال (صوته هو الدُّفُّ) .

وهذه الإضافة إضافة تخصيص، كما أن إضافة الخيل والرجل إليه كذلك، فكل متكلم بغير طاعة الله، ومصوت

بيراع أومزمار، أودُف حرام، أوطبل . فذلك صوت الشيطان، وكل ساعٍ في معصية الله على قدميه فهو من رجله، وكل راكبٍ في معصية الله فهو من خيالته كذلك قال السلف، كما ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال (رجله كل رجلٍ مشت في معصية الله) .

وقال مجاهد (كل رجل يقاتل في غير طاعة الله فهو من رجله) .

وقال قتادة : (إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس) .

فصـــل

وأما تسميته مزمور الشيطان .

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت (دخل عليّ النبي صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تُغنيان بغناء بُعاث، فاضطجع على الفراش، وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر رضي الله عنه، فانتهرني، وقال : مزمار الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : دَعْهُما، فلما غَفَل غمزتهما، فخرجتا) .[1]

فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر تسمية الغناء مزمار الشيطان، وأقرهما، لأنهما جاريتان غير مكلفتين تغنيان بغناء الأعراب، الذي قيل في يوم حرب بُعاث من الشجاعة، والحرب . وكان اليوم يوم عيد، فتوسع حزب الشيطان في ذلك إلى صوت امرأة جميلة أجنبية، أوصبى أمرد صوته فتنة، وصورته فتنة، يغني بما يدعو إلى الزنى والفجور، وشرب الخمر، مع آلات اللهو التي حرمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في عدة أحاديث ، كما سيأتي، مع التصفيق

---

[1] " بعاث " بضم الموحدة، وبعدها عين مهملة وآخرها ثاء مثلثة . وهو حصن للأوس. يقال : كان في دار بني قريظة على ليلتين من المدينة . كان يوم بعاث آخر العداء والقتال بين الأوس والخزرج . وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين على الأصح . ذكر البخاري في أوائل الهجرة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله . فقدم المدينة وقد افترق ملؤهم وقتل سراتهم " وكان رئيس الأوس في هذا اليوم حضير والد أسيد . وكان يقال له : حضير الكتائب . وجرح يومئذ ثم مات بعد مدة من جراحته . وكان رئيس الخزرج عمرو بن النعمان، جاءه سهم في القتال فصرعه، فهزموا بعد أن كانوا قد استظهروا . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم طهر قلوبهم من هذه الأحن وأنعم عليهم بأخوة الإسلام، فألف بين قلوبهم وأصبحوا بنعمته إخواناً. قاله الحافظ ابن حجر في الفتح (ج 7 ص 77) .

والرقص، وتلك الهيئة المنكرة التي لايستحلها أحد من أهل الأديان، فضلا عن أهل العلم والإيمان ويحتجون بغناء جُويريتين غير مكلفتين بنشيد الأعراب، ونحوه في الشجاعة ونحوها، في يوم عيد، بغير شبابة ولا دُفٍ، ولا رقص ولا تصفيق، ويدعون المحكم الصريح، لهذا المتشابه، وهذا شأن كل مبطل .

نعم . نحن لانحرم ولانكره مثل ما كان في بيت رسول الله صلى الله تعلى عليه وآله وسلم على ذلك الوجه، وإنما نحرم نحن وسائر أهل العلم والإيمان السماع المخالف لذلك، وبالله التوفيق.

فصـــل

وأما تسميته بالمسود .

فقد قال تعالى : { **أفمن هذا الحديث تعجبون . وتضحكون ولاتبكون . وأنتم سامدون** } قال عكرمة عن ابن عباس (السمود : الغناء في لغة حمير) . يقال : اسمدى لنا، أي غني لنا ، وقال أبو زبيد :

وكأن العزيف فيها غناء ... للندامى من شارب مسمود

قال أبو عبيدة : " المسمود : الذي غُنِّى له " وقال عكرمة : "كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا فنزلت هذه الآية" .

وهذا لا يناقض ماقيل في هذه الآية من أن " السمود " الغفلة والسهو عن الشيء، قال المبرد : هو الاشتغال عن الشيء بهم أوفرح، يتشاغل به . وأنشد :

رمى الحدثان نسوة آل حرب ... بمقدارٍ سمدن له سُمودا

وقال ابن الأنباري : السامد اللاهي، والسامد الساهي، والسامد المتكبر، والسامد القائم . وقال ابن عباس، في الآية : (وأنتم مستكبرون) وقال الضحاك (أشرون بطرون) وقال مجاهد (غضابٌ مبرطمون) وقال غيره (لاهون غافلون معرضون) .

فالغناء يجمع هذا كله، ويُوجبه .

فهذه أربعة عشر اسماً، سوى اسم الغناء .

فصــل

في بيان تحريم رسول الله صلى الله تعلى عليه وآله وسلم الصريح لآلات اللهو والمعازف، وسياق الأحاديث في ذلك .

عن عبدالرحمن بن غنم قال : حدثني أبو عامر، أو أبو مالك الأشعري رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ليكونن من أمتى قوم يستحلون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف) هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه محتجاً به . وعلَّقه تعليقاً مجزوماً به، فقال (باب ماجاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، وقال هشام بن عَمَّار . حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر حدثنا عطية بن قيس الكلابي حدثني عبدالرحمن بن غنم الأشعري قال حدثني أبو عامر، أو أبو مالك الأشعري ـ والله ماكذبني ـ أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلنَّ أقوام إلى جنب علم، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم لحاجه . فيقولوا : ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله تعالى ويضع العَلَم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة .

ولم يصنع من قدح في صحة هذا الحديث شيئاً، كابن حزم نُصرةً لمذهبه الباطل في إباحة الملاهي، وزعم أنه منقطع، لأن البخاري لم يصل سنده به .

وجواب هذا الوهم من وجوه :

أحدها : أن البخاري قد لقى هشام بن عمار وسمع منه، فإذا قال : " قال هشام " فهو بمنزلة قوله " عن هشام " .

الثاني : أنه لو لم يسمع منه فهو لم يستجز الجزم به عنه إلا، وقد صح عنه أنه حدث به . وهذا كثيراً مايكون لكثرة من رواه عنه عن ذلك الشيخ وشُهرته . فالبخاري أبعدُ خلق الله من التدليس.

الثالث : أنه أدخله في كتابه المسمى بالصحيح محتجاً به، فلولا صحته عنده لما فعل ذلك .

الرابع : أنه علّقه بصيغة الجزم، دون صيغة التمريض، فإنه إذا توقف في الحديث أولم يكن على شرطه يقول " ويُروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ويُذكر عنه" . ونحو ذلك : فإذا قال : " قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم" فقد جزم وقطع بإضافته إليه .

الخامس : أنا لو أضربنا عن هذا كله صفحاً فالحديث صحيح متصل عند غيره .

قال أبو داود في كتاب اللباس : حدثنا عبدالوهاب بن نجدة حدثنا بشر بن بكر عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر حدثنا عطية بن قيس قال : سمعت عبدالرحمن بن غنم الأشعري قال حدثنا أبو عامر أو أبو مالك ، فذكره

مختصراً . ورواه أبو بكر الإسماعيلي في كتابه الصحيح مسنداً، فقال : أبو عامر . ولم يشكَّ .

ووجه الدلالة منه : أن المعازف هي آلات اللهو كلها . لاخلاف بين أهل اللغة في ذلك . ولو كانت حلالا لما ذَمَّهم على استحلالها، ولما قَرَن استحلالها باستحلال الخمر والخز . فإن كان بالحاء والراء المهملتين، فهو استحلال الفروج الحرام . وإن كان بالخاء والزاي المعجمتين فهو نوع من الحرير، غير الذي صحّ عن الصحابة رضي الله عنهم لبسه . إذِ الخزُّ نوعان :

أحدهما : من حرير . والثاني : من صوف . وقد رُوى هذا الحديث بالوجهين .

وقال ابن ماجه في سننه : حدثنا عبدالله بن سعيد عن معاوية ابن صالح عن حاتم بن حُريث عن ابن أبي مريم عن عبدالرحمن بن غنم الأشعري عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليشربنَّ ناسٌ من أمتى الخمر، يُسمونها بغير اسمها، يُعزفُ على رؤسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم قردةً وخنازير) وهذا إسناد صحيح . وقد توعَّد مستحلَّى المعازف فيه بأن يخسف الله بهم الأرض، ويمسخهم قردة وخنازير . وإن كان الوعيد على جميع هذه الأفعال، فلكل واحد قسطٌ في الذم والوعيد .

وفي الباب عن سهل بن سعد الساعدي، وعمران بن حُصين، وعبدالله بن عمرو، وعبدالله بن عباس، وأبي

هريرة، وأبي أمامة الباهلي، وعائشة أم المؤمنين، وعلي بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وعبدالرحمن بن سابط، والغازي بن ربيعة .[1]

ونحن نسوقها لتقرّ بها عيون أهل القرآن، وتشجى بها حُلوق أهل سماع الشيطان .

فأما حديث سهل بن سعد، فقال ابن أبي الدنيا : أخبرنا الهيثم بن خارجة حدثنا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (يكون في أمتي خسفٌ وقذفٌ ومسخ، قيل : يارسول الله، متى ؟ قال : إذا ظهرت المعازف والقينات واستُحِلَّت الخمرة).

وأما حديث عمران بن حصين . فرواه الترمذي من حديث الأعمش عن هلال بن يساف عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : (يكون في أمتي قذف وخسف ومسخ، فقال رجل من المسلمين : متى ذاك، يارسول الله؟ قال : إذا ظهرت القيان، والمعازف، وشُربت الخمور) قال الترمذي: هذا حديث غريب .

وأما حديث عبدالله بن عمرو . فروى أحمد في مسنده وأبو داود عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال (إن الله تعالى حرَّم على أمتي الخمر والميسر والكوبة والغبيراء وكل مسكر حرام).

---

[1] هو الغازي بن ربيعة بن الغاز ـ بالغين المعجمة والزاي ، وقد تحذف ياء النسبة لأبيه ربيعة ترجمة في الاصابة، وفي أسد الغابة .

وفي لفظ آخر لأحمد : (إن الله حَرّم على أمتي الخمر والميسر والمزر والكوبة والقنين) .
وأما حديث ابن عباس. ففي المسند أيضاً : عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله حرّم الخمر والميسر والكُوبة. وكل مسكر حرام) والكوبة الطبل . قاله سفيان [1] .
وقيل : البربط . والقنِّين : هو الطنبور بالحبشية . والتقنين : الضرب به، قاله ابن الأعرابي .
وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه . فرواه الترمذي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا اتخذ الفيء دُوَلاً، والأمانة مغنما، والزكاة مغرماً، وتُعُلِّم العلمُ لغير الدِّين وأطاع الرجل امرأته، وعقَّ أمَّه، وأدنى صديقه، وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقُهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف، وشُربت الخمر، ولَعَن آخر هذه الأمة أوَّلها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، وزلزلة وخسفاً، ومسخاً، وقذفاً. وآياتٍ تتابع كنظام بالٍ قُطع سِلكه فتتابع) قال الترمذي . هذا حديث حسن غريب.
وقال ابن الدنيا : حدثنا عبدالله بن عمر الجُشمي حدثنا سليمان بن سالم أبو داود حدثنا حسان بن أبي سنان عن رجل عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال

[1] في القاموس : الكُوبة ـ بضم الكاف ـ : النرد ، والشطرنج . والطبل الصغير المخصر ، والفهر ، والبربط.

رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (يُمسخ قوم من هذه الأمة في آخر الزمان قردةً وخنازير . قالوا : يارسول الله، أليس يشهدون أن لا إله الله، وأن محمداً رسول الله؟ قال : بلى، ويصومون ويصلون، ويحجون. قيل: فما بالهم ؟ قال : اتخذوا المعازف والدفوف والقينات، فباتوا على شُربهم ولهوهم، فأصبحوا وقد مُسخوا قردةً وخنازير . .

وأما حديث أبي أمامة الباهلي . فهو في مسند أحمد والترمذي عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : (يبيت طائفة من أمتي على أكل وشرب، ولهو ولعب، ثم يصبحون قردة وخنازير، ويبعث على أحياء من أحيائهم ريح، فينسفهم كما نسف من كان قبلكم، باستحلالهم الخمر، وضربهم بالدفوف، واتخاذهم القينات) في إسناده فرقد السبخي، وهو من كبار الصالحين . ولكنه ليس بقوي في الحديث . وقال الترمذي : تكلم فيه يحيى بن سعيد وقد روى عنه الناس . [1]

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا عبدالله بن عمر الجشمي حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا فرقد السبخي حدثنا قتادة عن سعيد بن المسيب قال : حدثني عاصم بن عمرو والبجلي عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يبيت قوم من هذه الأمة على طعم، وشُرب ولهو، فيصبحون وقد مُسخوا قردة وخنازير، وليصيبنهم خسفٌ

---

[1] هو فرقد بن يعقوب السبخي ـ بسين مهملة ثم باء موحدة مفتوحتين ثم خاء معجمة ـ أبو يعقوب الزاهد البصرى. روى عن أنس بن مالك وسعيد بن جبير . وعنه حماد بن زيد وحماد بن سلمة . تكلم فيه يحيى القطان وغيره. وقال أحمد : رجل صالح . وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن معين : ثقة . وقال البخاري: في حديثه مناكير . مات سنة إحدى وثلاثين ومائة .

وقذْف حتى يصبح الناس فيقولون : خُسف الليلة بدار فلان، خسف الليلة ببني فلان، وليرسلنَّ عليهم حجارة من السماء، كما أرسلت على قوم لوط، على قبائل فيها، وعلى دور فيها، وليرسلنَّ عليهم الريح العقيم التي أهلكت عاداً، بشربهم الخمر. وأكلهم الربا واتخاذهم القينات، وقطيعتهم الرحم) .

وفي مسند أحمد من حديث عُبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إن الله بعثني رحمة وهُدى للعالمين، وأمرني أن أمحق المزامير والكبارات [1] ، يعني البرابط، والمعازف والأوثان، التي كانت تعبد في الجاهلية) .

قال البخاري : عبيد الله بن زحر ثقة، وعلي بن يزيد ضعيف، والقاسم بن عبدالرحمن أبو عبدالرحمن ثقة .

وفي الترمذي ومسند أحمد بهذا الإسناد بعينه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لاتبيعوا القيناتِ ، ولا تشتروهن، ولاتعلِّموهن، ولاخير في تجارة فيهنَّ، وثمنهنّ حرام . وفي مثل هذا نزلت هذه الآية **{ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله}**. الآيه .

وأما حديث عائشة رضي الله عنها . فقال ابن أبي الدنيا : حدثنا الحسن بن محبوب حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم حدثنا أبو معشر عن محمد بن المنكدر عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه

[1] في القاموس : الكبر ـ بالتحريك ، كجمل ـ الأصف . والعامة تقول : كبار ، كتفاح ، والطبل ، والجمع : كبار ـ كجمال ـ وأكبار .

وآله وسلم (يكون في أمتي خَسْفٌ ومسخ وقذفٌ، قالت عائشة : يارسول الله، وهم يقولون لا إله إلا الله ؟ فقال : إذا ظهرت القينات، وظهر الزِّنى، وشُربت الخمر، ولُبس الحرير، كان ذا عند ذا) .

وقال ابن أبي الدنيا أيضاً : حدثنا محمد بن ناصح حدثنا بقية ابن الوليد عن يزيد بن عبدالله الجهني حدثني أبو العلاء عن أنس بن مالك أنه دخل على عائشة رضي الله عنها ورجلٌ معه، فقال لها الرجل (يا أم المؤمنين، حدثينا عن الزلزلة . فقالت : إذا استباحوا الزنا، وشربوا الخمر، وضربوا بالمعازف، غار الله في سمائه. فقال: تزلزلي بهم، فإن تابوا وفزعوا وإلا هدمتها عليهم، قال قلت : يا أم المؤمنين، أعذاب لهم ؟ قالت : بل موعظة ورحمة وبركة للمؤمنين، ونكالٌ وعذاب وسخط على الكافرين) قال أنس : (ماسمعت حديثاً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أشدُّ به فرحاً مني بهذا الحديث) .

وأما حديث علي . فقال ابن أبي الدنيا أيضاً : حدثنا الربيع بن تغلب حدثنا فرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا عملت أمتي خمس عشرة خصلة حلَّ بها البلاء . قيل : يارسول الله، وماهُنَّ ؟ قال : إذا كان المغنم دُولا، والأمانة مغنما، والزكاة مغرماً، وأطاع الرجل زوجته وعقَّ أمه، وبرَّ صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم

أرذلهم، وأُكرم الرجل مخافة شرِّه، وشُربت الخمور، ولبس الحرير، واتخذت القيان، ولَعَنَ آخر هذه الأمة أولها . فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً ومسخاً) .

حدثنا عبدالجبار بن عاصم قال : حدثنا أبو طالب قال حدثنا اسماعيل بن عيَّاش عن عبدالرحمن التميمي عن عبَّاد بن أبي علي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (تُمسخ طائفة من أمتى قردة وطائفة خنازير، ويخسف بطائفة، ويرسل على طائفة الريح العقيم، بأنهم شربوا الخمر، ولبسوا الحرير، واتخذوا القيان، وضربوا بالدفوف).

وأما حديث أنس رضي الله عنه . فقال ابن أبي الدنيا حدثنا : أبو عمرو هرون بن عمر القرشي حدثنا الخصيب بن كثير عن أبي بكر الهذلي عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم (ليكوننَّ في هذه الأمة خسفٌ وقذفٌ ومسخ، وذاك إذا شربوا الخمور، واتخذوا القنيات، وضربوا بالمعازف) .

قال : وأنبأنا أبو إسحاق الأزدي حدثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني عبدالرحمن بن زيد ابن أسلم عن أحد ولد أنس بن مالك وعن غيره، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (ليبيتن رجال على أكل وشرب وعزف، فيصبحون على أرائكهم ممسوخين قردة وخنازير).

وأما حديث عبدالرحمن بن سابط . فقال ابن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير عن أبان بن تغلب عن عمرو بن مُرَّة عن عبدالرحمن بن سابط قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يكون في أمتي خسف وقذف ومسخ، قالوا : فمتى ذاك، يارسول الله ؟ قال : إذا أظهروا المعازف، واستحلوا الخمور).

وأما حديث الغازي بن ربيعة فقال ابن أبي الدنيا حدثنا : عبدالجبار بن عاصم حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبيدالله بن عبيد عن أبي العباس الهمداني عن عمارة بن راشد عن الغازي ابن ربيعة ـ رفع الحديث ـ قال (ليمسخن قوم وهم على أريكتهم قردة وخنازير، بشربهم الخمر ، وضربهم بالبرابط والقيان) .

قال ابن أبي الدنيا : وحدثنا عبد الجبار بن عاصم قال حدثني المغيرة بن المغيرة عن صالح ابن خالد ـ رفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال (ليستحلنَّ ناس من أمتي الحرير والخمر والمعازف، وليأتين الله على أهل حاضر منهم عظيم بجبل حتى ينبذهُ عليهم ويُمسخ آخرون قردة وخنازير).

قال ابن أبي الدنيا : حدثنا هارون بن عبيدالله، حدثنا يزيد بن هرون، حدثنا أشرس أبو شيبان الهذلي قال : قلت لفرقد السبخي : أخبرني يا أبا يعقوب ، من تلك الغرائب التي قرأت في التوراة . فقال (يا أبا شيبان، والله ما أكذب على ربي ؟ ـ مرتين أوثلاثا ـ لقد قرأتُ في التوراة :

ليكونن مسخ وخسف وقذف في أمة محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في أهل القبلة، قال : قلت، يا أبا يعقوب ماأعمالهم؟ قال : باتخاذهم القينات، وضربهم بالدفوف، ولباسهم الحرير والذهب ولئن بقيت حتى ترى أعمالاً ثلاثة، فاستيقن واستعد واحذر . قال . قلت : ماهي ؟ قال : إذا تكافأ الرجال بالرجال والنساء بالنساء [1] ورغبت العربُ في آنية العجم، فعند ذلك . قلت له : العرب خاصة ؟ قال : لا ؛ بل أهل القبلة، ثم قال : والله ليقذفنَّ رجال من السماء بحجارة يشدخون بها في طرقهم وقبائلهم . كما فُعل بقوم لوط، وليمسخن آخرون قردة وخنازير، كما فُعل ببني إسرائيل، وليخسفن بقوم كما خُسف بقارون) .

وقد تظاهرت الأخبار بوقوع المسخ في هذه الأمة، وهو مقيد في أكثر الأحاديث بأصحاب الغناء، وشاربي الخمر، وفي بعضها مطلق .

قال سالم بن أبي الجعد (ليأتين على الناس زمان يجتمعون فيه على باب رجل ينتظرون أن يخرج إليهم، فيطلبون إليه حاجة، فيخرج إليهم وقد مُسخ قرداً أوخنزيراً، وليمرَّنَّ الرجل على الرجل في حانوته يبيع، فيرجع إليه وقد مسخ قرداً أوخنزيراً) .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه (لاتقوم الساعة حتى يمشي الرجلان إلى الأمر يعملانه، فيمسخ أحدهما قرداً

---

[1] يعني استغنى الرجال باللواطة عن الزواج بالنساء المطهرات . واستغنت النساء عن الرجال بالسحاق مع بعضهن . وكلاهما فساد شر فساد وانعكاس شر انعكاس في الفطرة، وقلب للجبلة والطبيعة الحيوانية فضلا عن مخالفة كل الشرائع والملل السماوية .

أوخنزيراً . فلا يمنع الذي نجا منهما ما رأى بصاحبه أن يمضي إلى شأنه ذلك حتى يقضي شهوته، وحتى يمشي الرجلان إلى الأمر يعملانه، فيخسف بأحدهما، فلا يمنع الذي نجا منهما ما رأى بصاحبه أن يمشي لشأنه ذلك، حتى يقضي شهوته منه).

وقال عبدالرحمن بن غنم (سيكون حيَّان متجاورين، فيشقُّ بينهما نهر، فيستقيان منه، قبسهم واحد، يقبس بعضهم من بعض، فيصبحان يوما من الأيام قد خُسف بأحدهما والآخر حيٌّ).

وقال عبدالرحمن بن غنم أيضاً (يوشك أن يقعد اثنان على رحاً يطحنان، فيمسخ أحدهما والآخر ينظر) .

وقال مالك بن دينار (بلغني أن ريحاً تكون في آخر الزمان وظُلَم، فيفزع الناس إلى علمائهم، فيجدونهم قد مسخوا) .

قال بعض أهل العلم : إذا اتصف القلب بالمكر والخديعة والفسق، وانصبغ بذلك صبغاً تاما، صار صاحبه على خُلُق الحيوان الموصوف بذلك : من القردة، والخنازير، وغيرهما، ثم لايزال يتزايد ذلك الوصف فيه حتى يبدو على صفحات وجهه بدوا خفيا . ثم يقوى ويتزايد حتى يصير ظاهراً على الوجه، ثم يقوى حتى يقلب الصورة الظاهرة، كما قلب الهيئة الباطنة. ومن له فراسة تامة يرى على صور الناس مسخاً من صور الحيوانات التي تخلَّقوا بأخلاقها في الباطن، فقلّ أن ترى

مُحتالا مكاراً مخادعاً ختاراً إلا وعلى وجهه مسخة قرد، وقلَّ أن ترى رافضياً إلا وعلى وجهه مسخة خنزير، وقلّ أن ترى شرها نهماً، نفسه نفس كلبية إلا وعلى وجهه مسخة كلب. فالظاهر مُرتبط بالباطن أتم ارتباط، فإذا استحكمت الصفات المذمومة في النفس قويت على قلب الصورة الظاهرة، ولهذا خوّف النبي صلى الله عليه وسلم من سابق الإمام في الصلاة بأن يجعل الله صورته صورة حمار[1]، لمشابهته للحمار في الباطن، فإنه لم يستفد بمسابقة الإمام إلا فساد صلاته، وبطلان أجره، فإنه لايسلِّم قبله، فهو شبيه بالحمار في البلادة، وعدم الفطنة .

إذا عرف هذا فأحق الناس بالمسخ هؤلاء الذي ذكروا في هذه الأحاديث، فهم أسرع الناس مسخاً قردة وخنازير، لمشابهتهم لهم في الباطن، وعقوبات الرب تعالى ـ نعوذ بالله منها ـ جاريةٌ على وفق حكمته وعدله .

وقد ذكرنا شُبه المغنين والمفتونين بالسماع الشيطاني، ونقضناها نقضاً وإبطالا في كتابنا الكبير في السماع، وذكرنا الفرق بين مايحركه سماع الأبيات وما يحركه سماع الآيات، وذكرنا الشُّبه التي دخلت على كثير من العباد في حضوره، حتى عدوه من القرب . فمن أحب

[1] روى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه من ركوع، أوسجود قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار، أويجعل الله صورته صورة حمار ؟ " ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد بلفظ " مايؤمن أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس كلب ؟ " وكذلك رواه ابن حبان في صحيحه مثل الطبراني.

الوقوف على ذلك فهو مستوفى في ذلك الكتاب، وإنما أشرنا ههنا إلى نبذة يسيرة في كونه من مكايد الشيطان، وبالله التوفيق .

البـــديـــل

الحمد لله رب العالمين ...

لم يعهد للأمة فيما مضى من الزمان أن طبقت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تطبيقاً دقيقاً مثل وقتنا هذا ولقد برعت الأمة براعة وحذقت حذقاً عجيباً في ذلك وهذه المعجزات المتأخرة هي بمثابة المعجزات المتقدمة التي كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فـ (شبرا بشبر) و (ذراعاً بذراع) و (حذو القذة بالقذة) و (حتى لو دخلوا جحر ضب لدختلموه) و (حذو النعل بالنعل) ونحو ذلك مما يبين بوضوح عظم الاعتناء بهذا الأمر وشدة الحرص على تطبيقه.

كم هو ظاهر جلي في كل شيء يفتح عليه المسلم اليوم عينيه. ومن المعلوم أن الإخبار عن الذي سيكون في آخر الأمة مما تقدم ذكره أنه ورد وُرود الخبر على سبيل التحذير من فعل ذلك والذم لفاعله، ولكن فيه زيادة الإيمان للمؤمن، كما لو ظهر الدجال في زماننا فعرفناه بما عهد إلينا نبينا صلى الله عليه وسلم من وصفه ففي ذلك من زيادة الإيمان وتثبيت اليقين مالا يحيط به إلا الله .

وهذا كله بمنزلة المعجزات الواقعة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم . وإن كان الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وتصديقه لايتوقف على معجزة وخارق بل أدنى نظر بما جاء به صلى الله عليه وسلم وسيرته هو في

نفسه يحصل به من الإيمان مالا يحصل مثله ولايقاربه من الإيمان المتوقف على المعجزة .

وحيث أن الأمر هكذا من اتباع سنن أهل الكتاب فلقد قارن ذلك التباس الحق بالباطل من البداية ومازال الأمر يستفحل حتى كادت المعالم أن تنطمس .

ولما استحكم الأمر على هذه الصورة وصار هناك دخيل غريب على أهل الإسلام زالت غربته مع الزمن والملابسة إلا من بعض الوجوه ومن بعض الناس. فبقية النفرة من هذا الباطل الدخيل لم تضمحل بالكلية وإن كانت على وشك التلاشي والاضمحلال لأن هذا البعض وإن أنكر هذا الباطل بعض الإنكار أوْ نفر منه بعض النفور إلاّ أنه على الحقيقة مشارك بنفس هذا الباطل أو مثله مما يسبب خذلانه و وهنه وحتى عجزه عن إقامة حجة ظاهرة قوية أصلها البغض والنفرة من قلبه لوجود الفرقان فيه وعدم اللبس والمشاركة إما في نفس المنكر أومثله أو أعظم منه أو أقل منه . فحلّ الوهن والضعف والخذلان فجاءت أنصاف الحلول ومايسمى **(البديل)** **(سنطيعكم في بعض الأمر)** .

إنه لاحجة لفاعل ذلك والمفتي به يُعارض نصوص الكتاب والسنة والآثار الواردة في لزوم الهدْي الأول والتحذير من الإحداث والتغيير والتبديل .

إذا علم هذا تبينت جرأة دُعاة مايسمونه (**البديل**) . وهو على الحقيقة الضلال والتضليل . ولا آسي على

جريحة والقتيل . لأنه منقاد بطواعيته إلى من دعاه بغير حجة بيّنة ولا دليل .

بل إنه عن الحجة والدليل راغب . ولما تهواه نفسه الأمارة بالسوء طالب . ولقد ركب مركب الخذلان والخسران من هواه لهداه غالب . ولقد ضلّ ضلالاً بعيداً من ائتم واقتدى بمن هو عن الصراط ناكب . وهذا ليل ظلامه حالك، السائر فيه عُرضة المعاطب والمهلك . لأنه آخذ بنيّات الطريق عن الصراط المستقيم سالكاً سبلاً لا تهديه إلا إلى الجحيم ، نسي قوارع الوعيد، وضاقت عليه السنة فأحدث ما أسماه له إبليس بالتجديد . مثل قول بعضهم[1] إن على الفقهاء التكيّف مع تطورات العصر بفقه جديد وفهم جديد . فالحذر من هذه الضلالات . فإن مُحدِثها عن الحق بعيد .

النبي صلى الله عليه وسلم ألزم الأمة بعده بهديه وهدْي خلفائه الراشدين من بعده وحذر الأمة من محدثات الأمور بقول صلى الله عليه وسلم : (إياكم ومحدثات الأمور) فإن لم يكن هذا التكيف بالفقه الجديد والفهم الجديد من أعظم محدثات الأمور فليس هناك محدثات أمور .

إن وصاياه صلى الله عليه وسلم بلزوم الأمر الذي كان هو عليه وأصحابه والتحذير من التبديل والتغيير كثيرة شهيرة في كلامه وكلام مُرسِلِه سبحانه، فهذا بلا شك فتح

[1] القرضاوي .

باب ضلالة . والرب عز وجل يقول : { **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء** } فلابد من طاعته بعدم الإحداث وإلا فالضلال قرين الإحداث بلا ريب كما أن الهدى قرين طاعته وقد خط النبي صلى الله عليه وسلم بإصبعه الشريف خطاً وخط خطوطاً على جنبتيه وأخبر أن هذا الخط هو الصراط المستقيم وهو الذي كان عليه هو وأصحابه والخطوط هي الأهواء والضلالات والبدع والمحدثات وعلى كل خط شيطان يدعو إليه.وأخبر بافتراق أمته إلى ثلاث وسبعين فرقة وأن كل هذه الفرق في النار إلا واحدة جعل لها علامة لئلا يلتبس فيها الحق بالباطل ويدعيها كل مبطل وهي ماكان عليه صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه . وغير هذا كثير . لكن أنظر تصديق هذه الأحاديث بعضاً لبعض وأنها تتفق على معنى واحد .

فهذا التكيّف المزعوم والفقه الجديد والفهم الجديد هو التحيل على الدين وقد سبقنا اليهود إليه .

وأخبر نبينا صلى الله عليه وسلم أنا نسلك سبيلهم ولقد سنوا لنا الحيل على الدين فتبعناهم . فما هذه القياسات الفاسدة والآراء الكاسدة التي تفجرت في هذا الزمان بحارها إلا فهم جديد وفقه جديد.

والحقيقة أن هذا التكيف والفهم الجديد والفقه الجديد ليس هذا المصري الذي جاءنا به فجأة. فالنفوس قد توطّنت

قبله بتكيفات وفهوم جديدة وفقه جديد هو سبب الهوان الذي أصاب الأمة . فالله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ويقول : إن الإسلام يريد إعلاماً حيّاً شاملاً من دراما ومسلسلات وأفلام ومسرحيات وبرامج علمية ومهنية وترويحية مختلفة كبدائل كاملة للإعلام الغربي اللاديني الموجه ضد المسلمين ليفسد عليهم دينهم . وسندهم في ذلك الفقهاء والفقه المعاصر المعتدل المرن[1] إلى آخر هذيانه .

قل : أنا وأضرابي نريد . أما أن تقول : أن الإسلام يريد فأعظم بها فرية وجناية على الإسلام . وإنه لمن غربة الإسلام وكربته أن يتكلم عنه هذا وأمثاله . فهذه البدائل الخبيثة ما دليلها وما حجتها ؟ إنه قوله تعالى : { **بئس للظالمين بدلا** } وماذكر الله التبديل إلا بالذم والوعيد قال تعالى : { **ألم ترا إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار** } وقال تعالى : {**ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب** } وقال سبحانه عن أوليائه: { **رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا** } فأثنى عليهم بأنهم لم يبدلوا ولم يغيروا .

إن دعاة البديل لا حجة لهم إلا اتباع أهوائهم قال تعالى : {**فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهوائهم ...** } الآية فليس هناك طريق ثالث إما استجابة للرسول وإما اتباع للهوى .

---

[1] القرضاوي .

وإن كلمة الإعلام من مصطلحات أهل هذا الوقت ومن الخطأ الفاحش استبدال الألفاظ الواردة بالكتاب والسنة بما أحدث . وإنما يقول المسلم الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولو كان هناك صدق لدفع باطل الغربيين وغيرهم لما دفع بغير التمسك بوصايا الرسول صلى الله عليه وسلم حيث في ذلك ضمان النصر للمسلمين على أعدائهم . وأما البدائل المزعومة فإن الشر لايأتي بالخير . وقد عمل بالبدائل منذ زمان بعيد فزادت البلاء ووسعت طرقه ومسالكه وهونت على النفوس سلوك طرق الشر . فليست هذه أول قارورة كسرت . ولو كان الأمر كما يزعم أهل التبديل والتغيير لوجدنا من ميراث نبينا صلى الله عليه وسلم مايُنبهنا ويرشدنا إليه بل ويحضنا عليه وقت حاجتنا إليه { **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** } وحيث أنه صلى الله عليه وسلم لم يورثنا كلمة في هذا بل حذرنا منه فتبين أنه من اتباع ما تهوى الأنفس ولا أقول اتباع الظن وماتهوى الأنفس لأن هذا أجلى من أن يكون مشوباً بظن فهو ضلال وباطل كظلمة الليل . كيف والحجة قائمة على الأمة أولها وآخرها بلزوم السنة والهدي الكريم وعدم التغيير . فقد جاء الأمر واضحاً بالالتزام والتمسك بهدي الرسول والصحابة مقارناً للتحذير من التبديل والتغيير فقد قال صلى الله عليه وسلم (إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً) وماتركنا لآرائنا وفهو منا بل أمرنا عند

ذلك بالتمسك بسنته فقال : (فعليكم بسنتي ...) الحديث . لأنه كائن في علم الله إن الانحراف والاختلاف سوف يحصل حتماً ومع هذا لم يدلنا على غير التمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين وقال صلى الله عليه وسلم (وإياكم ومحدثات الأمور) .

وابن مسعود رضي الله عنه يقول : (إنكم ستحدثون ويحدث لكم فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالسمت الأول) .

والسمت الأول هو سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. ومالك ابن أنس رحمه الله يقول : (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح به أولها) فهل أصلح أولها التبديل ؟ .

ويقول القرضاوي : إن إشتراك المرأة في التمثيل أمر ضروري لابد منه لأننا لانستطيع أن نخرج المرأة من الحياة .

صدق هذا المصري فالمرأة الرجلة ندٌ مزاحمٌ منافس لهذا وأشكاله في كل شيء . وإنما قبل الكلام في تمثيلها كان الواجب الإنكار على أشباه الرجال الذين يمثلون فمن الذي جوز لهم التمثيل قبل المرأة ؟

وأشياء كثيرة تبعت فيها المرأة الرجل في هذا الوقت هي ما حلت له أولاً . والسيئات يعانق بعضها بعضاً كما أن الحسنات يعانق بعضها بعضاً . والعقوبات حلت بالأمة هكذا بفتن مشتركة . ولو قيل عن فتن الوقت كلها التي يشترك الآن فيها الرجل والمرأة: الرجل هو مُحدثها

ومُزيِّنها ومغرٍ للمرأة فيها لكان هذا صحيحاً. وإنما يعرف هذا من وزن الْوقت وفِتَنه وأهله بميزان الدين.

وليست مقاومة الأعداء من الغربيين وغيرهم موكولة إلى آراء كاسدة وعقول هزيلة . وكيف يترك الأمة نبيها في مثل هذه الأمور العظيمة بلا دلالة ولا هداية ؟

هذا ظن من لم يعرف النبي صلى الله عليه وسلم ومُرسله سبحانه وتعالى المعرفة اللائقة . بل كيف يجعل الله ورسوله وسائل مقاومة الأعداء سلوك طريقتهم واتباع نهجهم وقد حذرنا الله ورسوله سننهم وسبلهم ؟

هذا محال . وكيف وجميع أعمالهم وأحوالهم لاتشتمل على مصلحة لا خالصة ولا راجحة .

والشر لا يأتي بالخير . وكل ماظن الظانون في هذه الوسائل أنها تُحصِّل مصلحة فالذي لا شك فيه أن مفاسدها لانسبة بينها وبين مصالحها وإنما لهوى النفوس سرائر لاتعلم .

والكتاب والسنة فيهما ضمان النصر وتكفل العزة لمن عمل بهما وماجاء هذا التسليط إلا بتضييع ذلك والإعراض عنه .

ولو كان هذا وأمثاله صادقين في مقاومة فساد الكفار ما أوقعوا الأمة بنفس ضلالاتهم بدعوى مقاومتهم ولعظموا كلام الله وكلام رسوله وأيقنوا أن فيهما الإرشاد إلى كل ماتحتاج الأمة إليه إلى يوم القيامة وضمان نصرها وعزها .

وتدبر الآن ماذكر الله عز وجل عن عبادة المؤمنين وأعدائهم في مثال واحد مما لايحصى من الأمثلة في كلام الله وكلام رسوله. وهي شبيهة بما نحن فيه من الابتلاء .

قال تعالى : { **هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم** } تأمل إضافة إخراجهم إليه سبحانه مع أن الإخراج حاصل على يد نبيه والمؤمنين وإنما هو المدبر للأمور التي حصل بسببها خروجهم والنصر عليهم لأنه هو سبحانه الخالق لحركات أعدائه وأوليائه المدبر لأمور هم كلها وقد قال تعالى : { **أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون** } { **إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً** } ثم قال تعالى : { **ماظننتم أن يخرجوا** } فهذا يشبه حالنا مع الكفرة حيث أن أكثر الخلق يظنون أن قوى هؤلاء لاتُغلب ولايقدر عليهم أحد . وذلك للمقارنة بين قوتهم وضعف من يقابلهم في الأسباب الحربية .

ثم قال تعالى : { **وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله** } فهذا أيضاً يشبه ماهم عليه الآن من الاعتداد والاتكال على أسبابهم. فهؤلاء كاسلافهم عمدتهم وسائلهم المادية وهم من جنس أسلافهم الذين ظنوا أن حصونهم المنيعة وقوتهم تمنعهم من الله. وكأسلافهم الذين قالوا : { **من أشد منا قوة** } ثم قال تعالى : {**فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب**} فانظر فعل رب العالمين . ثم قال تعالى : { **فاعتبروا يا أولي الأبصار** } وهذا الاعتبار للصحابة رضي الله عنهم ولمن يجيء

بعدهم كما قال تعالى في قصة يوسف وأخوته : { **لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب** } فما كان حصول خير قط إلا مقارناً لطاعة الله ورسوله ولاشر قط إلا بسبب المخالفة . ولذلك فإن قوله تعالى : {**ولاتهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون** } إلى يوم القيامة لكن هذا الضمان يدور مع شرطه يحصل بوجوده ويمتنع بفقده. وشرطه قوله تعالى : { **إن كنتم مؤمنين** } كذلك قوله تعالى { **إن تنصروا الله ينصركم** } فهو مثله تماماً . لكن الإيمان ليس بالدعوى . فقد نهينا عن التشبه بالكفار وحذرنا من ذلك لأنه يوهن قوتنا ويكسبنا الذل للمخالفة ولتلبّسنا بما أذلهم الله به من أمور دينهم ودنياهم. فقد شاركناهم في الذل المضروب عليهم . إن استخدام شرورهم وسلوك طرقهم بدعوى المقاومة والدعوة سبيل من انصبغ بصبغتهم وأعجبه بل بهرته مسالكهم وليس هذا طريق المؤمنين . وإنما أحدثه رؤساء جهّال يقيسون الأمور بآرائهم كما ورد في الحديث .

يوضح ماتقدم أن توحيد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم واجب علينا كوجوب توحيد مرسله سبحانه .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وبالجملة فتجعل الرسول شيخك وأستاذك ومعلمك ومربيك ومؤدبك وتُسْقِط الوسائط بينك وبينه إلا في التبليغ كما تسقط الوسائل بينك وبين المرسِل في العبودية فلا تثبت وساطة إلا في وصول أمره ونهيه ورسالته إليك . ثم قال : وبالجملة فالطريق

مسدودة إلا على من اقتفى آثار الرسول صلى الله عليه وسلم واقتدى به في ظاهره وباطنه فلا يتعنى السالك على غير هذا الطريق فليس حظه من سلوكه إلا التعب وأعماله كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب .

ولا يتعنّى السالك على هذا الطريق فإنه واصل ولو زحف زحفاً. فأتباع الرسول صلى الله عليه وسلم إذا قعدت بهم أعمالهم قامت بهم عزائمهم وهِممهم ومتابعتهم لنبيهم كما قيل :

من لي بمثل سيرك المذلل تمشي رويداً وتجيء في الأول

والمنحرفون عن طريقة إذا قامت بهم أعمالهم واجتهاداتهم قعد بهم عُدُو لهم عن طريقه .

فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم وماظعنوا في السير عنه وقد كلوا[1]

وقال رحمه الله : وما أحسن ما قال مالك بن أنس رحمه الله: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها) ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ونقص إيمانهم عوِّضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك [2] .

إذا تبين هذا فيعلم أن أهل هذه البدائل يزعمون أنهم بها يهدون الناس إلى الصراط المستقيم ويجنبونهم ما يفسد الدين ويصرفونهم عن الضلال المبين وسأنقل هنا فتوى

---

(1) مدارج السالكين 144/3 .
(2) إغاثة اللهفان 200/1 .

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فيها ما يبين زَيف مافُتِح على هذا وأمثاله من الضلال لاسيما في مجال الدعوة التي تبنّاها اليوم وادّعاها من هم بحاجة إلى من يدعوهم ليردهم إلى الصراط المستقيم .

وليس إيراد هذه للشيخ ولا غيرها مما أنقل من كلامه وكلام تلميذه ابن القيم ولا غيرهم من علماء السلف لأجل أنهم قالوا هذا وأفتوا به فقط لكن لأنه حق ندين الله به لما يتضح لنا من استدلالهم بالكتاب والسنة الذي هو على الحقيقة ضالة كل مؤمن. بعد هذا فإن رضى الناس غاية لا تدرك .

سُئل رحمه الله عن جماعة يجتمعون على قصد الكبائر من القتل وقطع الطريق والسرقة وشرب الخمر وغير ذلك . ثم إن شيخاً من المشائخ المعروفين بالخير واتباع السنة قصد منع المذكورين من ذلك فلم يمكنه إلا أن يقيم لهم سماعاً يجتمعون فيه بهذه النية وهو بدُفٍّ بلا صلاصل وغناء المغني بشعر مباح بغير شبّابة . فلما فعل هذا تاب منهم جماعة . وأصبح من لايصلي ويسرق ولا يزكي يتورع عن الشبهات ويؤدي المفروضات ويتجنب المحرمات فهل يباح فعل هذا السماع لهذا الشيخ على هذا الوجه لما يترتب عليه من المصالح مع أنه لا يمكنه دعوتهم إلا بهذا ؟

فأجاب : الحمد لله رب العالمين .

أصل جواب هذه المسألة وما أشبهها أن يعلم أن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً وأنه أكمل له ولأمته الدين كما قال تعالى : {**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** } وأنه بشر بالسعادة لمن أطاعه والشقاوة لمن عصاه فقال تعالى : { **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً** } وقال تعالى : { **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا** } .

ثم ذكر رحمه الله آيات وأحاديث بهذا المعنى الذي هو لزوم الكتاب والسنة في جميع الأحوال والرد إليهما . ثم قال : إذا عُرف هذا فمعلوم أنما يهدي الله به الضالين ويرشد به الغاوين ويتوب به على العاصين لابد أن يكون فيما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة . وإلا فإنه لو كان مابعث الله به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكفي في ذلك لكان دين الرسول ناقصاً محتاجاً تتمة . وينبغي أن يعلم أن الأعمال الصالحة أمر الله بها أمر إيجاب أو استحباب . والأعمال الفاسدة نهى الله عنها .

والعمل إذا اشتمل على مصلحة ومفسدة فإن الشارع حكيم فإن غلبت مصلحته على مفسدته شرعه، وإن غلبت مفسدته على مصلحته لم يشرعه بل نهى عنه كما قال

تعالى : { **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون** } وقال تعالى : { **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما** } ولهذا حرمهما الله تعالى بعد ذلك.

وهكذا مايراه الناس من الأعمال مقرباً إلى الله ولم يشرعه الله ورسوله فإنه لابد أن يكون ضرره أعظم من نفعه وإلا فلو كان نفعه أعظم غالباً على ضرره لم يهمله الشارع فإنه صلى الله عليه وسلم حكيم لايهمل مصالح الدين ولايفوت المؤمنين مايقربهم إلى رب العالمين .

إذا تبين هذا فنقول للسائل : إن الشيخ المذكور قصد أن يتوب المجتمعين على الكبائر فلم يمكنه ذلك إلا بما ذكره من الطريق البدعي يدل على أن الشيخ جاهل بالطرق الشرعية التي بها تتوب العصاة أو عاجز عنها فإن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هو شر من هؤلاء من أهل الكفر والفسوق والعصيان بالطرق الشرعية التي أغناهم الله بها عن الطرق البدعية . فلا يجوز أن يقال : إنه ليس في الطرق الشرعية التي بعث الله بها نبيه ما يتوب به العصاة فإنه قد علم بالاضطرار والنقل المتواتر أنه قد تاب من الكفر والفسوق والعصيان من لايحصيه إلا الله تعالى من الأمم بالطرق الشرعية التي ليس فيها ماذكر من الاجتماع

البدعي . بل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان وهم خير أولياء الله المتقين من هذه الأمة تابوا إلى الله تعالى بالطرق الشرعية لا بهذه الطرق البدعية . وأمصار المسلمين وقراهم قديماً وحديثاً مملوءة ممن تاب إلى الله واتقاه وفعل ما يحبه الله ويرضاه بالطرق الشرعية لا بهذه الطرق البدعية ... إلى آخره [1] .

في هذا الجواب رد على جميع من أحدثوا في الدعوة ما أحدثوا مما يخالف ما كان عليه السلف .

وتأمل قوله رحمه الله : وهكذا مايراه الناس من الأعمال مقرباً إلى الله ولم يشرعه الله ورسوله فإنه لابد أن يكون ضرره أعظم من نفعه . وإلا فلو كان نفعه أعظم غالباً على ضرره لم يهمله الشارع فإنه صلى الله عليه وسلم حكيم لايهمل مصالح الدين ولايفوِّت المؤمنين مايقربهم إلى رب العالمين ... فهذا يبين الأضرار الحاصلة من تحذلق المتحذلقين وتكلف المتكلفين الذين اتبعوا أهواءهم وفتحوا للأمة أبواب الضلالات والفتن وذلك بمخالفتهم لما كان عليه السلف من صدق الإخلاص وحسن الاتباع.

ومن جنس ما نحن بصدده مايفتى به لأرباب المجلات من تلطيخها بالصور لتكون أكثر جاذبية ولتقاوم المجلات الأخرى بزعمهم . وهكذا من أراد ماتهواه نفسه علل ذلك بـ (أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً) .

---

[1] مجموعة الفتاوى 620/11 .

والفتوى في مثل هذا أن يقال : أولاً هل المجلات من هدي النبي وأصحابه أم سنن أهل الكتاب وهديهم ؟

فإذا فرغ من هذا تيسَّر أمر الفتوى بتلطيخها بالصور حيث أن النصوص الشرعية في هذا لا تقبل الحيل .

ولو وجد من يفتي الناس في وقتنا مع خلاصه ونظافته مما تدنسوا به ومما يشابهه لغايَرَت فتواه فتواهم وإنما المصيبة جاءت من (إفتضحوا فاصطحلوا) .

إنه من الضلال أن نعمل العمل ثم نلتمس له الدليل بتطويع النصوص رغم إبائها . وإنما الصراط المستقيم أن لانعمل إلا بدليل . وفرق بين هذا وهذا .

إن المسلمين لو بقوا على ماتركهم عليه نبيهم ما احتاجوا إلى غير ما جاء به ولدامت لهم العزة وقارنهم النصر على أعدائهم . وإنما التغيير والتبديل هو سبب ما آلت إليه الحال .

والعجب معرفة الكفار بهذا واهتمامهم به وتصويب أهداف سهامهم إليه لعلمهم بالأسباب التي لاتحفظ هذه الأمة كيانها وتستمر في عزها ونصرها إلا به .

يقول صاحب كتاب (الغارة على العالم الإسلامي) :

ولا ينبغي لنا أن نتوقع من جمهور العالم الإسلامي أن يتخذ أوضاعاً وخصائص أخرى إذا هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية إذ الضعف التدريجي من الانتقاض والاضمحلال الملازم سوف يفضي بعد انتشاره إلى انحلال الروح الدينية من أساسها . انتهى .

تأمل قوله إذا هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية . لعلمهم بتفرد المسلم في خصائصه وأنه بهذا التفرد تدوم له العزة والنصرة .

وإن عز هذه الأمة ونصرها بمخالفة أهل الكتاب لا بالتشبه بهم.

ولذلك يقول اليهود لما رأوا مايقصده النبي صلى الله عليه وسلم قصداً ويعتمده اعتمادا من مخالفتهم : مانرى هذا الرجل إلا يريد مخالفتنا في كل شيء . وانظر كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) .

فهذا مما يبين فساد البديل المزعوم وهو أن مطلوب الشرع مخالفتهم ابتداء . ليس موافقتهم في أصول باطلهم مع إحداث شيء من المخالفة التي هي حيلة في البداية لترويج السلعة وتهوين شرها ثم ينعدم حتى هذا الفارق البسيط الذي لا تأثير له على الحقيقة كما حصل هذا في عامة أمور التشبه بهم الذي غرقنا اليوم في بحر ظلماته.

وإذا كان من أمارات قرب الساعة أن يوسد الأمر إلى غير أهله فما أعظم ما وقع من هذه العلامة في زماننا .

بل الأمر نفسه الذي يوسد إلى غير أهله ما أعظم ما أتى عليه فلا عجب إذاً .

ملحـــق

إطلعت على كتاب للقرضاوي عنوانه: (**فتاوى للمرأة المسلمة**) .

من تأمله عرف معنى قوله تعالى : { **وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم مابين أيديهم وماخلفهم** } وقوله تعالى : { **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون** } .

فإنه لما ان الأمة تشبهت بالكفار بالتعاليم وغيرها انفتحت أبواب المشاكل وصار يُطلب لها الحلول ممن هو واقع بها فهو متبع لهواه في وقوعه بذلك وفي فتواه المجارية لذلك . وما ظلمنا ربنا فالمشاكل تزداد والحلول الصحيحة متعذّره .

وتعذرها ليس نقصاً في الشريعة وإنما لفساد الوارد عليها فليس هو مما يقبل الحل . إذْ قدْ نُهينا عن التشبه بالكفار لعلم المشرّع بما في ذلك من الفساد فعصينا . فأصبح من يزعم أنه ينكر المنكر كمن ينشغل بسدّ فروع من واد عظيم لايقف له شيء وهو يهلك الحرث والنسل والبُنيان وكل ما أمامه . فإن الحكمة والحل الصحيح توحيد بذل الجهود لِسَدّ الوادي من أصله وصرفه عن طريق الضرر والخطر.

ثم هؤلاء الذين يسدون هذه الفروع والبثوق من هذا الوادي هم في نفس الوقت يُعِينون على انفجاره وانفتاحه كطبيب يعالج أمراضاً خفيفة ويدع أمراضاً قاتله بل يزيدها ضراوة .

فتجد من ينكرا لمنكر من وجه يُقوّي أسبابه من وجه آخر . إن إرجاع الأمور إلى أصولها يُعين على معرفتها والحكم عليها . فمثلاً: مشاكل النساء في زماننا أصبحت من أعظم المشاكل بل والمصائب التي حَلّت بالأمة فالذي بزعمه يريد حَلّ هذه المشاكل يتناول آيات وآثار ثم يُرَكّبها في موضع غير قابل ولا لائق فلا يُرى لها كبير أثر. والسبب الأكبر أن الأمة تنكرت لهذه النصوص أولاً بالتشبه بالكفار فحُرِمَتْ منفعتها . وطيب علاجاتها وأدْويتها وشفائها .

إن الأمة قبل هذا التشبه بالكفار الذي يُسمى (حضارة) في عافية من كل المشاكل التي حدثت من جَرّاء ذلك فمنذ خمسين سنة تقريباً لايُعرف من هذه المشاكل شيئاً وإنما تولّدتْ من المخالفة لما أعجبتنا دنيا الكفار ومناهجهم وبدأنا تطبيق أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الواردة بالخبر أننا نسلك سُبُل الكفار شبراً بشبر وذراعاً بذراع . وهو خبر خرج مخرج الذم والتحذير.

ولاريب أنه لو كان أمَرَنا بذلك مافعلنا عشر معشار ما فعلناه بهذا الحرص الشديد والدِّقة العجيبة .

كانت المنكرات في الماضي إذا وُجدَتْ وإذا أدْويتها من الشريعة واضحة ظاهرة كما أن المنكرات واضحة ظاهرة فيوضع الدواء على الداء بلا تعقيد وإذا لم يوضع فإنه مُشَخّص مُبَيّن مُعَيّن.

أما اليوم وبعد سلوك سنن أهل الكتاب فاللبس حاصل في كل شيء . فتجد من يأمر بالحجاب يأمر بنفس الوقت بفعل الأسباب التي هي الطريق الموصل إلى نزعه .

والذي يأمر بالعلم ويذم الجهل يدعو إلى مايُفسد العلم بسلوك طريق تفسد العلم فيكون كما يقال :

ألقاه في اليم مكتوفاً وقاله له إياك إياك أن تبتل بالماءِ

هذا وقد اطلعت على بعض الردود على القرضاوي وفيها من كلامه في غير الغناء كلام خطير كبير يبين فساد اعتقاده فهو يرى أن أهل الذمة من أهل الكتاب مسلمون بالحضارة والثقافة .

قال في كتابه : **(فتاوى معاصرة)** : أهل الذمة من أهل الكتاب لهم وضع خاص . والعرب منهم لهم وضع أخص لاسْتعرابهم وذوبانهم في أمة العرب . وتكلمهم بلغة القرآن . وتشرّبهم للثقافة الإسلامية . واشتراكهم في المواريث الثقافية والحضارية للمسلمين بصورة أكبر من غيرهم فهم مسلمون بالحضارة والثقافة وإن كانوا مسيحيين بالعقيدة والطقوس.[1]

---

[1] 671/2 .

ويقول : واحترام الأديان السماوية لغير المسلمين وأن الإسلام للمواطنين منهم ثقافة وحضارة وإن لم يكن ديناً وعقيدة . [2]

كلام القرضاوي هذا ما علمنا أحداً سبقه إليه وهو من أخطر الكلام وليس هناك إسلامان كما زعم هذا الضال : إسلام عقيدة وإسلام حضارة وثقافة .

قال تعالى : **{ إن الدين عند الله الإسلام } وهو** الإستسلام لله بالتوحيد والإنقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله . فإذا لم يوجد هذا الإستسلام والإنقياد فلا إسلام وإنما الكفر .

وماهي الحضارة وماهي الثقافة حتى يكون لها إسلام

[2] الإسلام والعلمانية ص : 101 ؟

ومسلمون؟ إنه كلام عجيب غريب محدث مبتدع ليس للقرضاوي فيه إمام .

إن هذا الخلط يوجب فساد العقيدة والإعتقاد . وإن في تغيير مُسَميات الكتاب والسنة وتغيير معانيها وتحريفها ضلال كبير ولبْس خطير .

ويرى القرضاوي أن القتال مع اليهود ليس من أجل العقيدة [1] ويرى مودتهم[2] وأنهم إخوان لنا[3] .

ويرى التقريب مع الرافضة[4] . ويدعو إلى الديموقراطية الكافرة وإنشاء الأحزاب المختلفة[5] مُشترطاً لذلك الإسلام كما يفهمه هو . أما الإسلام الحق فمناقض للديموقراطية وأحزابها وهو من دعاة تحرير المرأة المزعوم ويرى جواز الإختلاط وكشف الوجه واليدين[6] ودخول المرأة المجالس النيابية ونحوها[7] وجواز لمس

---

[1] مجلة البيان " العدد 124 " .
[2] الحلال والحرام ص307 .
[3] فتاوى معاصرة 670/2 .
[4] الخصائص العامة للإسلام ص 209 .
[5] فتاوى معاصرة 637/2 .
[6] ملامح المجتمع المسلم ص 368 .
[7] الإسلام والعلمانية ص39 .

الأجنبية[1] وإسبال الثياب[2] والسينما[3] .

والذي هذا شأنه لا عجب أن يبيح الغناء .

كذلك يرى جواز تهْنئة النصارى بعيد ميلاد المسيح وبرأس السنة المسمى (عيد الكرسمس)[4] .

وكل هذا رَدّه يحتاج إلى مؤلف مستقل ويكفي هنا أن أنقل ماذكره ابن القيم في كتابه **(أحكام أهل الذمة)** في التهنئة بشعائر الكفر . وهو مما يفعله كثير من الناس في وقتنا .

قال رحمه الله : وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام

---

(1) فتاوى معاصرة 301/2 .

(2) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص 156 .

(3) الحلال والحرام ص 279 .

(4) فتاوى معاصرة 617/2 .

بالإتفاق مثل أن يُهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول : عيد مبارك عليك أو تَهَنّأ بهذا العيد ونحوه فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يُهنئه بسجوده للصليب . بل ذلك أعظم إثماً عند الله وأشدّ مقتاً من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه وكثير ممن لا قَدْرَ للدين عنده يقع في ذلك ولايدري قبح مافعل . فمن هَنّأ عبداً بمعصية أوبدعة أوكفر فقد تعرّض لمقت الله وسخطه . إنتهى .

إذا كان هذا في التهنئة فكيف إذاً بما تقدم ذكره من وصفهم بإسلام الحضارة والثقافة الذي هو الإستلام لعبودية الشيطان وغيره ذلك مما ذكر .

وإنما كان عظم التهنئة بالعيد لهم بهذه المثابة لأنه إقرار لشعائر كفرهم ورضى بذلك .

والمراد أن للقرضاوي دواهي منها ماذكرت وغيره. فالحذر من الضلال . وإن في كتب أئمة السلف وكلامهم الغنية عن المتأخرين.

ومما يبين عدم مبالاة القرضاوي بتحريم الغناء فإنه زيادة على فتواه بتحليله كما تقدم فهو يسمعه والعياذ بالله.

فإنه لما سُئل هل تسمع الغناء قال : أسمع إذا اتّسع الوقت وبالأخص الغناء الذي يدعو إلى وحدة الأسرة وتماسكها من مثل (سِت الحبايب ياحبيبه) (يارب خليكِ ياأمي) أو (يارب سبح بحمدك كل حي) [1] .

---

[1] مقابلة مع القرضاوي في مجلة الخليج " الثقافية " .

وقد تقدم مايكفي ويشفي من تحريم الغناء والآت الموسيقى بلا اسْتثناء إلا ما ذُكر بشرط القياس الصحيح وهو : إنشاد أشعار العرب التي فيها وصف الحرب والشجاعة ونحو ذلك . وبدون مصاحبة آلات اللهو . ومن جوار صغار . وفي مناسبة العيد والعرس وفي بيت صلاح ودين . وألا يكون في الشعر تشبيب وغزل . لأن القياس الصحيح لابد أن يطابق فيه الفرع الأصل .

ويقول في المقابلة لما سُئل عن السينما : أنه هناك شروط لدخول السينما ذكرتها في كتابي الحلال والحرام في الإسلام ولم أحرّم السينما .

وأقبح مما تقدم من فعل القرضاوي إباحته الإقتباس من القرآن وإدخاله في الغناء والعياذ بالله. فإنه في نفس المقابلة سُئل عن موقفه من أغنية (مارسيل خليفة) المتضمنة **آية من سورة يوسف** فقال : **الإقتباس من القرآن، أمر جائز** . وأنا لي مسرحية قديمة ألّفتها في الثانوية عن قصة يوسف الصديق ومنها : { **ولقد راودته عن نفسه فاستعصم** } فلوْ أن أحدهم غنى هذا ولم يقصد أنه قرآن وإنما كلام مقتبس في النص الشعري لا أرى حرجاً .

الجواب : القرضاوي يدافع ويناضل عن الباطل حيث يبيح فعل مارسيل خليفة الذي غنىّ بقوله تعالى : { **إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين** } .

وقد دافع عنه أيضاً محمد سليم العواء . وقد قال تعالى : {**هاأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا**} .

وزاد القرضاوي البلاء بلاء. بأنه لايرى حرجاً لوْ أن أحداً غنى بقوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز : { **ولقد راودته عن نفسه فاستعصم** } **وهكذا يكون الضلال وهكذا تكون الجرأة على إهانة كلام الجليل سبحانه بأن يهان بصحبة المعازف وآلات الموسيقى المحرمة والأغاني .**

وهذا فَتْح باب خطير وتصغير أمر كبير . ولايُقدم على مثل ذلك ويدافع عنه من لله في قلبه تعظيم وتوقير .

ولا ريب أن الغناء بكلام الرب سبحانه الذي هو صفة من صفاته أعظم تحريماً من قسمي الغناء المتقدمين : غناء البدعة الذي يُتخذ قربة وغناء اللهو والطرب .

قال تعالى : { **مالكم لاترجون لله وقارا** } وقال تعالى: {**وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** } .

فإن الاستهانة بكلام الله سبحانه وتعالى بهذه التصرفات الخبيثة من علامات قرب رفعه .. والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله على نبينا محمد .

كتبـــــه
عبدالكريم بن صالح الحميد
بريدة 1420هجرية

فهرس